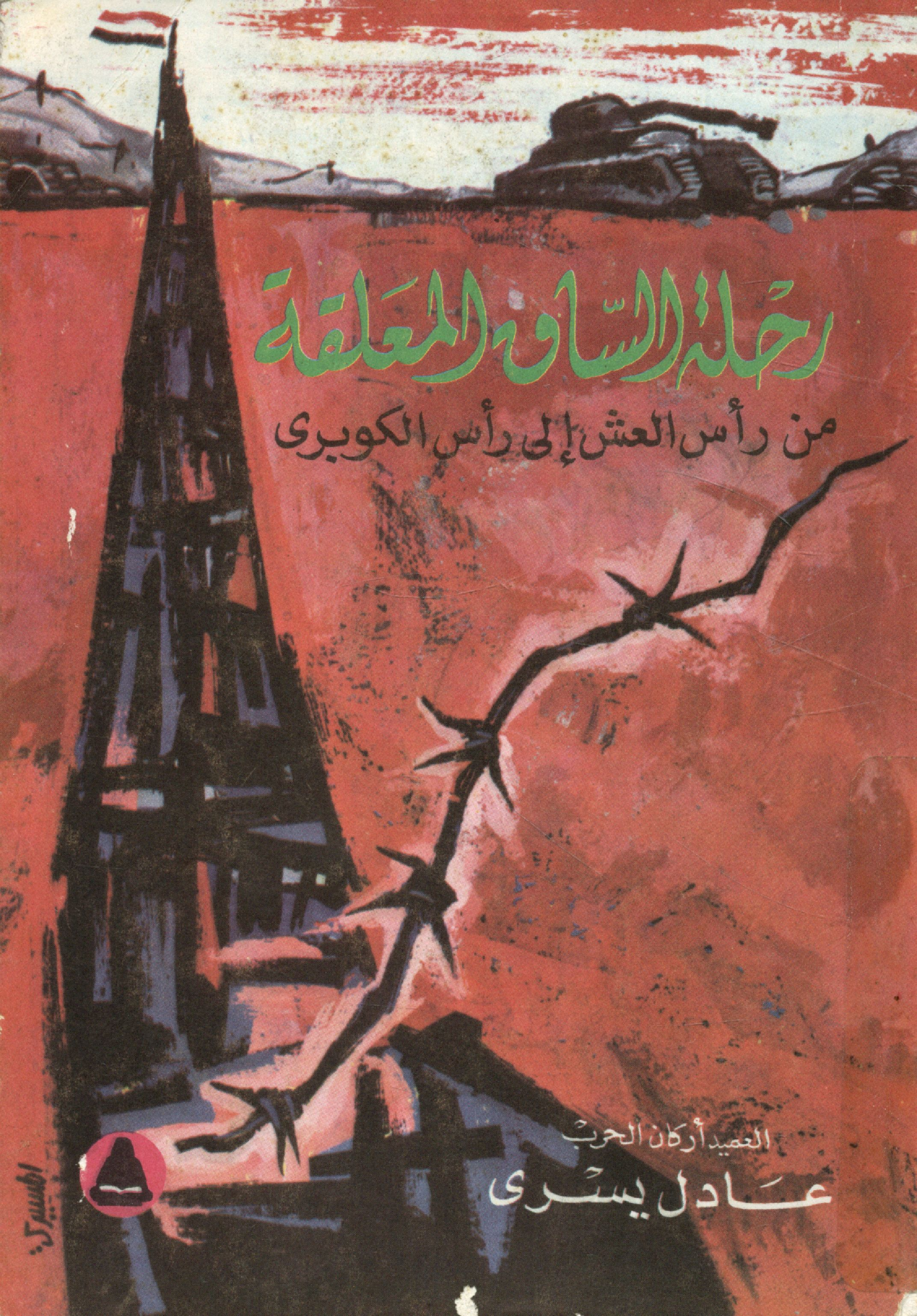

رحلة الساق المعلقة
من رأس العش إلى رأس الكوبري
العميد أركان الحرب
عادل يسرى

رحلة الساق المعلقة

من رأس العش إلى رأس الكوبرى

العميد أركان حرب

عادل يسرى

الحائز على وسام نجمة سيناء من الطبقة الأولى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٨

كلمة حق ..

بسم الله ... أحمد الله ..

لم يكن يخامرني شك في أن القوات المسلحة المصرية كانت من ضحايا نكسة ١٩٦٧ ولم تكن أبدا من أسبابها .

ان هذه القوات لم تعط الفرصة لتحارب دفاعا عن الوطن وعن شرفه وعن ترابه ، ولم يهزمها عدوها ولكن قهرتها الظروف التي لم تعطها الفرصة لتقاتل .

ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أي مقياس عسكري .

ان هذا الوطن يستطيع أن يطمئن ويأمن بعد خوف .

انه قد أصبح له درع وسيف .

الرئيس/محمد أنور السادات

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب رئيس الوزراء
ووزير الحربية

هذا الكتاب . يحكي بأسلوب سهل وبسيط قصة
حرب أكتوبر ٧٣ من خلال قيادة كاتبه العميد أ.ح عادل
يسري ... لقد كان كاتبه قائداً لإحدى الوحدات
التي اقتحمت القناة في المرحلة الأولى
فكاتبه عاصر مرحلة الإعداد للمعركة كاملة
وقاتل في معارك أكتوبر ٧٣ بشرف وبطولة وفقد
ساقه أثناءها

ويعتبر هذا الكتاب من أهم المؤلفات العسكرية التي
كتبت عن حرب أكتوبر ٧٣ على مستوى أحد الأبطال
من قادة الوحدات في تلك الحرب التي صنع الإنسان المصري
أمجادها والتي تأكد أثناءها أن مساندة الشعب
لقواته المسلحة أثناء القتال من أهم أسباب النصر

مع تحياتي
مشير
أحمد إسماعيل
٧٤/١٠/١

إهـــداء

أخى العربى ..

أهدى كتابى هذا الى كل عربى .. ايمانا بأن معركة العاشر من رمضـــان كانت بفكر .. .. وقرار عربى .. ونفذتها أيد عربية .. لتحقق نصرا وتضامنا عربيا .

لم تتح لى حياتى العسكرية أن أسجل ذكرياتى بانتظام .. ولكن أحداث الاعداد للمعركة .. وما دار فيها .. حفرت فى ذهنى .. وهى ذكريات مشرفة مملوءة بكفـــاح طويل لكل ضابط وجندى .

ان أرضـــنا العربية يعيش عليهـــا صفوة من أعظم الرجال التى لا ينقصها الا قائد يدرك أهميـــة الانســـان .. ويثق الرجال بقدرته وشجاعته .. هذا القائد كان دائما مفتـــاح النجاح على كل المستويات فى كل معركة . واذا كانت اسرائيل قد ذاقت على أيدينا لأول مرة مرارة الهزيمـــة .. مرارة الخســـائر المرة

الفادحة فلأن المعركة خطط لها بالعلم والعمل والايمان ٠

وبهذا الايمان - وبالأسلوب العلمى - وبسواعد وتضحيات وجرأة رجالنا وبحكمة القيادة نحن قادرون على :

استكمال نصرنا وتأكيده

وبناء الرخاء الاقتصادى

والله الموفق

عميد أ ٠ ح

عادل سليمان يسرى

قائد لواء النصر

مقدمة الكتاب

البحث عن طريق [١]

العربة المدرعة تسرع ليلا ...

انها تتحرك بصعوبة فوق رمال سيناء متجهة الى الغرب الى قناة السويس .. من عند النقطة ١٢١ على مسافة حوالى ١٩ كم شرق القناة ..

داخل العربة ثلاثة أفراد .. سائق ومساعد وقائد جريح يرقد على الكرسى الخلفى [١].. ووجهه الى السماء يتفحص النجوم بينما ساقه اليمنى تنزف بغزارة وعلى بعد قليل منه باقى الساق والقدم ..

وأخذت السـيـارة المدرعة تطوى أرض سـيـناء الرملية بأقصى ما تستطيع من سرعة ليلحق السائق بأقرب مستشفى ميدانى .

ويسأل القائد الراقد الجريح سائق العربة : هل تعرف الطريق؟

ويرد السائق بأسى وفى صوته رنة حزن عميق : لا يافندم .

ويسأل القائد المساعد المرافق : ولا أنت يا عبد الرسول ؟

ويرد بصوت يائس : ولا أنا يافندم .

ويقول القائد : اذن امضيا ·· وسأدلكما أنا على الطريق ·

ولم يكن هناك طريق · المنطقة كلها رملية ومتشابهة · العربة المدرعة بأفرادها الثلاثة تحاول جاهدة السير فوقها ·

ويوجه القائد الجريح السيارة بغريزة كأنها الالهام ·· يمين ·· يســـــار ·· الى الأمام ·· وتهتز العـــربة المدرعة بعنف تبحث عن طريق ·· !!

كان كل ما يخشاه السائق والمساعد أن تضل العربة الطريق، أو تقع فى كمين للعدو ·· وكان هناك شيء آخر يشغل بالهما أكثر ... أن تقوم قواتنا بتدمير العربة المدرعة .. فقد كانت تتحرك من الشرق الى الغرب ، وهو اتجاه تحرك العدو الاسرائيلى ··

وحاول السائق أن ينسى هذا التصور المزعج ··

وتقترب العربة من موقع مجاهد قائد كتيبة النسق الثانى · وتتوقف لحظات فى الموقع · ويصـــــدر القائد الراقد تعليماته ·· وتمضى المسيرة الشاقة ·· باحثة لها عن طريق !

ويستعرض القائد الجريح الراقد بسرعة أحداث اليوم · انها شريط سريع متلاحق ليس فيه لحظة هدوء واحدة ·· شريط ساخن كدانات المدافع ، وانفجارات القنابل ، وارتطام الأسلحة بأجســـام الدبابات · وفى هذا اليوم ، ومنذ ساعات قليلة ، استسلم اللواء الأسرائيلى المدرع ١٩٠ بالكامل · وأسر قائده العقيد عساف ياجورى · وأسر معه العشرات والمئات من رجال الحرب الاسرائيليين · وترددت على شبكات الاتصال اللاسلكى للعدو هذه الجملة بوضوح : « المصريون كثيرون ·· وكأنهم صينيون ! » ·

ان القائد الراقد هو العميد أ٠ح٠ عادل يسرى قائد لواء النصر ٠٠ وقد أخذ يستعرض أحداث اليوم ، وهو راقد على ظهره ، فى المقعد الخلفى للعربة المدرعة ٠ وساقه اليمنى ما زالت تنزف ٠٠ يستذكر شريط الأحداث القريبة ، وتمر امام عينيه ، وكأنما يقصها على نفسه ، أو يرويها بلسانه :

تركت مركز قيادتي ، وتحركت في مركبة القيادة المدرعة لأول مرة ، للاشراف على انطلاق لواء النصر للمعركة ٠٠

لم أكن أدرى وقتها أننى أتحرك الى المعركة التي شرفنى الله فيها بنعمة التضحية من أجل مصر ، وأننى سأفقد فى هذه المعركة ساقي اليمني ، الى الأبد ٠

لقد فقدت ساقي ، ولكنى كسبت نصرا عزيزا لمصر العزيزة !

وكنت في أثناء تقدمي فى مركبة القيادة المدرعة ، أشاهد دبابات العدو المحترقة وأشاهد دبابات لنا أيضاً أصيبت فى أثناء الاشتباكات ٠٠

كانت معركة هذا اليوم شديدة الضراوة ٠ باسلة ٠ وكانت النيران لا تزال مشتعلة في معظم الدبابات المحترقة ٠

واجتزت أحد المحاور الأسفلتية التى أنشأها العدو من « الطاسة » الى « بير حبيطة » والدفرزوار ٠٠ ومررت بنقطة شئون ادارية تحت الأرض ٠ وعند تفتيش ما بها وجدنا مهمات وملابس٠٠ والأغرب من ذلك كميات من الملابس الحريمى الداخلية ذات الألوان الزاهية ٠٠ !

كان يهجم معى في الوقت نفسه اللواء الميكانيكى بقيادة العميد

شفيق مترى سدراك . وعلى يسارى وعلى البعد لواء من الفرقة الثانية .. كان التخطيط المعد هو أن ننسق هجومنا جميعا . ونستولى على رأس كوبرى يتم فيه حشد باقى القوات تمهيدا للانطلاق . فى تعاون مع الجيش الثالث والفرقة ١٨ المشاه لتطوير الهجوم فى سيناء .

وفجأة .. تصمت الأجهزة اللاسلكية فى مركبة قيادتى المدرعة .. وأستمر فى اندفاعى حتى أصل الى غرب النقطة ١٢١ على بعد أكثر من ١٦ كيلومترا شرقى القناة .

وهناك أترك مركبة القيادة وأترجل . وأصطحب معى أجهزتى اللاسلكية الخفيفة التى يحملها أفراد مترجلون أيضا .

الساعة الرابعة مساء يوم ٨ أكتوبر ، حقق لواء النصر مهمته فى المعركة مبكرا كعادته .

وأتقدم مترجلا مع ضباط مركز قيادتى المتقـــدم ، وأجـد الاحتياطى المضاد للدبابات فى موقع غير ملائم . وأترك أحد ضباطى يشرف على تغيير مكانه . وأبدأ فى صـعود جبل عال من الكثبان الرملية هو « النقطة ١٢١ » .

وفى أثنـاء تقدمى تنهال الطلقـات من حولى . وينقض طيران العـــدو ، ثم يهرب . الموقف صعب وخطير ولكننا مستمرون فى تقدمنا . ويسير أمامى ضابطان من القيادة ، وأتقدم خلفهما لأسمع حديثهما دون أن يشعرا بى . وأفاجأ بأنهما يتحدثان حديثا لطيفا ، وكأنهما فى نزهة !

طلبت منهما أن ينفذا مهمتهما بسرعة ، وكنت سعيدا لارتفاع روحهما المعنوية ..

ووصلنا الى القمة ..

طلقات مدفعية العدو ودانات دباباته تنهال علينا من كل اتجاه . ولكن الرجال يتحركون بسرعة وأصدر أوامري « مركز الملاحظة يحفر هنا . . وهنا مركز احتياطي الآربي جيه المضاد للدبابات .. مركز ملاحظة ادارة نيران المدفعية يفتح هنا » .

وتتوالى أعمال الأفراد وتحركاتهم في سرعة . وفي توافق .. أنها ثمرة التدريب والتخطيط الجيد ..

وتستمر العربة المدرعة في اندفاعها تجاه الغرب . بحثا عن طريق . وبحثا عن مستشفى ..

ويستمر الدم الساخن ينزف من ساقي اليمنى .

وأصحو من تأملاتي على صوت المساعد عبد الرسول : أين تتجه يافندم ؟

وأصدر الأمر للسائق بالاستمرار ..

وأعود الى شريط اليوم الساخن .. يوم ٨ أكتوبر .

اندفعت مع مجموعة صغيرة جدا من رجالي . . رجلان فقط ، وجهازان لاسلكيان الى أقصى الأمام لاستطلاع الموقف بنفسي ، حتى أعطى قراراتي على الأرض طبقا للموقف . يجب أن أنظم دفاعاتي . وأنظم خطط نيراني . واربط كل هذا بالجار اليمين ، والجار اليسار قبل أن يحل الظلام .

وامر على سرية مشاة المقاتل ثروت . اعدل بسرعة أوضاع الوحدات وأنا متقدم للأمام في اندفاع .

وأصل الى مفرزة علم الأمامية ..

هنا أعلى نقطة . ومن هنا يمكن أن أشاهد الأرض ، وتصرفات العدو كلها بوضوح ..

وتزداد طلقات الدبابات من حولى . وتنهال الدانات علينا من كل اتجاه . ولكن الرمال الصفراء تمتصها بسهولة .

وأتذكر قولنا نحن العسكريين « لن تصيبنى الا الطلقة المكتوب عليها اسمى » .

وأرقد على الأرض بجوار جندى .

ويشعر الجندى بسعادة بالغة عندما يرى قائده بجواره : ويسألنى : أشرح لك الموقف يافندم ؟

وأبتسم فى اعتزاز .. انه يعتبرنى والده !

ويشرح الأوضاع بهدوء : أمامنا سريتان للدبابات تقوم بالضرب علينا بنيران شديدة الانفجار وهذه طلقاتها تسقط حولنا .. ويلتف العدو بحوالى ٦ دبابات من الجانب اليمين . وحوالى ١٠ دبابات من اليسار . وباقى دبابات اللواء ٦٠٠ الاسرائيلى المدرع تهجم على كتيبة بشر ..

تركت الجندى فى موقعه وأنا ستغيد . وعدت الى مركز ملاحظتى للاشراف على معركة تدمير دبابات العدو الملتفة والمخترقة .

ناديت باللاسلكى على احتياطى دباباتى . الاتصال مقطوع . ولكنه ليس بعيداً على . ومكانه غير سليم . كان لابد أن أتحرك اليه ، لأن دبابات العدو ستلتف من خلفه .

وفي أثناء تحركي قابلت المقاتل « علم » قائد كتيبة اليمين ٠ كان قد فقد شهيدين في أثناء تقدمه من خيرة ضباطه ٠ ولكنه كان متماسكا ، احتضنني وأقسم لي : لن نترك شبرا واحدا من الأرض حررناه بدمائنا !

وأستمر فى تقدمى تجاه احتياطى دباباتى ٠

وأسمع المقاتل الورداني من المدفعية يصرخ : طلقات دبابات العدو حولك يافندم ٠ تعال فى هذه الحفرة ٠ قصفة نيران كتيبتى بدأت على دبابات العدو ٠

وأرد عليه : استمر يا وردانى ٠

ويستمر هو ٠ وأستمر انا فى تقدمى ٠ وطلقات الدبابات تنهال حولى ٠ لن أهدأ حتى أحرك احتياطى دباباتى لمواجهة دبابات العدو بصورة صحيحة ٠

وأصل الى أول دبابة فى الاحتياطى ٠ وتبدأ في العمل ٠ وأستمر فى مرورى على الأطقم لتشجيعها وسط الضرب ٠

ولكن تنجح دبابات العدو فى الالتفاف من اليمين ومن اليسار قبل ان ننظم دفاعاتنا ، قبل أن نحفر ، فالمعركة لم تكن أبدا سهلة برغم المفاجأة التى حققتها قواتنا ،

وهنا تظهر أهمية التدريب وأهمية التخطيط ٠ لقد غرست عقيدة فى جنودى ، أن « دبابات العدو المخترقة هى بمثابة وجبة دسمة لرجال جائعين ، اذا كان دفاعنا بعمق » !

وتصاب دبابات العدو ٠٠

ويتوالى احتراقها ٠٠

ولا أهدأ · أستمر فى اندفاعى الى احتياطى دباباتى ·

وفجأة أسمع صوت انفجار عنيف · وأرى للحظات ضوءا مبهرا ·

ثم أقع على الأرض وسط عاصفة ترابية عنيفة ·

وهى لحظات · لحظات خاطفة كالوميض ·· ثم أمد يدى الى ساقى اليمنى فلا أجدها لقد طارت · أصابتنى طلقة دبابة كاملة لاختراق الدروع · طلقة لا شظايا لها تسمى « سابو » ·

كنت قد خلعت « جاكت شدة القتال » عندما ركبت العربة المدرعة للقيادة · ففتحة العربة الصغيرة لم تسمح بدخول شدة القتال معى · وكان غطاء رأسى « هلمت اللاسلكى » · الكاوتش الرقيق ·

لم يكن معى أو حولى سوى الرمال · بسرعة تناولت حفنة من الرمال بيدى، وكتمت بها النزيف · ثم حفنة أخرى لوقف الدم المتفجر من ساقى المبتورة ·

وانتابنى هدوء غريب كأنه السكينة على قلبى · وصفت الرؤية أمامى وأنا راقد على الأرض · ثم فكرت ماذا يحدث لو أن دبابة العدو التى ضربتنى ميزت أننى قائد · ستضرب بلا شك مرة أخرى · اذن لابد أن أواجه الموقف بسرعة · ولكن كيف ؟

اننى أرقد على أعلى الميل الخلفى لجبل رملى · فتدحرجت حوالى ٢٠ مترا ·/·

هنا شاهدنى رجالى · وهرع الى بسرعة بعض الضباط والجنود، وطقم الدبابة القريب منى · وسمعت مكرم سائق الدبابة يصيح : سيادة القائد عادل ··

وصرخت فى الجميع « ماحدش يقف جنبى ·· اللى بيحبنى ياخد بتارى » !

ولم أدر كيف تصرفت فى هذه الحالة · ولكنهم قالوا لى بعد ذلك اننى هددتهم بمسدسى ! ورقدت على الرمال ··

وكلما زاد نزف الدماء ، أخذت حفنات أخرى من الرمال لأوقف النزيف · حتى أصبح الجرح كومة متجمدة من الدماء والرمال ·· وكان على قرب منى يرقد عمال الأجهزة اللاسلكية المترجلون فى انتظار أوامرى ·

ولكن فى موقف مثل هذا ·· لا تصدر أوامر ·· كل فرد ينفذ ما تدرب عليه · الكل يتحرك فى اصرار لقتل وتدمير العدو ··

ومرت على بعد خطوات منى دبابة « باتون » اسرائيلية تسير بسرعة فى ذعـر · فى خط متعرج · وشاهدتها وأنا راقد تطلق نيرانها · ونيران قواتى تلاحقها ··· ثم تصيبها طلقة من قاذف مشاة· وتأتى الطلقة فى قاعدة المدفع فينثنى ··

وتستمر فى سرعتها الجنونية وهى تطلق الرشاشات·ويصيبها صاروخ ، وطلقات مضادة للدبابات · وتتوقف · وتبدأ فى الانفجار·

وأسمع أصوات المقاتلين من حولى · رجالى · كل واحد يقول : لقد أصبتها ·· لقد دمرت الدبابة بأكثر من سلاح · ولم ينج أحد من طاقمها ··

استمر الدم يسيل من ساقى اليمنى بغزارة ··

ورفعت رأسى للسماء ، أشكر الله أن حقق لى نعمة التضحية من أجل مصر . . وسرحت ــ لحظات ــ فى أشياء كثيرة . مختلفة .

وتستمر معركة تدمير دبابات العدو .

وتحققت العقيدة التي غرسناها في قلوب الرجال « ان دبابات العدو المخترقة هي بمثابة لقمة سائغة لرجال جائعين .. » .

وأشهد المعركة وأنا راقد على قمة الميل الخلفي للنقطة ١٢١ . أكتفي بمشاهدة رجالي يثأرون لي .. يثأرون لأنفسهم .. يثأرون لقواتنا .. لمصر كلها !

وتتوالى الانفجارات من حولي .. مدفعية .. طيران .. نيران دبابات . وكان أهم سلاح في المعركة هو الانسان نفسه . المقاتل الفرد الذي يتصرف ذاتيا دون أي أوامر . وعن اقتناع .

ومع مغيب الشمس تنتهي معركة تدمير الدبابات .

ويهرع الى جنودي .. رجالي .. أبطال لواء النصر ..
ويسألونني : أين كنت ؟

وأرد على لهفتهم : هل كنتم تريدون أن أتوقف ، أو أدخل حفرة تاركا العدو يركب القمم العالية . ويتحكم فينا .. ؟ لا .. لقد ركبنا القمم .. حققنا أكبر عمق في الجيش الثاني !

أخذوا يبحثون عن طبيب . ويضمدون جراح ساقي المبتورة برباط الميدان فوق كومة الرمال والدماء .

الجرح تلوث .. غير مهم !

ويحضرون عربة مدرعة لاخلائي . ويلتف حولي خليط من مركز ملاحظتي من قادة وجنود . جميعهم متأثرون ، وأنا متماسك .

وأصدرت تعليمات قتالي الأخيرة . لا تعلنوا خبر اصابتي ، حتى لايؤثر ذلك في معنويات رجالي . أخطروا عبد الباري للحضور لتولي القيادة بدلا مني .

وأصدرت تعليمات تنظيم الدفاع · بتربيط القوات مع الجار الأيمن ، والجار الأيسر وكذلك تعليمات الى قائد كتيبة الدبابات ·

وأنظر فى وجوه رجالى · أرى وجها غائبا · وأصيح فيهم وأنا راقد : أين المقدم مدحت ؟

ويردون : انه يبحث مع بعض الجنود عن شيء وسط الرمال · فى ضوء القمر ·

وأخيرا يعود المقدم مدحت وقد عثر على ما يبحث عنه · يعود ومعه ساقى اليمنى التى طارت · يحضرها بحذائها ·

ويضعها فى السيارة المدرعة التى سأتحرك بها ·· لقد ظنوا أن الاطباء يمكنهم اعادة ساقى الى مكانها مرة أخرى ·· !!

وتبدأ رحلة العودة ليلا · رحلة البحث عن الطريق · والبحث عن مستشفى ميدانى · وأرى مجموعة تندفع من ضباطى لمرافقتى ·

وأصرخ فيهم : لا ·· يكفى سائق العربة ·· والمساعد عبد الرسول ··

وتمضى العربة ليلا ··

الباب الأول

معركة الإعداد للمعركة

الفصل الأول

بداية انحسار نكسة الظلم عن القوات المسلحة

كانت عملية اعادة بناء القوات المسلحة فى حد ذاتها عملية شاقة وضخمة . وكان على الجيش المصرى أن يبدأ من جديد . وكان الاعداد للمعركة نفسه معركة شاقة . فيها جهد بلا حدود . وفيها تضحية بلا ضجة . وفيها افناء للذات ..

وقد أجرت قيادة القوات المسلحة العديد من الأبحاث النظرية . وعملت المراجع لاقتحام قناة السويس حتى بدأت ـ وفى وقت مبكر جدا ـ عملية انحسار نكسة الظلم عن القوات المسلحة .

الفرقة ١٨ المشاة

وتسير العربة فى الظلام ، بداخلها ٣ أفراد ، السائق والمساعد عبد الرسول وأنا راقد على الكرسى الخلفى · وساقى اليمنى بجوارى ·· وشريط طويل عميق من الأحداث ··

انها أيام لن تنسى فى حياتى وفى حياة كل فرد من أفراد القوات المسلحة · كنا قد فقدنا أغلب أسلحتنا ومعداتنا الثقيلة فى ١٩٦٧، وكان العدو الاسرائيلى على الطرف الآخر يقف مستكمل العتاد ، مرتفع المعنويات ، وبدأ فى انشاء تحصينات خط بارليف على الضفة الشرقية لقناة السويس ·

وعندما حدثت نكسة ١٩٦٧ كنت خارج مصر · وعدت الى الوطن فى أول عام ١٩٦٨ وعينت رئيسا لاستطلاع الفرقة ·

ونقف عند هذه الفرقة · لأنها تمثل تحولا ضخما جديدا فى اعداد قواتنا المسلحة واعادة بنائها ، وفكرا جديدا فى التدريب على

اقتحام الموانع المائية في معركتنا لقادمة · فقد كان علينا أن نعيد تكوين جيشنا مرة أخرى · وندربه على معركة جديدة عليه ، وهى اقتحام أكبر مانع مائى فى التاريخ العسكرى · وكان علينا فى الوقت نفسه أن نرفع الروح المعنوية · وان نعيد الثقة التى اهتزت بين القائد والجندى نتيجة لمعركة ١٩٦٧ ·

لكل هذه الأسباب وأكثر منها ، تشكلت الفرقة ١٨ المشاة لكى تكون مدرسة جديدة للقوات المسلحة فى التدريب على اقتحام الموانع المائية ، بواسطة جنود ذوى نوعية خاصة · كلهم من أصحاب المؤهلات العليا والمتوسطة · القائد والضباط ممتازون وعلى درجة عالية من الكفاءة العسكرية ·

وقد أجرت قيادات القوات المسلحة · وقيادة الفرقة وقادتها العديد من الأبحاث النظرية ، وتم عمل مراجع لاقتحام قناة السويس على أساس من دراسات الضباط المصريين ، كما عملت محاضرات فى الكلية الفنية العسكرية لمناقشتها حضرها صفوة ضباط القوات المسلحة ، وعلى رأسهم الفريق الشهيد عبد المنعم رياض رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة وكنت أحد المحاضرين الأساسيين فى هذه الدراسات ·

وقد تدرجنا فى التدريب العملى للفرقة من مستوى الفرد ··· الى مستوى الطاقم والجماعة ثم الى مستوى الفصيلة التى تتكون من حوالى ٣٠ جنديا · الى مستوى السرية المكونة من أكثر من مائة جندى · الى مستوى الكتيبة · ثم الى مستوى اللواء والفرقة بالجنود · وقد تم اجراء العديد من المشروعات بالذخيرة الحيـة ، وفى ظروف تماثل ظروف المعركة واشتركت كل الأسلحة فى تجاربها · وعلى سبيل المثال :

* اشترك المهندسون فى اعداد المنازل فى الضفة الغربية والمطالع

في الضفة البعيدة ، وكذلك في اقامة المعديات والكبارى وانشاء الطرق والمحاور ٠

* كما قامت وحدات الدفاع الجوى بتأمين أعمال قتال الوحدات المختلفة بالتعاون مع القوات الجوية ٠

* وقامت المدفعية باسكات مدفعية العدو ونقطه الحصينة وتقديم المعاونة في كل مراحل المشروعات ٠

* كما اشتركت وحدات الصاعقة المترجلة وطائرات الهليوكبتر في التدريب ٠

ثم أجرت هذه الفرقة العديد من المشروعات التدريبية ليلا ونهارا على مانع مائى يشابه قناة السويس مع اقامة سواتر ترابية في الضفة البعيدة تماثل تحصينات العدو الاسرائيلى ٠

وقد كنا واقعيين في التدريب وأذكر أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر زارنا ووضعنا أمامه النتائج الحقيقية لمستوى التدريب دون خداع ٠ وقد ألقى خطابا بعد خروجه من الفرقة وأذيع الخطاب بوسائل الاعلام المختلفة وقال فيه : انه لأول مرة استمع الى نتائج واقعية وحقيقية لمستوى تشكيل بالقوات المسلحة ٠

الحيـــاة والموت :

أريد أن أقف هنا لحظات لأروى حادثين وقعا لى في أثناء خدمتى في الفرقة ١٨ وهذان الحادثان يؤكدان بوضوح أن «لكل أجل كتاب» أو كما يقول المثل الشعبى « ادينى عمر وارمينى البحر » ٠

الحادث الاول وقع عندما كنت أجرى تدريب « تطعيم للمعركة » لجنود من عناصر الاستطلاع بحضور قائد الفرقة٠والتطعيم

للمعركة معناه أن يتحرك الجندى مستخدما الأرض والساتر مع اجتياز موانع صناعية عديدة ، وفى الوقت نفسه تنطلق عليه نيران حقيقية لأسلحة عديدة تماثل أسلحة العدو ، مع عمل ترتيبات أمن لسلامة الجندى ما دام يتحرك بطريقة صحيحة ٠

وفى أثناء اجراء التطعيم للمعركة رفع جندى رأسه أكثر من اللازم فأصابته طلقة من رشاش واخترقت الطلقة الخوذة ٠ ووقع الجندى على الأرض ٠ وبدون تفكير أمرت الجندى بالنهوض ٠ وفوجئت بالجندى ينهض ويستأنف تقدمه ٠

بعد ذلك فحصت خوذة الجندى فوجدت الطلقة مخترقة الخوذة من الجانبين فوق أذن الجندى تاركة أثر خط دائرى داخل الخوذة وخارجة من جهة الأذن الأخرى ، وتاركة أثر مرورها فى شعر رأس الجندى ٠ ولكن الجندى نفسه لم تلحق به أية اصابات ٠٠ بدرجة لا يمكن أن يتصورها أحد ٠٠

ولهذا فنحن كعسكريين نقول ان الطلقة تخرج من المصنع وقد كتب عليها اسم صاحبها ٠٠ أى كتب عليها اسم الانسان الذى تصيبه ولو كان لك بقية من أجل فلن تصيبك طلقات العدو ٠

القصة الثانية أو الحادث الثانى وقع بعد اجراء مشروع الفرقة ١٨ المشاة لاقتحام مانع مائى ٠ وكنا قد أعددنا لهذا المشروع لفترة زمنيـة طويلة ٠ وكان الارهاق باديا على وجوهنا جميعا ٠ واستمر المشروع خمسة أيام لم يغمض لى فيها جفن ٠ وأذكر أن قائد الفرقة شكرنا فى نهاية المشروع ثم بدأنا الاعداد لرحلة العودة الى القاهرة ٠

وكانت رحلة العودة تستغرق أكثر من ثمانى ساعات ، ولكى يتصور الفرد العادى معنى تحرك فرقة مشاة مدعمة للعودة يتصور

حوالى ٦ آلاف عربة ودبابة ومعدات ثقيلة تتحرك على محور واحد . فلو اعتبرنا أن الفاصل بين كل عربة وأخرى حوالى ٥٠ مترا ، لتصبح كثافة التحرك حوالى عشرين عربة فى الكيلو الواحد أى أن طول رتل الفرقة يتراوح بين ٢٠٠ الى ٢٥٠ كيلومترا .

وفى أثناء رحلة العودة دعانى اثنان من ضباط عمليات الفرقة للنـوم معهما في عربة لورى بهـا مرتبة على الأرض .. وجاملتهما وذهبت معهما ونمت .

وفى أثناء نومى حلمت أن مدفعا من المدافع القديمة الموجودة فى المتاحف والتى تضرب كورا من الحديد .. ضرب كورة حديد أصابت رأسى .. فمددت يدى الى رأسى أتحسسها فوجدت دمى الساخن الحقيقى يغطيها .. ويتدفق منها قمت من نومى مفزوعا ترى ماذا كان السبب ؟ لقد اتضح لى أنهم وضعوا دولاب حفظ وثائق يسمى « شانون » داخل العربة ووضعوا فوقه آلة كاتبة عريضة ولم أشاهد الدولاب ولا الآلة بسبب الارهاق الشديد . وكان نومى تحتهما ، ولكن نتيجة لتحرك العربة اهتزت الآلة الكاتبة ووقعت فوق رأسى مباشرة ، ولحسن حظى لم يصبنى الا ذراع الآلة الكاتبة فقط . وقام الضـباط مفزوعين وأحضروا رباط ميـدان طبى . ربطوا به رأسى لايقـاف النزيف . واحتـاروا لأن الرتل متحرك ولا يوجـد طبيب قريب منا .

وفى أثناء اسعافى والعربة متحركة ضمن هذا الرتل الضخم شممت رائحة « شياط » تتصاعد من العربة نتيجة اشتعال جزء ما فيها . واضطر السائق للوقوف بالعربة خارج الطريق حتى لا يعطل الرتل الضخم وظهر أن « شكمان » العربة خرجت منه شرارة أشعلت شبكة تمويه العربة وامتدت الى باقى أجزائها .

واضطررت وأنا فى هذه الحالة من النزيف والارهاق الى الاشتراك مع الرجال فى اخماد نيران العربة ٠

ووصلت الى منطقة تجمع الفرقة النهائية بعد المشروع بحوالى عشر ساعات ٠ ونظر الى قائد الفرقة وفوجىء بمنظرى الشاحب المتهالك وقد اختفت عنى حيويتى المعهودة فسألنى : مالك يا عادل ؟

فقلت له « ولا حاجة يافندم ٠٠ كنت حاموت موتة كلابى » ٠

وقصصت له ما حدث ٠٠

فقال : أصلك كنت فى المشروع شعلة ٠٠ وكانوا بيحسدونى عليك ٠ الحمد لله اللى جت كده !

وانتهت أيامى مع الفرقة ١٨ المشاة ٠٠

وكانت هناك مهمة أخرى تنتظرنى ٠٠

تركت أحدث فرقة فى القوات المسلحة ، الى أعرق كتيبة من كتائب المشاة ٠٠

الكتيبة السابعة المشاة :

عينت قائدا للكتيبة السابعة المشاة ، وكانت فى هذا الوقت تتمركز فى بور سعيد وتتولى الدفاع عنها ٠٠ وهذه الكتيبة لها ماض عريض فى القوات المسلحة اذ أنها من الكتائب القديمة التى حافظت على التقاليد العسكرية ، وسبق أن تولى قيادتها قادة ممتازون منهم المشير أحمد اسماعيل على القائد العام للقوات المسلحة ٠٠ وقد عملت

معه فى هذا الوقت كرئيس استطلاع للواء السابع المشاة فى منطقة أبو عجيلة ٠

وكنت فخورا جدا لأنى أتولى قيــادة كتيبة عريقة لها تاريخ عسكرى مشرف ٠ ولكن كانت امكانيات الكتيبة عند تسلمى لها محدودة سواء فى العربات أو المعدات أو الأفراد ٠

كان معروفا فى القيادة وبين الضباط وبعض المدنيين أننى بعد أن توليت قيادة الكتيبة سأتحرك بها الى رأس العش شرق القناة ٠ ولهذا حاولت كل جهدى وبشتى الوسائل تنفيذ ثلاث مهام أساسية:

* التعرف على كل فرد فى الكتيبة ٠
* رفع مستوى التدريب والاستعداد القتالى ٠
* خداع جميع الأفراد عسكريين ومدنيين لاخفــاء نية التحرك الى رأس العش ٠

وقد تم تعرفى على كل أفراد الكتيبة وتقييمهم من خلال حصر شامل استغرق منى ٦٠ ساعة عمل اضافية الى وقت عملى ٠ فقد قابلت خلالها كل فرد على انفراد لمدة ١٠ دقائق ملأت خلالها نموذجا به أسئلة معدة من قبل لكل فرد ، اقتنع بعدها كل ضابط وصف ضابط وجندى أن قائد الكتيبة الجديد يعرفه معرفة شخصية ٠ وأنه فتح له صفحة فى ملف الكتيبة الذى أنشأه عنهم ٠

وعملت عدة اختبارات للوقوف على مستوى الكتيبة الفعلى ، وكفاءة الضباط ٠٠ كما فتشت بنفسى على الأسلحة والمعدات والحملة والذخائر للتأكد من درجة الاستعداد والكفاءة القتالية ، وقد مزجت تدريب الكتيبة بالسرية والخداع ٠ فأجريت عدة تدريبات ومشروعات على الدفاع عن مدينة بور سعيد واجراء هجمات مضادة لاسترداد أجزاء من المدينة ٠

وقد ركزت هذه التدريبات خلال اليوم السابق لتحرك الكتيبة الى رأس العش • فتم رفع درجة الاستعداد للكتيبة بعد منتصف الليل •• ثم أزعجت المدنيين بتجارب هجمات مضادة ليلية لاسترداد مناطق حيوية من المدينة • وكان التدريب عنيفا وجادا لدرجة أقنعت الجميع أن الكتيبة لن تتحرك الى رأس العش •

وفى مساء اليوم التالى كانت مقدمات الكتيبة ثم باقى الكتيبة تتحرك لتتمركز فى منطقة رأس العش شرقا •

وكان هذا فى منتصف عام ١٩٦٨ •

رأس العش شرق :

موقع رأس العش شرق عبارة عن شبه جزيرة جنوبى بورسعيد، يحدها من الشمال قناة الملح وهذه تصل من قناة السويس الى بحيرة البردويل . ويحدها من الغرب قناة السويس نفسها. ويحدها من الجنوب نقطة قوية أنشأها العدو الاسرائيلى عند علامة الكيلو ١٠ جنوبى بور سعيد ، والتى زرع أمامها حقول ألغام كثيفة •

والى الشرق من الموقع كانت هناك بعض المستنقعات والمناطق السبخية التى تعتبر امتدادا لبحيرة البردويل •

وكانت القوات المصرية تتمركز عند علامة الكيلو « خمسة ونصف » تاركة بينها وبين النقطة القوية الاسرائيلية أرضا حراما تعمل فيها دوريات وكمائن مصرية واسرائيلية ليلا •

وتعتبر رأس العش هى بداية انحسار نكسة الظلم عن القوات المسلحة • فقد قاد ملازم شاب من الصاعقة بعض حاملى قاذف الأربجيه المضاد للدبابات وتمكن مع رجاله من صد سرية دبابات

اسرائيلية كانت متقدمة فى اتجاه مبنى الكرنتينا على قناة الملح . وتمكنوا من تدمير ثلاث دبابات للعدو . وارتد الباقى جنوبا . وتم تعزيز الموقع بعد ذلك بوحدة مظلات ثم وحدة مشاة مصرية .

نعود الى كتيبتنا ..

عندما وصلت الكتيبة السابعة المشاة الى المنطقة استمررت فى اتباع النظام الدفاعى نفسه حتى لا يكتشف العدو وصول وحدات جديدة لنا .

بعد يومين بدأت العمليات ، دفعت كمينا للسيطرة على الأرض الحرام أو بالتحديد على جزء من الأرض الحرام . وفى اليوم الثالث خرجت بنفسى فى داورية استطلاع نهارية ومعى فرد واحد من الكتيبة . وكان هذا منتهى الاندفاع منى كقائد كتيبة . ولكنى اردت دراسة الأرض الحرام ، وفى وقت لا يتوقعه العدو من قائد كتيبة وهو حوالى الساعة الواحدة ظهرا فى قيظ الصيف .

وقد أفادتنى جدا هذه المغامرة عندما اتخذت قرار الاستيلاء على الأرض الحرام .

ولرفع الروح القتالية عملت خطة لخروج الدوريات والكمائن من الكتيبة بحيث يشترك فيها جميع ضباط الكتيبة مهما كانت مهمتهم الأصلية ، لأننى أعتبر أن العمل ضمن داورية هو العمل القتالى المتكامل الذى يعلم الفرد جميع أنواع القتال ، من ضرب نار ، الى استخدام أرض ، الى دراسة تكتيكات وأسلحة العدو وتمييزها . وكذلك استخدامها ، والتغلب على موانع وألغام العدو وأعمال المهندسين المختلفة ، الى عمل الاسعافات الطبية .. الى آخر مايتطلبه عمل المقاتل الكامل ، والمقاتل الذى يكون كفؤا فى الداورية أو الكمين هو المقاتل الكامل .

وقد حدث أن أبلغني رئيس عمليات الكتيبة أن ضابطا برتبة نقيب وهو قائد سرية رفض أن يعمل قائدا لداورية من خمسة أفراد بحجة أن هذه المهمة بسيطة بالنسبة لرتبته . وكان ضابطا جيدا ولم أرغب فى معاقبته . فعقدت مؤتمرا للضباط على شاطئ قناة السويس وشرحت لهم الحكمة من خروج الضابط للداورية وأن المقاتل يؤدى ما يؤمر به .

ثم توجهت للنقيب وقلت له « لقد قررت الغاء تعيينك قائدا للداورية » ... ثم سكت قليلا وقلت له « ستعمل يا فلان ... فردا فى الداورية » وسيكون قائد الداورية اليوم هو قائد الكتيبة .

وكان ضابط استطلاع الكتيبة فى هذا الوقت المقاتل «علام» . وهو من بور سعيد وألح هو الآخر أن يكون ضمن أفراد الداورية وقبلت .

وكانت ليلة وقف لها شعر الجميع . فقد علمتهم كيف تعمل داورية الاستطلاع بجرأة وخبرة وهي هوايتى التى أعشقها بصفتى ضابط استطلاع قديم . وبعد العودة أخذ الضباط وأفراد الكمين يتكلمون مع باقى الكتيبة عن قائد الكتيبة الجديد وما عمله ، وكيف كان يحمل بندقيته وقنابله اليدوية مثله مثل أى مقاتل كامل .

فى الليلة التالية دفعت كمينا بقيادة المقاتل « صلاح » ضمن خطة السيطرة على الأرض الحرام . وقد اصطدم فى أثناء عمله بداورية اسرائيلية وحدثت اصابات فى الجانبين واستشهد من الكتيبة المقاتل « شعراوى » وجرح المقاتل « صلاح » ... وبسرعة أمرت بدفع داورية بقيادة المقاتل « عصام عبود » لنجدة صلاح

وكان اندفاع داورية عصام وقت خروجها مثاليا ، اذ أننى أخذت التمام بعبوره ثغرة حقل ألغامنا بعد أقل من عشر دقائق .

وقد أربك هذا الداورية الاسرائيلية واستولينا على مهمات وأسلحة ووثاق اسرائيلية ٠٠ كما ترك العدو آثار دماء وجر جثث القتلى والجرحى ٠ وكانت هـذه أول عملية احتكاك بين العـدو والكتيبة السابعة المشاة فى رأس العش شرق ٠

فى اليوم التالى صـدرت لى الأوامر بدفع فصيلة نقطـة أمام الكتيبة بحوالى ٥٠٠ ـ ٦٠٠ متر ٠ والحقيقة أننى فكرت ووجدت أن هذه هى فرصتى لأستولى على الأرض الحرام كلها ٠

عقدت ظهر هذا اليوم مؤتمرا لكل ضباط الصف وقلت لهم اننى قررت اليوم الاستيلاء على الأرض الحرام وعدم السـماح لأى جندى اسرائيلى ان يخطو فيها ٠ واننى أعتمد عليهم كقادة أصاغر فى الكتيبة ٠

عينت قائد فصيلة المقدمة ملازم أول احتياط « أحمد » ولم تكن له الخبرة ولا الدراية ولكننى توسمت فيه الجدية والرجولة ٠٠ كما أن قائد سريته النقيب « عصام » كان ضابطا ممتازايتمتع بهدوء وذكاء وضمير حى ٠ وكانت مهمة هـذه الفصيلة أن تندفع أمام الكتيبة وتحتل موقعا على اتصال بالعدو ٠٠ يليها باقى السرية لتحتل موقعا متقدما عند علامة الكيلو ١٠ وترص الكتيبة فى الليلة نفسها أمامها حقول ألغام لتعطيل هجمات العدو المضادة ٠

ونظرا لعدم وجود أى نوع من العربات داخل شبه جزيرة رأس الغش شرق. فقد أعددت قولات بشرية مترجلة ٠ كل قـول عبارة عن ٢٠ رجلا يقودهم صف ضابط . وكل فرد يحمل لغمين مضادين للدبابات ٠

واندفعت الكتيبة السـابعة فى عملية ليلية صـامتة وفى

مجموعات منظمة ومنســـقة وتمكنت من تنفيذ مهمتها بنجاح ٠ واســتولت على الارض الحرام ، مزيلة من أمامهـا جميع داوريات وكمائن وموانع العدو ٠٠ وتم تامين المنطقة جنوب بورسعيد حتى الكيلو ١٠ ، وقد زرعنا فى الليلة الأولى بطريقة يدوية صـامتة حقول ألغام بلغ حجمها ٦٠٠ لغم مضاد للدبابات حملها الأفـراد مسافة أكثر من ٥ كم ٠

كانت هذه العملية ناجحة ولم يكتشفها العدو الا فجـر اليوم التالى عندما صعد فرد مراقبة اسرائيلى الى برج عال للمراقبة فاكتشف موقعا جديدا لنا بجواره ٠ فنزل بسرعة ورفع العـدو درجة استعداده ٠ وحاولوا استرداد الموقع ولكنهم لم يتمكنوا ٠ وتقدموا بشكوى لمجلس الأمن وكانت أول شكوى لاسرائيل فى مجلس الأمن بعد ٦٧ ٠٠٠ ولم أعلم حتى الآن مضمون شكواهم ٠

ربما تكون « لقد بدأ الجندى المصرى يسترد أرضه وحقه »٠

ولكن هذه العملية أمنت بورسعيد من ضرب مدفعية العدو ووضعت حدا لسيطرة العدو على الأرض الحرام ٠

بعد هذا طورت موقع رأس العش شرق بحيث أصبح مدرسة دفاعية ٠٠ غير نمطية ٠٠ عبارة عن جزر دفاعية كل جزيرة بها العـديد من المبتكرات التى تتمشى مع طبيعـة الأرض واحتمالات أعمال العدو ٠ وكان أغربها موقع سرية فى الجانب الشرقى أقمته فى أرض سبخية ومستنقعات ذات مياه ملحة لونهـا أحمر تغطى الأرض ، وكانت درجة ملوحتها مركزة لدرجة أنها تسـلخ الجلد بعد العمل فيها ٠٠ وبرغم ذلك أنشأت فيها مواقع لتصد العدو مع احتمال اســتخدامه مركبات متطورة تسمى « الهوفر كرافت » أو الوسادة الهوائية وهى تطير فوق سطح الماء أو الأرض بمسافة تتراوح بين مترين أو ثلاثة أمتار ٠

وقد أنشأنا هذا الموقع بأن أحضرنا براميل فارغة وحفرنا لها في قلب المياه • وأدخلنا البراميل داخل الحفر وثبتناها من أعلى بغطاء رأس جديد ، فوقه شكاير رمل مملوءة من مكان بعيد ، وحفرنا خنادق مواصلات داخل المياه الملحة، وكانت طبيعة الأرض متماسكة تحت المياه بحيث يستمر الخندق تحت المياه بحالة صلاحية جيدة •

وكان على الجندى أن يمشي فى خندق المواصلات وسط المياه الملحة حتى يصل الى البراميل فيدخله ويشتبك من داخله •

ومن الطرائف أنه بعد نجاح العملية بحوالى عشرة أيام أنشأنا ملعب كرة طائرة خلف ساتر أنشأناه على الحد الأمامى للدفاع على بعد حوالى ٣٠٠ متر من العدو ، وأقمت فيه مبارة بين أفراد الكتيبة مع تخصيص أفراد وأسلحة غير ظاهرة لوقايتهم فى حالة تدخل العدو ، وقد رفعت هذه المباراة من روح جنودنا المعنوية •

وفى هذا الموقع زارنى الفريق الشهيد عبد المنعم رياض رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، ومعه اللواء عدلى السعيد قائد الجيش الثانى • وقد وصل الى الموقع بواسطة « لانش » من هيئة قناة السويس • وبمجرد نزوله تقدمت لأداء التحية ـ فأمسك بيدى وسألنى « المقدم الفاقد عادل يسرى ؟ » •

فأجبت « أيوه يافندم » •

فقال لى « بلاش تهور • وماتطلعش دوريات تانى • لأنك قائد كتيبة » •

فقلت له « سيادتك بعد عمليات ٥٦ ، ٦٧ اهتزت الثقة فى

القائد .. وأنا كنت مضطرا أن أقوم بأعمال غير عادية ، لكى يشعر الضابط والجندى بالثقة فى قائده قبل المعركة » .

بعد ذلك تقدم الفريق عبد المنعم رياض ومعه اللواء عدلى حتى الحد الأمامى وصعد الى برج بسيط كنا استلفناه من بلاج بورسعيد. ثم جلس مع الجنود ببساطة يسمع لهم . وكأن لهم سؤال واحد « متى نبدأ القتال .. ؟ » .

فى أثناء الزيارة كنت أنسب كل عمل ممتاز يراه الفريق رياض لفرد من الكتيبة . وكنت أشيد بالجنود والضباط الاحتياط والضباط الذين يعملون معى .

فتأثر الملازم أول أحمد وقال لسيادته « كل عمل بتشوفه فى الكتيبة . المقدم عادل يسرى وراه ، لأنه بيشرف على كل حاجة » ..

فرد يرحمه الله « يابنى لما القائد يقول ان العمل ده عمل فلان فليس معنى ذلك انه بيقلل من قيمة نفسه ، بالعكس ده بيرفع رجاله وبيرتفع معاهم » .

وسألنى الفريق رياض فى أثنـــاء زيارة الموقع « ازاى حال كتيبتك ؟ » .

فأجبت بثقة « أحسن كتيبة فى القوات المسلحة يافندم »

فنظر لى بدهشـــة وقال « مش تترك غيرك يا عادل يحكم عليك .. ؟ » .

فقلت له : لو سمحت يا فندم .. اعفنى من حكم الناس .. ممكن سيادتك تعطينى مهمة قتال أخرى . ومن خلال تنفيذ هـذه المهمة أثبت لكم أنها أحسن كتيبة .

فسكت قليلا ثم قال « طيب يا عادل .. حا ابعت لك مهمة

فتال ان شاء الله » وفعلا كلفني بمهة قتال نستطيع الآن أن نكشف عنها ، وهى أن تقوم الكتيبة السابعة المشاة بمعاونة كتيبتي صاعقة تدعمهم دبابات ووحدات مدفعية ودفاع جوى ومهندسون باقتحام موقع العدو في رأس العش شرق والاستيلاء عليه ثم تطور عملية الهجوم جنوبا مستولية على جميع النقط القوية حتى تصل الى منطقة جسر الحوش شمال القنطرة ، وتعزز هناك •

كانت هذه العملية تتطلب اجراء استطلاع شخصي تسلقت خلاله كل الاشجار التى عليها نقط ملاحظة لنا على الضفة الغربية حتى جسر الحرش • كما جمعت المعلومات من جميع المصادر ودرست جميع مواقع العدو واحتمالات أعماله • ودرست الأرض دراسة تفصيلية ، وبناء على ذلك تم وضع قرار وخطة عمليات •• وخطة تدريب كاملة لجميع الوحدات المنفذة للعملية •• وتم كل ذلك فى سرية تامة •

وفى أثناء الاستطلاع وجدت للعدو لافتة كبيرة جدا فى نقطة التينة القوية كتب عليها باللغات العربية والانجليزية والعبرية :

سنة ١٩٤٨	**أخذنا فلسطين**
سنة ١٩٥٦	**أخذنا شرم الشيخ**
سنة ١٩٦٧	**أخذنا سيناء**
سنة ١٩٧٠	**سندخل القاهرة ! ! !**

وفى أثناء قراءتى للوحة •• نادى على جنـدى اسرائيلى ولم أكن أضع علامات الرتب التى تبين اننى قائد •• وقال :

مصرى •• مصرى •!• أنا كنت فى العريش امبارح وكنت نايم مع أختك هناك ••

وغلى الدم فى رأسى • • ولم أرد ولكننى دعوت الله ان يسمح لى بالهجوم على هذا الموقع ••،

وأصبحت العملية جاهزة ••

ولكن لم يتم تنفيذ هذه العملية ولم يكتب لها ان ترى النور وذلك لأسباب غير معلومة •• ربما لأسباب سياسية •• أو لأن القوات المسلحة لم تكن مستعدة اذا طور العدو هذه العملية المحدودة الى عمليات شاملة •

كانت الخدمة فى منطقة رأس العش مليئة بالمواقف العصيبة فكانت الألغام تنفجر بمعدل يومى من ٧ الى ١٠ ألغام مضادة للدبابات نتيجة للتربة الملحة •• وأصبح سماع الانفجارات ليلا ونهارا وحوادث الألغام من الأمور العادية •

ومن قصص الألغام المثيرة ان المهندسين نسوا لغما فى ثغرة فى حقل ألغام ، وفى أثناء عبور عربة المهندسين محملة بحوالى ٢٠٠ لغم مضاد للدبابات فى الثغرة مرت على اللغم فانفجر • وبرغم قوة الانفجار لم تنفجر الألغام المحمولة ولم يجرح السائق ولم يصب زميله الجندى الآخر المتعلق برفرف العربة لارشاد السائق •• وتبعثرت الألغام داخل الحقل ولو انفجرت لكان انفجارها مماثلا لقنبلة ذرية صغيرة ! !

وأذكر أننى استيقظت مرة على اشتباك بنيران الأسلحة أمام ملجئى حوالى الساعة الثالثة صباحا •• أخذت بندقية بجوار سريرى، وكفة قنابل يدوية واندفعت بسرعة خارج الملجأ • الملاصق لقناة السويس • نظرت ووجدت أفراد الخدمة التى تحرسنى ليلا تضرب نارا •

امرتهم بايقاف الضرب .. وسألتهم فقالوا ان هناك ضفادع بشرية فى القناة حضرت لمهاجمتى . نظرت بتركيز فى المياه واكتشفت أن هناك عددا من الدرافيل - وهو نوع من السمك يسبح تحت الماء وفوقه ، قد دخل قناة السويس ووصل حتى مكان ملجئى .. والجنود الذين اشتبكوا مع الدرافيل كانوا يرونها لأول مرة .

برغم الجهد والتضحيات التى ذكرتها كانت هناك تعبئة للشعور المعادى للقوات المسلحة فى هذا الوقت .. أذكر فى أثنـــاء اجازة ميـدانية وأنا فى رأس العش وكنت أرتدى الزى العسكرى ومعى سيارتى الخاصـــة .. أننى قمت بتوصيل زميـل لى مع أولاده الى المستشفى الايطالى بالعباسية .. وفى أثناء عودتى من أمام كليـة الهندسة أشار الى ثلاثة من الطلبة بالوقوف .. فوقفت وفتحت باب السيارة لأننى ظننت أنهم يريدون الركوب وقلت « اتفضلوا » .

نظر بعضهم الى بعض فى خجل ثم قالوا « لو سمحت ارجع أحسن باقى الطلبة يكسروا عربيتك فسألت « ليه ؟ » قالوا « علشان انت ضابط » ..

وبسرعة فكرت فى الجهد والسهر والتضحيات والدم التى نبذل من أجلهم .. وهل يكون جزائى هو الضرب .. وتكسير عربتى ! !

نظرت فوجدت أمـامى عربات محترقة . وأخـرى مقلوبة ، ووجدت أنه لا فائدة من المناقشة . . فعدت ودمى كله يغلى لأننى تذكرت اليابان وكيف صنعوا المعجزات وانتصروا لانهم يقدســـون الرجل الذى يضحى من أجل بلده .. وكيف نحارب هنا .. ونجرح .. ونستشهد ..وكيف نكافأ بعد ذلك ! !

برغم هذا كانت القوات المسـلحة مستمرة فى العمل . لأننا كنا متأكدين أن هذا الشعور لابد أن ينتهى عندما تنتصر القوات المسلحة .. فقد كانت النكسة نكسة للبلد جميعه . لمصر كلها .

كانت الحياة في منطقة رأس العش شرق شاقة فقد كان النقل يتم فيها بواسطة أفراد مترجلين . وخلال هذه الفترة لا يمكن أن ننسى معاونة أبطال هيئة قناة السويس ، فقد كانت لنشاتهم تقوم بنقل الامداد والتعيينات حتى فى أثناء الاشتباكات .. كانت معاونتهم فعالة .. وكان يجمعنا الحب والاحترام .

ومن الأمور الطريفة قبل أن ننهى هذه الفترة في رأس العش أن هذه المنطقة كانت مليئة بالفئران . وفئران رأس العش أحجامها كبيرة جدا ، وخصوصا فى منطقة مطبخ الكتيبة .. عند الكرانتينة بجوار قناة الملح .. أذكر وأنا أمر فى احدى الليالى فى هذه المنطقة .. أن وجدت الأرض تتحرك .. أضأت الكشاف فوجدت سربا ضخما من الفئران تسير متلاصقة الأكتاف .. كتفا بكتف كالاخوة والأحباب . فكرت ثم بدأت أجرب أنواع السموم المختلفة .. ولكنها لم تجد .. أمرت كل جندى أن يحضر قطة وهو راجع من الأجازة وفعلا امتثل بعض الجنود ، وأحضروا معهم عددا كبيرا من القطط لكن الفئران زادت حجما ، واختفت القطط .. !

هذه الفئران هاجمت بعض الأفراد فى أثناء نومهم وعضت أنوفهم وأيديهم وأجزاء من أجسامهم . وكانت كثيرا ما تنزل قناة السويس ، وتختفى بين الأحجار المكونة لحائط قناة السويس .

جزيرة البلاح :

بقيت فى رأس العش حتى آخر ديسمبر ١٩٦٨ .. وفى هذا الوقت بدأ العدو يهدد جزيرة البلاح .. وهى على مسافة ٥٠ كيلومترا جنوبى بور سعيد .. وهنا فكرت قيادة الجيش فى وقف تهديد العدو الاسرائيلى . وفعلا أصدرت قرارا باحضار الكتيبة المشاة والمقدم الفاقد من رأس العش لتأمين هذه الجزيرة .. وكانت التعليمات تنص

على أنني مسئول لمدة ٤٨ ساعة متداخلة تقريبا عن رأس العش وجزيرة البلاح . وقد أمنت هذه العملية بأن سحبت فصيلة من كل سرية ودفعتها فى توقيت مبكر الى الجزيرة .

وقبل وصولنا الى الجزيرة كان بها كتيبة صاعقة وهى تعتمد فى عملهـا على الداوريات والكمائن وبالتالى لم تجـر أى نوع من التجهيز الهندسى الدفاعى ، ولكن بمجرد وصول الكتيبة السابعة الى الجزيرة بدأت ملحمة أخرى فى التجهيز الهندسى لكى ننشىء موقعا دفاعيا غير نمطى بل غريب لأن الكتيبة كانت مسئولة عن الجزيرة وطولها ٩٫٣٠٠ كم بالاضافة الى الضفة الغربية للقناة وبعمق يصل الى أربعة كيلومترات . وهذا كثير جدا على الكتيبة .

ولهذا اعتمدت من البداية على عمل خطة خداع للعدو تغطى الواجهة والعمق بمواقع حقيقية وتبادلية وهيكلية بحيث يتم تأمين الجزيرة فى صورة جزر دفاعية .

وصممت برغم المواجهات الكبيرة أن أخلق احتياطيات مجهزة لمواجهة المواقف الطارئة . وكان الدخول الى الجزيرة يتم عن طريق مراكب خشبية صغيرة ولنشين تابعين لهيئة قناة السويس .

لم تكن فى مواجهة الجزيرة نقطة قوية ولكن داوريات العـدو واستطلاعه الجوى لاحظ نشاط قواتنا الجديدة فى الجزيرة .. فقام بعدة أعمال استطلاع . وكان من أهم هذه الأعمال الاستطلاع الذى أجراه موشى ديان يوم ١٢/١/١٩٦٩ ، وتقرر بعده انشـاء نقطتين قويتين اسرائيليتين عند علامة الكيلومتر ٥١ ، ٦١ .. أى فى مواجهة شمال وجنوب الجزيرة .

وكانت الأوامر مشددة لنا بعدم فتح النيران على العدو الا فى حالة هجومه أو دفاعا عن النفس . وكانت هناك نقط مراقبة لهيئة

الأمم المتحدة · ولهذا كان جهد الطرفين في التجهيز الهندسي والاعداد للمعركة ، ووضح لى تفوق العدو فى التجهيز الهندسى وارتفعت أمامى السواتر العالية التى تحجب الرؤيا ·· وأقيمت نقط قوية حصينة للعدو تعتبر من أقوى التحصينات فى التاريخ العسكرى ·

أردت في هذه الفترة اقامة كوبرى يربط جزيرة البلاح بالضفة الغربية . ولكن الامكانيات كانت محدودة ·· وكنا ندخر الكبارى للعملية الهجومية الشاملة ·

ولكن فى أثناء استطلاعى وجدت مجموعة ضخمة من «البراطيم» على الضفة الشرقية للقناة بين القنطرة وجزيرة البلاح · كانت أصلا لشركة قناة السويس · وتصلح لاقامة كوبرى عليها لو نجحت فى جذبها الى داخل الجزيرة · وكانت المسافة حوالى ٧ كيلو مترات ·

اتفقت مع قائد الكتيبة اليسار ـ المقاتل عبد الله ـ على أن نرفع درجة استعداد كتيبته وكتيبتى وأن نتعاون فى جذب البراطيم وسحبها داخل الجزيرة ، تحت ساتر نيران الكتيبتين ·

أى أعلنا الحرب على اسرائيل فى حالة تعرضها لعملنا ·

شكلت مجموعة لجذب البراطيم بقيادة النقيب عصام ومعه صف ضابط ممتاز اسمه الوزيرى ، وكانت المجموعة مكونة من حوالى ٤٠ فردا بالاضافة الى تشكيل مجموعات ساترة متحركة لوقاية تحركهم مع استعداد كل الكتيبتين للاشتباك الفورى بالعدو فى حالة تدخله ·

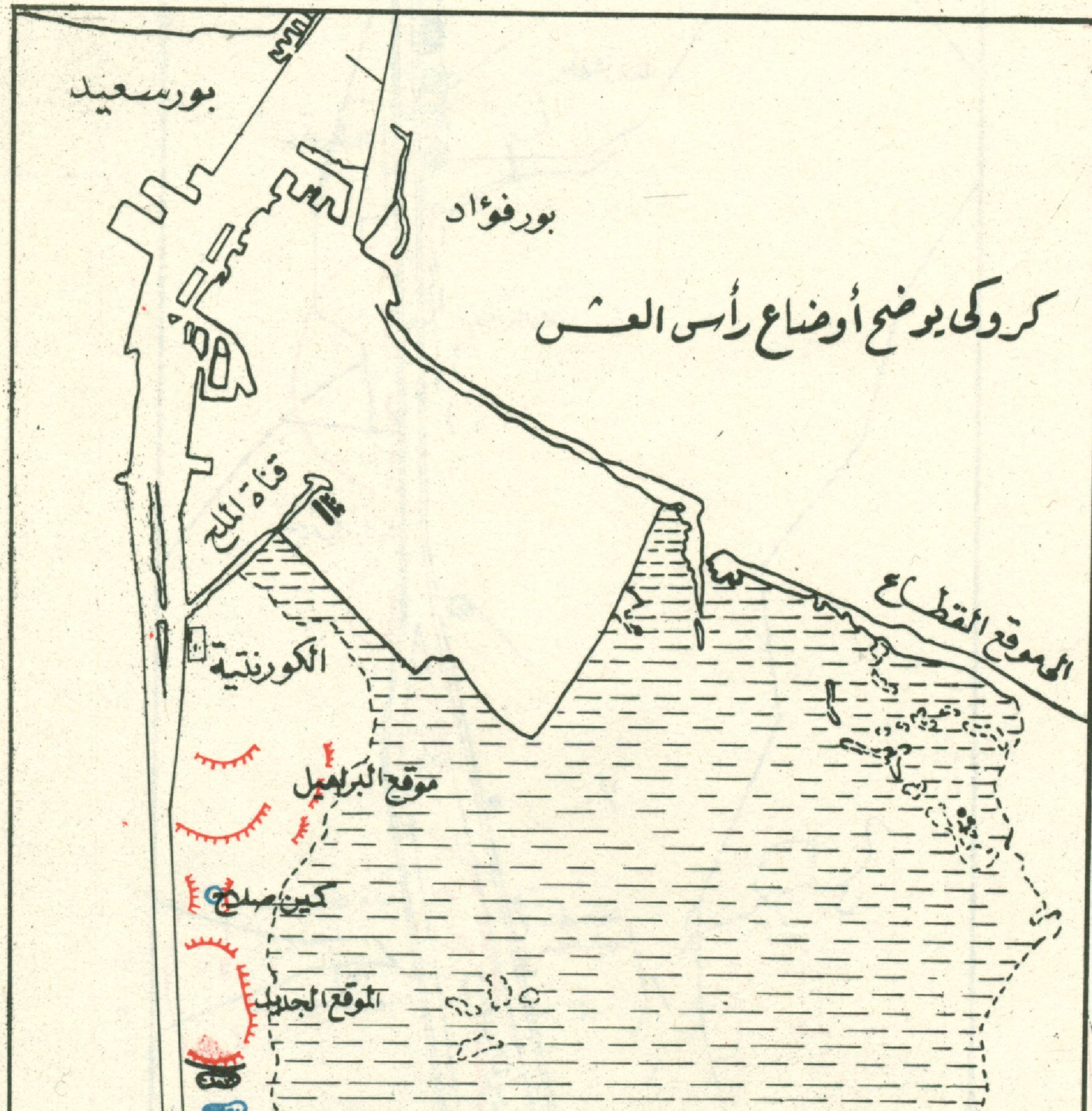
تم جذب البراطيم أولا للضفة الغربية ثم سحبناها مثل عملية سحب المراكب فى النيل بالحبال ضد التيار ·· واتضح أن المجموعة

مكونة من ٧٥ برطوما ٠ كل برطوم مثل البرميل الكبير جدا ، ويتراوح ثمنه ما بين ٤٠٠ الى ٥٠٠ جنيه ٠

بدأت عملية الجذب ليلا الساعة ٨ مساء فى صمت كامل وانتهت داخل الجزيرة الساعة ٣ صباحا ٠ وكانت أشق وأصعب مرحلة فى أثناء مرورنا ، وعلى يسارنا النقطة القوية المعادية عند الكيلو ٥١ وعلى يميننا حقل ألغام لنا مضاد للأفراد ، لأنه لو فتح العدو نيرانه علينا لاضطر الأفراد لالقاء أنفسهم فى الماء حتى يتم اسكات نيران العدو ٠

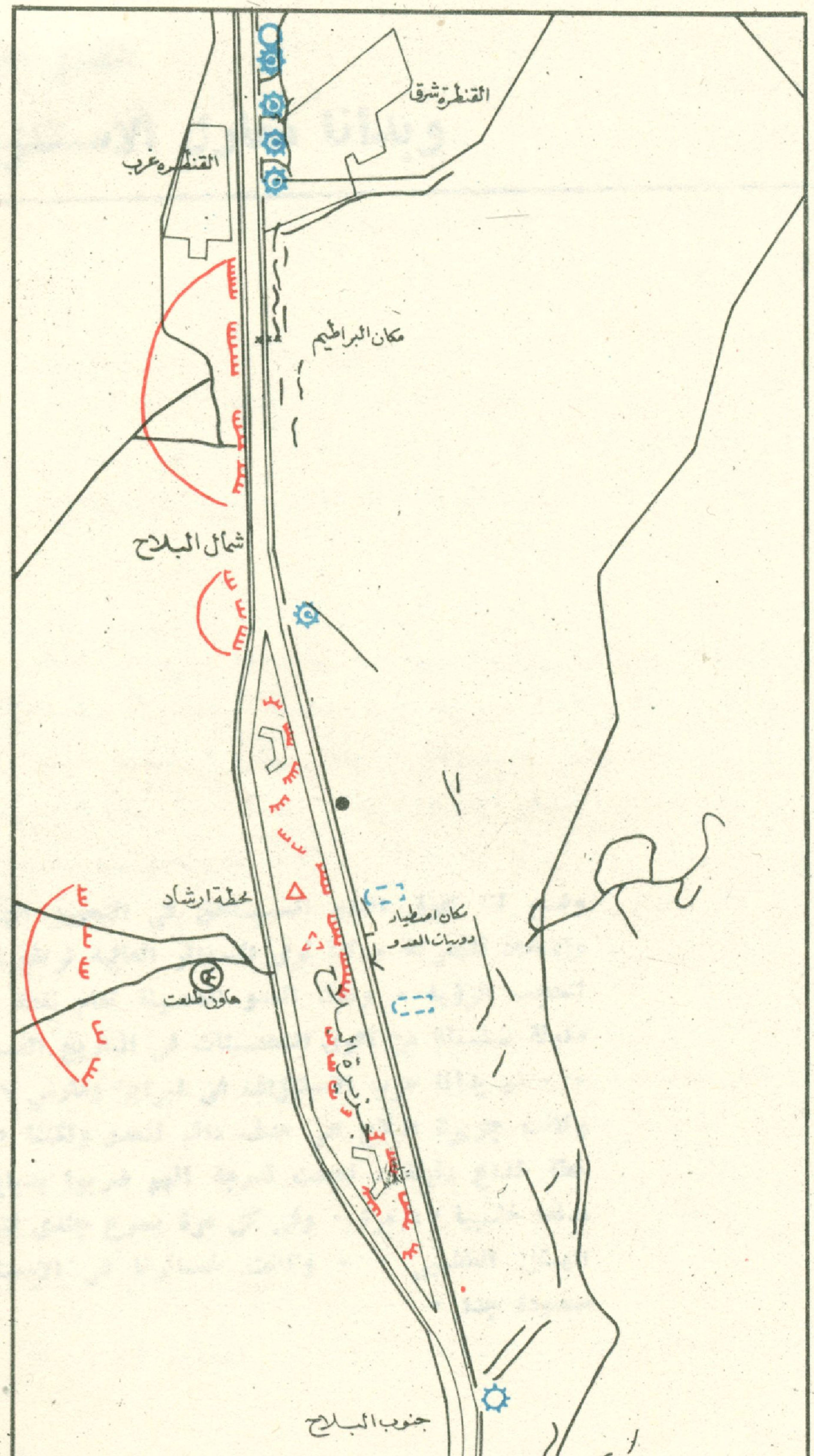
وعلى مدخل الجزيرة الشمالى كان فى انتظارنا لنشان لهيئة قناة السويس اتما سحب مجموعة البراطيم حتى داخل منتصف الجزيرة وسط فرح صاخب للجميع وعلى رأسهم قائد الكتيبة ٠٠ لقد امتلكنا كوبرى !!

وفى الصباح اتصلت برئيس مهندسى الجيش الثانى وكنت ألح عليه باستمرار فى طلب كوبرى فيعتذر فقلت له « الامكانيات حضرت للكوبرى » لم يصدق فى البداية ٠٠ ثم حضر ٠٠ وشاهد مجموعة البراطيم ٠٠ واندهش ولكن لم نعمل الكوبرى لأن البراطيم أخذت منى لأغراض أهم ٠



كروكى يوضح أوضاع رأس العش
بورسعيد
بورفؤاد
قناة الملح
الكورنتية
الموقع القطاع
موقع البراميل
كمين صلاح
الموقع الجديد
موقع العمدة
١٠

جزيرة البلاح



الفصل الثانى

وبدأنا معارك الاستنزاف

وضح لنا تفوق العدو الســاحق فى التجهيز الهندسى والاعداد للمعركة • كنا نرى السواتر العالية ترتفع أمامنا لتحجب الرؤية • ونقط العدو الحصينة تقام نقطة نقطة مكونة سلسلة من أقوى التحصينات فى التاريخ العسكرى • • ثم بدأنا حرب الاستنزاف فى فبراير ومارس ١٩٦٩ وكانت جزيرة البلاح هى هدف دائم للعدو ولكننا اتبعنا خطة خداع دقيقة ، نجحت لدرجة أنهم ضربوا بدباباتهم مدفعا خشبيا ١٧ مرة • وفى كل مرة يسرع جندى لترميم الهيكل الخشبى • • وكانت خسائرنا فى الاستنزاف محدودة جدا •

وبدأت حـرب الاستنزاف فى فبراير ومارس ١٩٦٩ وكان أحد الأهداف الانتقامية للعدو هى جزيرة البلاح التى كانت تفتح النيران عليه دائما • وظهر نتيجة الجهـــد الذى بذل فى التجهيز الهندسى •• وفى خطة الخداع التى اتبعتها بدقة •• وكانت خسائرى فى الاستنزاف محدودة جدا •• الأفراد كانوا يضحكون من قلوبهم لتخبط العدو •• مدفع خشبى هيكلى ضربته الدبابات الاسرائيلية ١٧ مرة •• وكل ما يقع يصلحه جندى ويرفعه لهم من جديد •

موقع دفاعى خداعى تجمعت عليه نيران جميع أسلحة العدو . دبابات ومدفعية وصواريخ •• واحنا بنضرب المختصر المفيد •• وكان المشاهد من الضفة الغربية لجزيرة البلاح أيام ٧ ، ٨ ، ٩ مارس ٦٩ يتصور أن خسائرى رهيبة •• الجزيرة كانت تربتها متفحمة •• ولكن كان عندى أربعة جرحى فقط منهم اثنان جراحات خفيفة • واثنان متوسطة •

كان ربنا موفقنا •

العدو اكتشف مرابض نيران سرية هاون ثقيل تعمل معى ·· وضربها بمدفعيته ·· وأصابها فعلا ، نظرت اليها فوجدت أعمدة الدخان والرمال مرتفعة من المربض ·

قلت لطلعت قائد السرية « سريتك انضربت يا طلعت » ·

قال « ربنا يستر يا فندم » ··

ثم بعد فترة قصيرة سمعنا صوت «الله أكبر » يدوى من مرابض السرية وهي تعيد فتح النيران على العدو الذى أصابها ·· واتضح لى بعد ذلك أن هناك عشرين دانة للعدو فى داخل حفر المدافع ، ولكن طبيعة الأرض الرطبة الرخوة منعت الانفجارات ولم يصب أى فرد من هذه السرية ·

وحضر بعض المستشارين السوفييت بعد انتهاء الاشتباك وشاهدوا ذلك وقالوا « ربنا !! هو اللى عمل كده » ·

والحقيقة لا أستطيع أن أنسى الاولاد الصغار الذين اشتركوا مع هذه السرية فى أثناء الاشتباكات ، كانوا مع بدء فتح النيران يهرعون الى السرية ليعاونوا فى حمل الذخيرة · ويساعدوا فى تعمير المدافع ·· وفى تنظيف الأسلحة ·· وفى القتال ·· كانوا فاهمين بغريزتهم وعارفين أن المعركة ·· معركة مصر ·· معركة مصيرنا ·· وكان شعورهم جميلا ·

استمرت معارك الاستنزاف وأذكر أنه كان لنا فرد مراقب اسمه جابر فوق صار عال لمحطة الارشاد · وشاهد جابر تقدم دبابات العدو فأبلغ عنها ·· ثم أبلغ عن ضرب الدبابات فى اتجاهه ·· ثم بدأ ينزل سلما عاليا على صار خشبى والتليفون بيده ·· وفجأة انطلقت طلقة دبابة معادية أصابت الصارى من فوق وكسرت السور الحديدى واهتز الصارى هزات عنيفة جدا ، وجابر متمسك به الى أن قلت الاهتزازات ، فاستأنف نزوله ·

اكتشف العدو مكتبى فى مبنى الإرشاد خارج الجزيرة لوجود افراد من هيئـة الرقابة الدوليـة فى المبنى ·· ونجح فى تدمير مكتبى فقط من الوسط ·· ولكننى كنت داخل الجزيرة فى أثناء ذلك ·· ولم ينجح اطلاقا فى اكتشاف مراكز القيادة التى أقمتها داخل الجزيرة نظـرا لدقة الاخفاء والتمويه ·· والسـيطرة عـلى استخدام اللاسلكى ·

وكانت الكتيبة السابعة المشاة ـ برغم الظروف الصعبة التى نقاتل فيها ـ تتميز بروح مرحة ·· والجنود والضباط سـموا جزيرة البلاح « جزيرة الهتشكايا » ، لأن محمد رضا الممثل كان يذيع وقتها مسلسـلة فى الاذاعة بهـذا الاسم ، وطبعا كنت أنا « سلطان الجزيرة » !

وكانت هناك بعض الاسماء الهزلية لبعض الضباط والجنود أداعبهم بها أحيانا ـ منهم ضابط نحيل وشجاع جدا ولكن لسانه ثقيل بعض الشىء فكنت أداعبه وأقول له « يا فصييح » ·

وفى أثنـاء أحـد المؤتمرات الهامة حدث تشديد فى الأوامر بعدم الاشتباك فى هذا اليوم ·· ولكن « الفصيح » أبلغنى أن هناك صيدا ثمينا أمام منتصف الجزيرة عبارة عن عربتين نصف جنزير بهما بعض الضباط والجنود ، وهذه المنطقة لم يـكن يشعر بهـا المراقبون الدوليون عند الاشتباك ·

وطلبت تجهيز رام ممتاز لرشاش ثقيل ١٢٫٧ اسمه « عمر » ·· نجح فى اصابة القائد الاسرائيلى فى رأسه فسقط أمام العربة · أسرع اليه ثلاثة أفراد اسرائيليين ·· فأصيبوا بجواره ثم أطلق على العربة طلقات نسميها « خارق حارق » جعلتها غـير صـالحة للاستخدام ·· واختفت العربة الثانية بعد أن أطلق عليها دفعة نيران ·· خلف ساتر قريب ··

ومضت عشر دقائق وظهرت طائرة هليوكبتر للعدو ولكنها فرت من نيران المدفعية المضـــادة للطائرات في اتجاه الشرق ٠٠ وظهرت طائرة أخرى بمحرك واحد تسمى « ســـوبر بايبركاب » وفرت هي الاخرى من نيراننا ٠

وبدأت أبلغ ٠٠

وكان المؤتمر منعقدا في مكتب قائد الفرقة ١٦ المشـــاة ٠٠ وعلمت بعد ذلك أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان موجودا بمكتبه ٠٠ وعلم ٠٠ وسأل عن خسائرنا فقلت « لا شيء » وبعد الحاح من هيئة الرقابة الدولية سمحنا للاسرائيليين برفع قتلاهم ٠٠

و ٠٠ استمر النضال في جزيرة البلاح وتم دفع العديد من داوريات الاستطلاع والقتال منها ٠٠ كما تمت عمليتـــان لاغارات رئيسية ٠

بدأت العملية الأولى عندما قامت الكتيبة السابعة المشـــاة باغارة هجومية اقتحمت فيها النقطة القوية للعدو شمال الجزيرة ، ومجموعة الاغارة كانت بقيادة النقيب عصـــام ومعـــه الوزيرى « الصف ضابط » الممتاز ٠ وكان الوزيرى يتميز بالاضافة الى أنه مقاتل ممتاز بروح مرحة ٠

وسأل الجنود في الموقع قبل الاغارة « عايزين حاجة يا رجالة » فطلب أحدهم العلم الاسرائيلى « هدية » وبعد نجـــاح الاغارة في أثناء العودة تذكر الوزيرى العلم الاسرائيلى ٠٠ وعاد لاحضـــاره واتضح أنهم وضعوا لغما صغيرا بأســـفله بتر رجـــل الوزيرى ٠٠ ولكن زملاءه أحضروه ٠٠ ولم يفقد الوزيرى روحه المعنوية الممتازة٠

حكاية أخرى ٠٠

رئيس عملياتي في نهـــاية خدمتي في رأس العش وجزيرة

البلاح كان الرائد عزت وكان سمينا جدا ومرحا وطاقة عمل ومخلصا . كان يسير معى ما بين ٢٠ الى ٣٠ كيلومترا يوميا لعدم وجود عربات فى رأس العش ثم فى جزيرة البلاح ..

وتغير الرائد عزت كثيرا ..

ترك ١٠ كيلوجرامات من وزنه في رأس العش و ١٥ كيلوجراما فى الجزيرة ، وأصبح رشيقا .. ودخل كلية أركان حرب بعد ذلك .. وكان دائما يداعبنى ويقول يا فندم أنا حظى وحش اللى وقعنى فى الخدمة مع سيادتك .. ضيعت معاك « تحويشة عمرى » ! .. يقصد ما فقده من وزنه .

مرت علينا أوقات عصيبة فى جزيرة البلاح انقطعت فيها المياه .. والاكل الطازج نتيجة اصابة أو تعطيل اللنشات والمراكب الخشبية ، لمدة يومين تقريبا .. وبعد ذلك كان الامداد يتم فقط ليلا .. ومع هذا ظلت روحنا المعنوية عالية ، ومرتفعة .

وفوجئت بصدور قرار بنقلى رئيسا لأركان لواء ميكانيكى قبل دورى وكان صعبا على نفسى أن أترك رجالى الذين وثقوا بى ووثقت بهم ، والذين كنت أتمنى أن أخوض معهم معركة الحسم ولن أنسى الليلة السابقة لتنفيذ نقلى .. كان الجو عاصفا .. والسماء تبكى بغزارة .. وكنت أنتزع خطواتى فى سبخات الجزيرة ورمالها .. ليلا ونحن نشرف على ادخال أسلحة مضادة للدبابات جديدة وكان معى .. قائد الكتيبة الجديد .

وفى صباح اليوم التالى وقفت داخل الجزيرة قرب مرسى اللنش أودع أخوتى وأبنائى المقاتلين بالكتيبة السابعة المشاة كان وداعا الى لقاء .. !

في لواء ميكانيكي :

ونقلت في أواخر مارس ٦٩ رئيسا لأركان لواء مشـاة ، وطلبوا منا تحويله الى لواء ميكانيكي ٠٠ وبذلنا جهدا كبيرا في اعادة تنظيم اللواء وتسليحه ، وتغيير أسلوب التدريب ، وعملنا مشروعات تدريبية عديدة ٠٠ ومشروعات مراكز قيادة ومشروعات بالجنـود ثم مشروع كبير للواء مدعم ٠٠ ثم مشروع فرقة ثانيـة بالجنود ٠

ومعنى اشتراكي في مشروع فرقة بالجنـود مـن الاعـداد الابتدائي .. حتى تنفيذ المشروع جهد .. جهد خرافي .. معناه فترات طويلة دون راحه أو اجازات ، معناه استمرار حرمان أسرتي وأولادي من رعايتي واشرافي لهم ٠٠

وأذكر هذه الواقعة ٠٠

كان لي صديق في التدريس ٠٠ هو الأسـتاذ فكري فرغلي حكى لي عن بحث أجـراه بين التلاميـذ الضائعين ٠٠ فاتضح أن أغلبهم أولاد ضباط يخدمون في الجبهة ٠٠ ونشر بحثه في الأهرام ٠٠ وفوجئت بصورة ابني الصغير عماد تتصدر البحث !!!

الفصل الثالث

الانتشار فى البحر الأحمر وعمق الصعيد

ازعجت حـــرب الاســـتنزاف العدو وبدأ يهدد منطقة البحر الأحمر وعمق الصـــعيد . وبدأت مع الفجر رحلة استطلاع للمناطق الجبلية العنيفة فى البحر الأحمر . وتمركزت فى مناطق لم يسبق لوحدات عسكرية ان تمركزت فيهـا . وكنا ضمن احتياطى القيادة العـامة لتأمينها من غارات العمق . وانتشرنا فى المنطقة لمواجهة اى تهديد للعدو . .

ولكن لم أنس للحظة واحدة مهمتنا الأصلية ، وهى اقتحام قناة السويس ، وتطهير سيناء .

وصلت حرب الاستنزاف الى أن العدو هدد منطقة البحر الأحمر ومنطقة الصعيد ·· وفوجئت بالعميد حجازى قائد الفرقة يطلبنى فى رمضان بعد الافطار بقليل ليكلفنى برحلة استطلاع طويلة ، عنيفة تبدأ من فجر اليوم التالى ·· وتستمر حوالى عشرة أيام ·

خرائط الرحلة التفصيلية ملأت نصف لورى ·· مجموعة الضباط القائمة بالرحلة كبيرة وغير متعارفة ·· الترتيبات الفنية والادارية ضخمة ·· كل هذا تم فى أثناء الليل ·

وبدأنا مع الفجر رحلة استطلاع للمناطق الجبلية العنيفة فى البحر الأحمر .. خارج الطرق فى أغلب الأحيان .. كنا صائمين ·· ونبدأ دائما مع الفجر ·· ونتوقف قبل الافطار بدقائق ·· نلتهم المعلبات ثم نستعرض فى جلسة عائلية وضع التقرير التفصيلى لرحلة اليوم ·· واحتمالات أعمال العدو ·· ثم نضع خطة عمل اليوم التالى ·· حفلة سمر كل ليلة ·· وأتأكد من خطة التأمين والحراسة قبل أن أنام سويعات استعدادا ليوم جديد ·

قابلت فى أثناء الاستطلاع اثنين من البدو من قبيلة العبابدة معهما قربتا ماء يحملانهما على الأقدام مسافة ٤٠ كم ٠٠ طلب منهم بعض الجنود ماء ٠٠ كانوا فى منتهى الكرم وقدموا المياه الثمينة بلا حدود للجنود ٠٠ أمرت فى الحال بتعويضهم من الماء الذى نحمله ٠٠ واعطائهم تعيينات ٠٠ وهدايا ٠٠

وفى مرسى علم كنت مخططا للنومة على الأرض وفوجئت باستراحة الملك فاروق تفتح لى لأنام على سرير الملك ٠

والحقيقة لقد شاهدت فى منطقة البحر مناظر خلابة وجميلة تحتاج الى مخرج سينمائى وخبير فى السياحة ٠٠ وعلماء فى الجيولوجيا ٠٠ والآثار ٠

وعدنا مع تقرير تفصيلى لرحلة استطلاع طويلة نموذجية ٠٠ وارتبطت هذه المجموعة بروح من المودة ٠٠ والأخوة حتى الآن ٠

ترتب على هذه الرحلة ، لمواجهة احتمالات أعمال العدو تحرك الفرقة بالكامل الى منطقة البحر الأحمر والصعيد ٠٠ وكان نصيب لوائى التمركز على الطريق قنا / سفاجة وقفط / القصير فى أقصى الجنوب ، وهذه المناطق لم يسبق لوحدات عسكرية أن تمركزت فيها ٠٠

وكان الهدف أن نعمل احتياطيا للقيادة العامة فى المنطقة **لتأمينها ٠٠**

وانتشرنا فى المنطقة وجهزنا تجهيزا هندسيا ممتازا لمواجهة التفوق الجوى للعدو ٠ واستمر التدريب وتأهيل الأفراد للمهام القتالية الجديدة ٠٠ ولكنا لم ننس لحظة واحدة مهمتنا الأصلية وهى اقتحام قناة السويس وتطهير سيناء ٠

ومن المشروعات التى أجريناها هناك والتى لا تنسى ، مشروع

عنيف بالذخيرة الحية عن القتال فى المضايق والمناطق الجبلية مشابه لأرض سيناء • تم هذا فى يوليو ١٩٧٠ فى درجة حرارة حوالى ٥٠ درجة مئوية • وكان المشروع طويلا عمقه حوالى ٣٢ كيلومترا •• وحضره عن القيادة قائد فرقتى السابق •• وكان البيان صورة ممتازة للكفاءة القتالية •

فى هذه المنطقة كانت العقارب والثعابين بأحجامها واعدادها كبيرة تؤثر فى نفوسنا • وقد حدث أن اصطدت أنا ومجموعة من الأفراد عدة ثعابين •• وجهزتها فى مطبخ الضباط مثل السمك ودعوت الضباط الى وليمة ثعابين فاخرة ••

فى البداية رفضوا الاكل •• وعندما أكلت أمامهم •• أكلوا معى « وتقاسمنا عيشا وملحا وثعابين » •• وضاعت رهبة الثعابين فهجروا المنطقة خوفا من المفترسين الآدميين •

نصل الى نقطة هامة ••

أود أن المس دور المستشارين السوفييت الذين عملوا معى حتى الآن •

الواقع أنه فى خلال عملى كرئيس استطلاع للفرقة ١٨ المشاة لم ألمس لهم أى دور ، حتى ونحن نضع الأسس الأولية لاقتحام الموانع المائية •

وفى أثناء عملى كقائد للكتيبة السابعة المشاة فى رأس العش والبلاح لم أكن أراهم الا فى زيارات مرتين تقريبا فى الاسبوع •• وتنتهى الزيارة دائما بالغذاء وشرب الشاى •

وفى اللواء الميكانيكى عمل معى كبير خبراء عقيد اسمه نيكولاى ومساعده ألكسندر •• وكان كبير الخبراء يعمل أصلا عامل

مناجم · وهو شخص طويل ، عريض · أما الثـاني ـ ألكسندر ـ فهو قصير · وجهه أحمر · دمه خفيف · ولكنى لم ألمس من الاثنين أية فائدة عسكرية اطلاقا ·· وكان خبير الفـرقة فيكتور شخصا منحركا وملما بالأمور العسكرية وبمستوى جيد ·· ولكنه يتحرك أيضا فى اتجاهات سياسية ·

وأتذكر مجمـوعة من القصص الطريفـة حدثت مع الخبراء السوفييت · كنا فى مشروع استمر عدة أيام . وفوجئت بالخبير ألكسندر يخبط على العربة التى أنام بها قبل الفجر ·· استيقظت ·· وجدته قد شرب حتى الثمالة وصاح فى وجهى باللغة الروسية « أنت ما اتعلمتش عندنا ·· ولا تعرف عاداتنا » ·

فقلت له « ليه يا ألكسندر » ·

فقال « لأنك لو اتعلمت ·· كنت لازم تعرف أنى لازم أتعشى لحمة ·· وأفطر لحمة » ·

وكان ضابط الميس قد جهز لهم عشاء عبارة عن زبادى ومربى وجبنة ··

فقلت له « طيب يا ألكسـندر روح نام والصـبح أبعت لك اللحمة » وتناقش طويلا قبل أن أصرفه بالحسنى ·

وكانت نكتة يتبادلها ضـباطنا أن تقييم المشروعات يتم على حساب الوايمة التى تعمل للمستشارين ·· وعرفوا هم أخيرا ذلك وكنت أسمعهم يقولون باللغـة العربية المكسرة » فرخـة كبيرة مشروع ممتاز ·· فرخة صغيرة مشروع زفت » ·

وأنا تعلمت فى روسـيا فى أكبر معهد للقيادة هنـاك وهو « اكاديمية فرونز » وأعلم ان هناك ضباطا على مستوى رفيع ، ولكن أغلب المستشارين الذين رأيتهم فى مصر كانوا دون المستوى ··

ومن دراستى لهم اتضح أن أغلبهم يرسل لمصر فى الفترة السابقة لاحالته للتقاعد ·· لمدة سنتين الى ثلاثة كترفيـــه وتحسين لحالته الاقتصادية ·· وبانتهاء خدمته هنا ·· تنتهى خدمته فى القوات المسلحة السوفييتية · عدا قلة منهم ·

فى هــذه الفترة كانت الروح المعنوية لنا سـيئة فقد كانت طائرات الفانتوم تعيث فسادا فى المنطقة ، ودفاعنا الجوى وطيراننا عاجزان عن التعرض لها ·· وســـمعت عجبا من المستشـــارين « طياروكم ·· بترتعش صوابعهم لما بيضربوا الصواريخ ·· » وكنت أدافع وهم لا يصدقون

حتى جاء يوم ··

اعترضت غارة جوية اسرائيلية طلعة طيارين ســـوفيت من مطار خصص لهم للتدريب · كانت الطائرات روســية والطيارون روسيين ·· والردار الأرضى روســيا ·· وطاقم التوجيــه الأرضى روسيا وسقطت ٥ طائرات ميج ·· وعادت الميراج الاسرائيليـــــة سالمة ··

وانتهى اتهام الأصابع المرتعشة ·

فى هيئة عمليات القوات المسلحة :

ونقلت الى هيئة العمليات فى ديسمبر ١٩٧٠ وكانت فرصتى لأرى المنظر الشامل للقوات المسلحة من ميكرسكوب عال · حاولت كل جهدى أن أقرأ وأتعلم وأستفيد وأفيد ·· وكانت الهيئة تضم مجموعة من خيرة ضباط القوات المسلحة انهم الشموع التى تعمل فى صمت وكفاءة وتضىء باستمرار واشتركت فى هذا الوقت فى وضع كتاب يتمشى مع هوايتى عن الخداع الاستراتيجى التعبوى ·

واستمرت خدمتي في هيئة العمليات ستة أشهر مرضت فيها شهرا دخلت فيه مستشفى المعادى لاجراء أبحاث على ساقي اليسرى التي لا تتحرك ·· وحار الأطباء وتقاذفوني ، واحترت معهم ··

وفى سكون ليـل دعوت الله أن يشفينى حتى أخوض معركة مصر ·· ثم يفعل بى الله مايريد ··

وعلمت ــ وأنا فى المستشفى ــ بترقيتى وبتعيينى قائدا للواء مشاة فى الجبهة اعتبارا من يونيو ١٩٧١ ·

وفكرت ·· كيف أذهب وأنا بهـذه الحالة ·· كيف يقابلنى قائد الفرقة والقادة ، والضباط ، والجنود ·· ماذا يقولون عن القائد الجديد ·· وهو غير قادر على الحركة ! ·· يجر ساقه اليسرى !!

وقررت أن أذهب وأنا واثق أن شفائى الذى عجز عنه الأطباء سيتم فى الميدان نفسه ·· وكانت ارادة الله أقـوى من الطب ·· كنت أبدأ العمل وأنا أحرك رجلى بصعوبة ·· ثم مع كل مجهود ــ تسخين ــ وتليين ·· وشفانى الله ·

وتندر الضباط وهيئة قيادتى ·· فقد عجز أغلبهم عن متابعة مجهودى ونشاطى والحمد لله ·

الباب الثانى

الإعداد لاقتحام قناة السويس

الفصل الأول

أسس جديدة مبتكرة لاقتحام الموانع المائية

بدانا فى لواء النصر وضع أسس جديدة فى اقتحام الموانع المائية • منها ان قائد اللواء يجب أن يكون مع العناصر الأمامية المترجلة • مع تشكيل قيادة مبتكرة واحتياطات مترجلة تمكنه من اعادة التوازن فى اثناء المعركة الهجومية • •

وبدانا عمل مبتكرات بدائية للتغلب على اضخم مانع هندسى فى التاريخ وهو قناة السويس • • ولعبور الأسلحة المطلوبة للمشاة والمضادة للدبابات مترجلة • ثم تجهيز مبتكرات القوارب المطاطة والقوارب الخشبية • • وكان علينا أن نفكر فى فتح الثغرات فى السواتر الترابية لتنفذ منها عرباتنا ودباباتنا • •

استمرت العربة المدرعة فى سيرها تبحث عن طريق ..

وأفيق من شريط الأحداث الطويل أمامى على صوت السائق : كيف نسير يافندم .

وأكرر سؤالى للمساعد عبد الرسول : هل تعرف الطريق من هنا ؟

ويرد عبد الرسول فى صوت يائس خجول : آسف يافندم .

وأقول للسائق بغريزة الالهام : استمر من هنا .. يمين

وأتحسس ساقى التى تنزف .. وأنظر الى باقى الساق الموضوعة بجانبها وفيها الحذاء . وانظر الى السماء كأننى أعد النجوم ..

ثم أعود لذكرياتى .. !!

لواء النصر :

تسلمت لواء المشـاة الجديد وهو مجمع للتدريب فى منطقة خلفية ٠٠ وكانت منطقة غير صحية طبقا لما هو مكتوب على الخريطة « Unhealthy area » ٠٠ الزوابع الرملية كانت تردم المطابخ ، وتحرم الجنود من الأكل ٠٠ المياه بعيدة ٠٠ المواصلات بعيدة مع تقييد استخدام العربات واستهلاك البنزين .

وكان أفراد اللواء قد سـموه « لواء البـدو الرحل » لكثرة تنقلاته واللواء أصلا كان لواء احتياطيا ثم أصبح لواء عاملا .. ونتيجة لكل هذه العوامل أصبح مستوى تدريب اللواء ومستوى كفاءته القتالية أقل من المستوى العادى ٠٠ بالاضافة لهذا وجدت أنه طلب من اللواء مشروع بالجنـود بعـد شهر ونصف ٠٠ عملت خطة زمنية سريعة وجدت أن أمامي برنامجا لرفع مستوى القادة والرؤساء فى اللواء ، وعمل مشروعات لكل التخصصات والمستويات ومشروعات مراكز قيادة ٠٠ ومشروعات سرايا وكتائب ٠٠ الخ ،

ولم تسمح الخطة الزمنية لى بأى اجازة ٠٠ فحبست نفسى فى اللواء ٠٠ وزاد حرمان أولادى منى ٠٠ وكان ثمرة الجهد الكبير مشروع لواء ناجح بالجنـــود ٠٠ ولكن لم يكن النجـاح بالمستوى الذى يرضينى ٠٠

بدأت من هذا المشروع وضع أسس جديدة فى اقتحام الموانع المائية ، كان منها ان قائد اللواء يجب أن يكون مع العناصر الأمامية المترجلة مع تشكيل قيادة مبتكرة مترجلة له ، واحتياطيات أيضا مترجلة تمكنه من اعادة التوازن فى أثناء المعركة الهجوميـــة المترجلة ٠٠

وأحب أن أقول ان الأفكار الجديدة دائما تجد معارضـــة قد

تصل أحيانا لدرجة « التريقة » ولكن تأكد أن الذى يهاجم فكرتك .. سيدعى عند اعتناقها وتعميمها « أنها .. والله .. فكرته !! » .

وقد نفذت هذه الفكرة فى المعركة ، بل عبر قادة فرق مشاة النسق الأول قناة السويس مترجلين مثلهم مثل قادة الألوية .

مبتكرات اقتحام قناة السويس :

ان أسرع وأسلم خطة لاقتحام قناة السويس طبقا لعصرنا العسكرى الذى نعيشه هو عمل تمهيد بضربة طيران . وتمهيد بنيران المدفعية وتحت سترها يتم بواسطة طائرات هيلوكبتر ذات أحجام مختلفة نقل المشاة المترجلة الى الضفة الشرقية مدعمة بعناصر مدفعية مضادة للدبابات ، مع نقل دبابات خفيفة ومدرعات وعناصر دفاع جوى ، ويتم الامداد والاخلاء بواسطة الطائرات الهيلوكبتر .. وتصل عمق أعمالها القتالية من الضربة الأولى حتى المضايق .. وتحت ستر هذه الأعمال القتالية يقوم المهندسون بازالة السواتر الترابية .. وعمل الجسور .. وتندفع باقى الدبابات والمدفعيات لتدمير مدرعات العدو فى معارك تصادمية شرق المضايق فى سيناء .. وهذا يتطلب باستمرار تفوقا جويا ، ووجود دفاع جوى قوى لنا .

ولكن نظرا لعدم توافر أغلب هذه الامكانيات .. وبعد أن انتظرنا طويلا .. بدأنا فى عمل مبتكرات بدائية .. للتغلب على أضخم مانع هندسى فى التاريخ .. وهذا المانع هو قناة السويس بعرض يصل الى ٢٠٠ متر مع وجود ساتر ترابى عال فى الضفة الشرقية يزيد العدو من ارتفاعه باستمرار حتى وصل ارتفاعه الى ٢٠ مترا مع زاوية ميل حادة تتراوح بين ٧٠ الى ٨٠ درجة مما يصعب معها تسلقه .

وللتغلب على هذا فكرنا في أشياء كثيرة عند اعداد التخطيط العام للمعركة ..

فكرنا في الفرد .. وكيف يتسلق مثل هذا الساتر ومعه سلاحه وذخيرته ومياه للشرب .. والطعام .. والاسعافات الأولية .. وأدوات حفر .. وشكاير رمل ومهمات وقاية من الغازات السامة .. الخ مما يكفيه لمدة يومين أو ثلاثة هناك قبل أن تصل اليه الامدادات .. والأهم من ذلك أن يكون خفيف الحركة ، ولا تعوقه كل هذه الأشياء عن القتال .. ورفضنا فكرة شدة القتال الانجليزى .. وكل الأنواع القديمة .. ووصلنا فى النهاية الى جاكت يلبسها الفرد فوق الأوفرول يكون مثبتا بها جميع احتياجاته .. وابتكرنا لكل تخصص قتالى « جاكت » خاصا به يختلف عن غيره .. واختبرناه عدة مرات قبل أن يعمم فى القوات المسلحة على وحدات المشاة المترجلين .. أبطال أكتوبر . حتى القادة تم تصميم جاكتات لهم .. تتناسب مع عملهم كقادة مقاتلين أيضا .

وفكرنا فى الأسلحة ..

كانت أهم الأسلحة المطلوبة للمشاة المترجلة هى المضادة للدبابات .. وعلى رأسها الفهد ، والقاذف ب ١٠ ، والقاذف ب ١١ .. والأسلحة الخفيفة المضادة للطائرات .. ولعبورها تم تجهيز القوارب المطاط والقوارب الخشبية بتعديلات ومبتكرات فيها حتى يمكن دخول السلاح القارب ليلا أو نهارا .

وعند وصول القارب للضفة الشرقية يصعد فردان من كل قارب يحملان سلمين من الحبال يثبتانهما أعلى الساتر ثم يلقيانهما الى أسفل فتثبت أيضا بالاضافة لحبل مثبت على كل جانب أعلى الساتر .. يستعين به الأفراد ، ويتم دفع السلاح الضخم من أسفل

بجهد ضخم مع شده من أعلى وعجل السلاح متمركز على سلالم الحبال .

وتم عمل طوابير تدريبية لكل الأطقم على سواتر ضخمة ليلا ونهارا .. كما اختبرت جميعا فى جزيرة البلاح وتم قياس الأزمنة لها ليلا .. ونهارا .

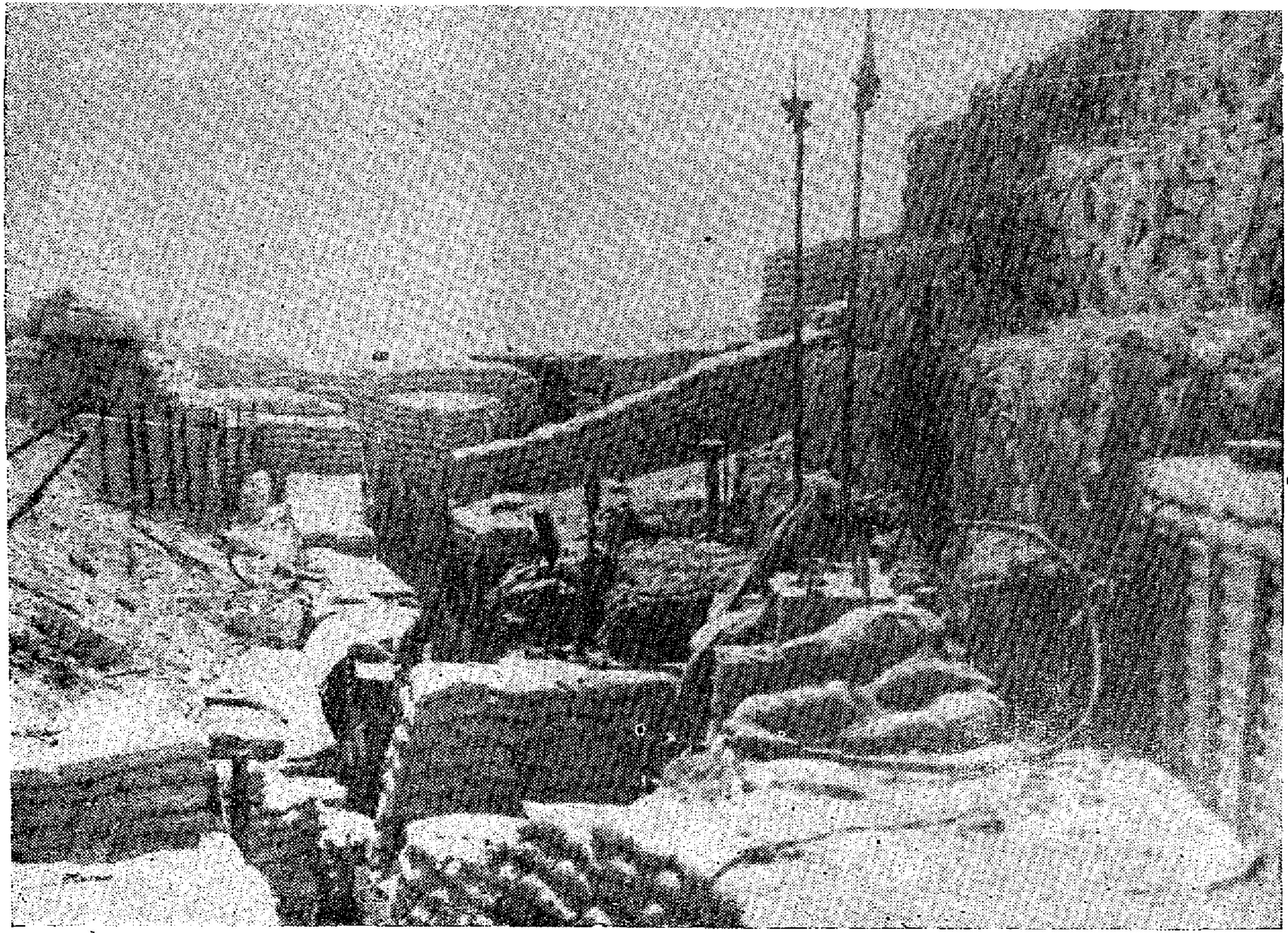
فكرنا فى الألغام والأمداد

كانت مشكلة المشاة المترجلة هو عدم التأكد من امكان وصول الأمداد لها قبل يومين أو ثلاثة . وللتغلب على هذا عملت عربات جر يدوى .. تشابه عربة « الراكشا » فى الصين وحملنا بعضها ألغاما .. وبعضها حملناه بالطعام والمياه للجنود .. وبعضها بذخيرة من أنواع معينة .. وكل سلاح يحتاج لذخيرة معينة كانت خلفه عربة جريدوى بها احتياجه ، هذا بالاضافة لما يحمله كل فرد وكل طاقم ضمن جاكتة القتال .

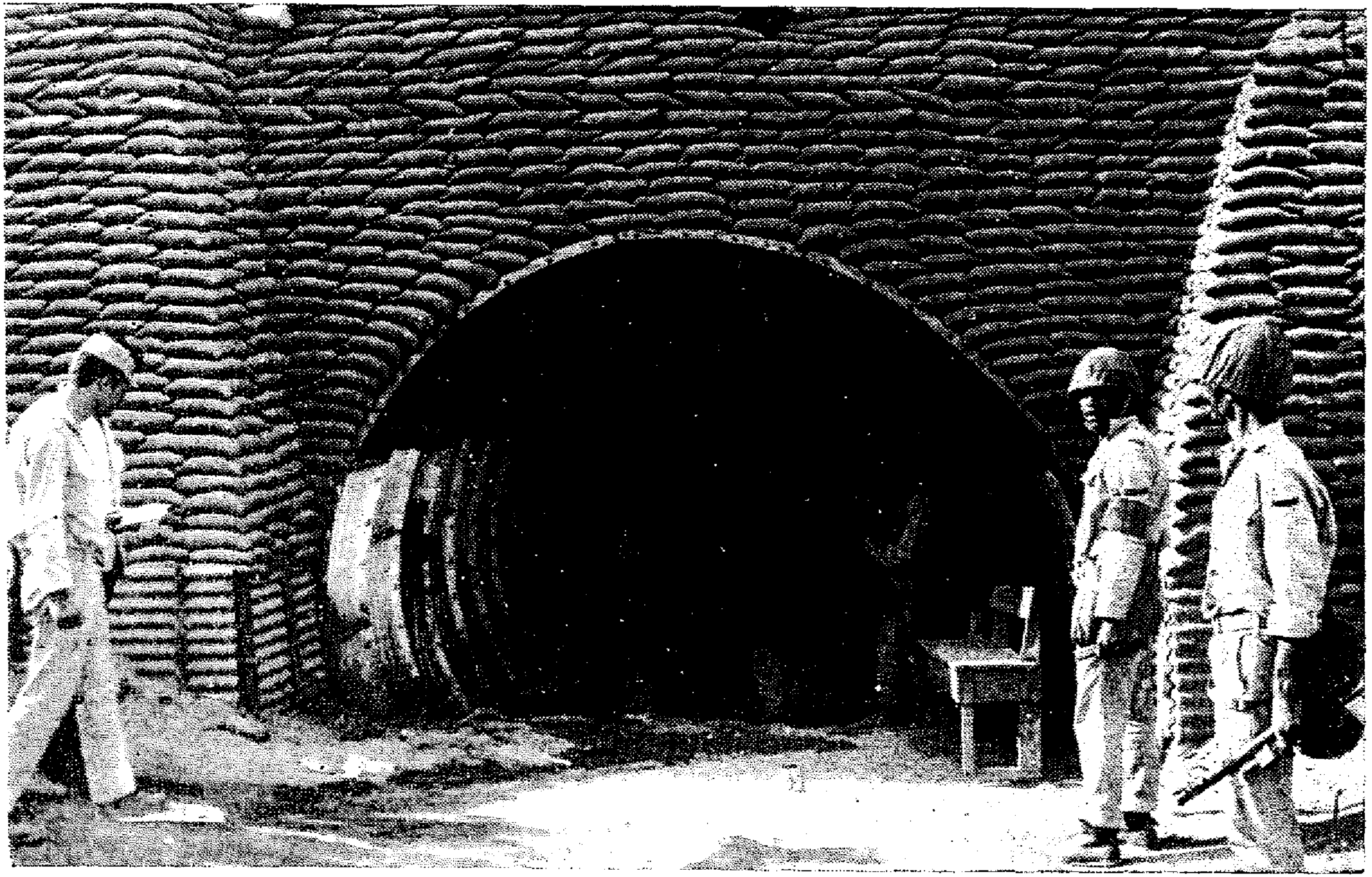
وفكرنا فى نقط العدو القوية :

أقام العدو على قناة السويس مباشرة ٢٢ موقعا حصينا فى ٣١ نقطة قوية على هيئات مرتفعة طبيعية وصناعية مواقع حصينة تحت الأرض .. بها العديد من الأسلحة وأجهزة الاتصال ، وتوجيه الطائرات ، بل توجيه القنابل المنزلقة .. والصواريخ أرض أرض .. الخ .

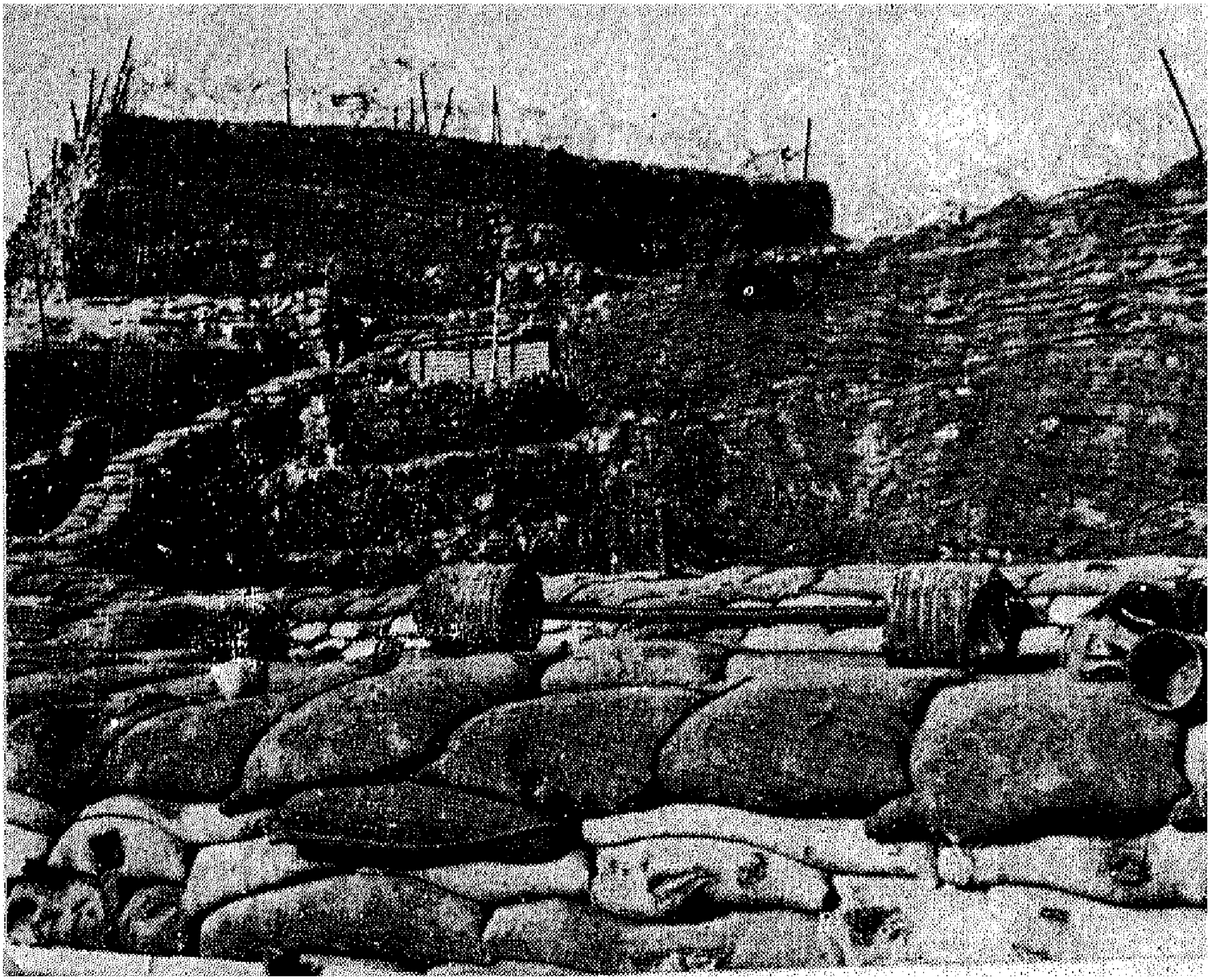
وعمل من حول هذه النقاط نطاقات عديدة من الأسلاك الشائكة والألغام العادية والمسيطر عليها : وألغام نابالم .. وكانت هذه النقاط محصنة هندسيا لتتحمل ضرب المدفعية والطيران حتى أكثر من ١٠٠٠ رطل .. وبها تموين طعام ومياه يكفيها لمدة حوالى شهر .. وبها كهرباء .. وأقصى أنواع الترفيه فى نقطة ميدانية ..



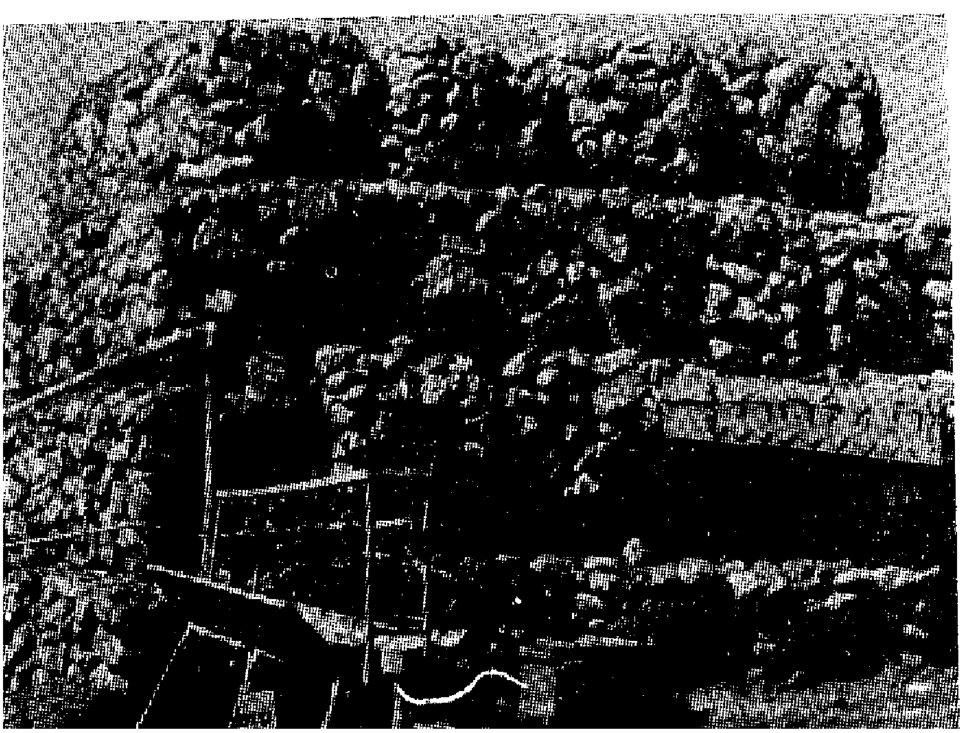
منظر داخلى لاحدى نقاط بارليف الاسرائيلية



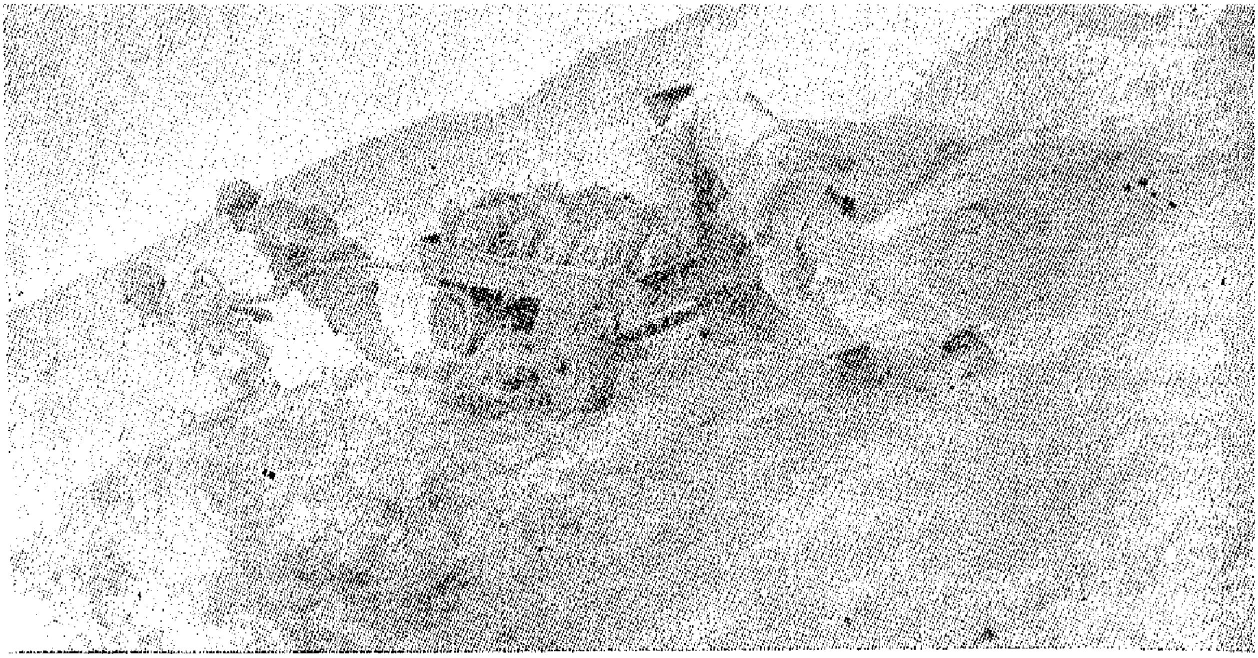
مدخل احدى النقاط القوية



تحصينات خط بارليف ـ هل أنشىء كل ذلك ليسقط في ساعات ؟



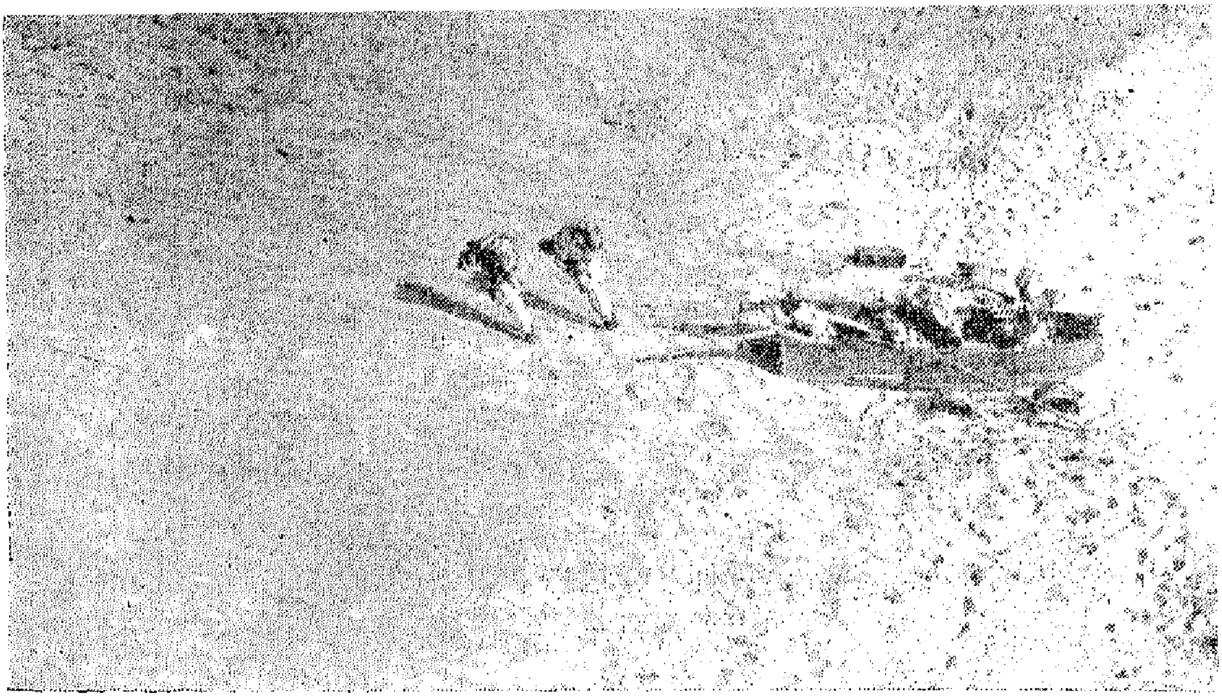
وأثبت الجندي المقاتل المصري .. علوه على كل التحصينات



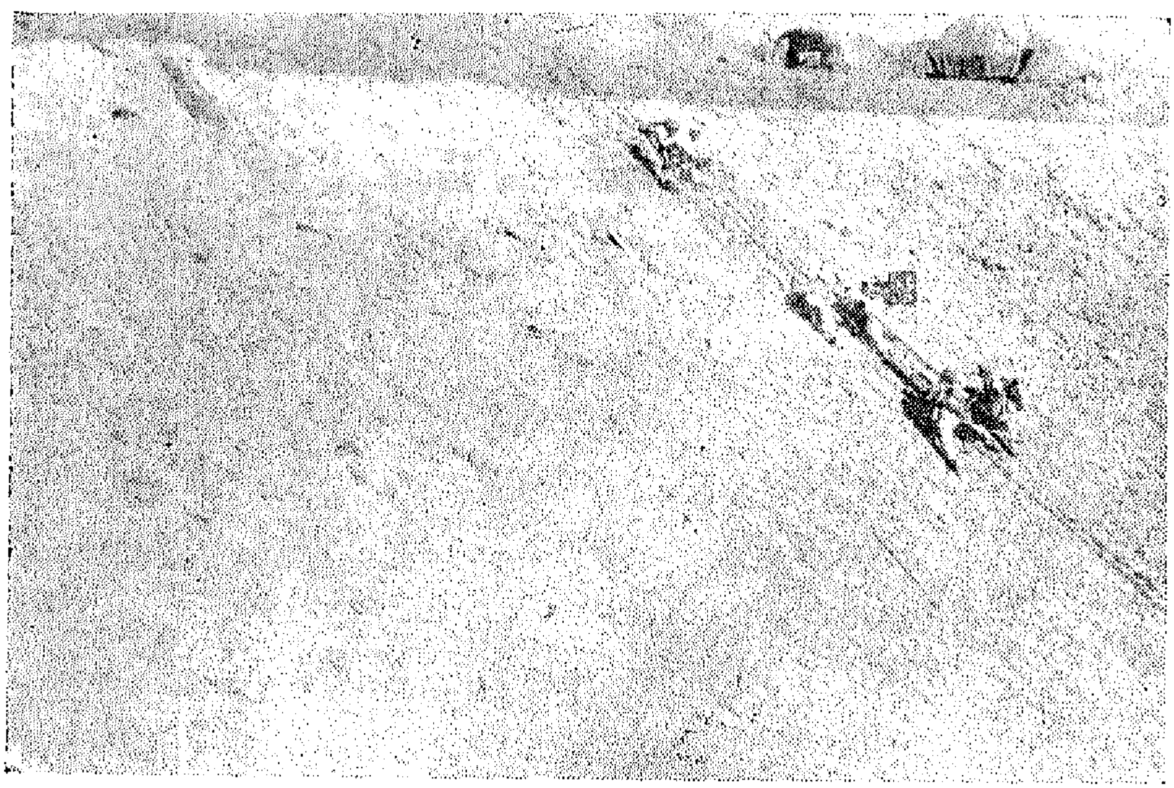
عربة جريدوى بها ألغام ـ تم رص آلاف الألغام بها ـ فى جهد كبير منسق ٠٠ تحية منا للجندي المصرى



مصاطب الأهرامات جهزت بملاجىء ثقيلة ومرابض دبابات وفهد وصواريخ مضادة للطائرات كما استغلت للتدريب على تسلق مرتفعات أعنف من خط بارليف



بوصول القارب للضفة الشرقية ينزل فردان يحمل كل منهما سلما من الحبال بطول الساتر .. ويتسلقان الساتر حتى القمة



بالتدريب الشاق المستمر ليلا ونهارا .. تحققت معجزات بالانسان المصرى وصعدت الأسلحة الثقيلة سواتر أعلى وأعنف من خط بارليف

كما أن العدو أقام خزانات نابالم ضخمة فى بعض هذه النقط .. ليشعل صفحة الماء فى القناة .. عندما تمتلىء بقوارب اقتحام المشاة .

وكانت الوسيلة الوحيدة لتدميرها أو اسكاتها هى اقتحامها بالمشاة المترجلين .

وكان أمامنا عقبتان أساسيتان .

الألغام والأسلاك الشائكة :

كيف نفتح الثغرات فيها لتعبر منها المشاة الى داخل الموقع ؟

ان التطور الحديث يعتمد على صواريخ أرض أرض تنطلق بوسائل مختلفة ومعها حزام من المتفجرات خلفها .. وبعد وصول الصاروخ ينفجر الحزام تاركا ثغرة فى حقل الألغام مكانه .. يعبر منها المشاة أثناء الاقتحام .

ولكن الجانب السوفييتى رفض اعطاءنا مثل هذه الصواريخ ..

ابتكرت المدفعية طريقة استخدام أسلحة مضادة للدبابات .. وبالمدافع والدبابات وبواسطة اطلاق النيران بطريقة معينة يتم فتح ثغرة فى ألغام العدو تنفذ منها المشاة ، بالاضافة الى الأعمال الفدائية لأفراد المشاة عندما يضحى بعض الأفراد بأنفسهم وتنفجر فيهم الألغام ويقتحم باقى الأفراد حقل الألغام من بعدهم .

فتحات النابالم :

وجدنا أسلم طريقة للتعامل مع فتحات النابالم هو سد فتحات النابالم على قناة السويس فى توقيت سابق بواسطة مجموعات ضفادع مدربة على ذلك .

وفى الحقيقة .. فكرنا .. وفكرنا كثيرا فى العديد من المبتكرات .. كل سلاح .. كل تخصص كان يفكر فى المعركة ، وكيفية التغلب على صعوباتها .. منها مبتكرات الاضاءة الليلية .. مبتكرات تمييز قواتنا من قوات العدو ..

وكان ينقصنا الكثير ..! ولكن بجهد كبير من الجميع أمكن عمل مبتكرات بسيطة وبدائية تتناسب مع المعركة المقبلة .

فتح الثغرات فى السواتر الترابية :

أقام العدو ساترا ترابيا سبق شرحه ووجدنا أن أسلم وأسرع أساوب لعمل فتحات فيه تنفذ منها عرباتنا ودباباتنا بعد عبورها على الجسور أو العربات هو :

(أ) استخدام مضخات المياه النفاثة .

توجه فتحاتها فى اتجاه الساتر بأسلوب معين حتى يتم فتح الفتحة ويعبر بلدوزر أولا يقوم بتمهيد الفتحة ثم تعبر منه العربات بعد ذلك .

(ب) باستخدام المفرقعات .

وأعمال النسف المتتالى من أعلى لأسفل حتى يتم اعداد الثغرة .. واستخدمت هذه الوسيلة فى الجيش الثالث بعد أن فشلت الطريقة الأولى فى بعض السواتر الترابية الصلبة .

اعداد الفرد :

وأهم من المبتكرات كانت عملية اعداد الفرد نفسه وأنا أعتقد أن الفرد هو أساس أى معركة ..

المعركة تتضمن تسليحا .. تخطيطا .. تدريبا .. اعدادا اداريا واعدادا فنيا .. واستكمالا لكافة متطلبات المعركة كل هذا حقيقي ولكن تبقى حقيقة يجب أن نفهمها جيدا .. ان المعركة فى النهاية معركة فرد يواجه فردا آخر الفرد المقتنع بعدالة قضيته .. المؤمن بها .. الفرد العقائدى .. المدرب الواثق من قادته .. وسلاحه ونفسه .. الفرد صاحب المعنويات العالية .. الفرد الذى تمكنت من خلق الدافع فيه قبل المعركة .. وأستثيره بدوافع أخرى فى أثناء المعركة يكون مستعدا لمواجهة عدوه وقتله أو أسره وبالتالى يكون قادرا على الانتصار .

من هو الفرد ؟ هو الجندى .. الصف ضابط .. الضابط .. القادة على تسلسل درجاتهم ويجب أن أعدهم جميعا للمعركة ..

وحتى يتم اعداد الفرد اعدادا جيدا يجب أن يعرف كل شىء عن العدو .. تسليحه . معداته . تصرفاته والأعمال المحتملة له .

ببساطة وباختصار لا نضخم فى قدرة العدو .. ولا نستهين به .

أرض المعركة :

يجب أن يعرف الفرد كل شىء عن طبيعة الأرض التى سيقاتل عليها . وأية متطلبات أو تجهيزات يجب اعدادها ، ويتدرب على أرض مماثلة .

التدريب :

تدريب على السلاح .. على استخدام الأرض .. تدريب فردى وجماعى وفى ظروف مشابهة للمعركة المقبلة .. وقد راعينا أن يكون التدريب واقعيا وعنيفا .

الاعداد الديني :

كان للنهضة الدينية التي سبقت المعركة أثر واضح في نفسية الجنود واستعدادهم القتالي ٠

وفي هذا المجال أنشأ لواء النصر العديد من المساجد في منطقة سرابيوم ٠٠ وجمعنا مع المدنيين احساس ديني مشترك ربطهم بهدف واحد مشترك ٠٠ واستخدمت منابر المساجد للتوعية والتحذير من أعمال العدو المحتملة ، وكعنصر أمن لمراقبة أي عملاء للعدو يتسللون الى المنطقة ٠

الاعداد الرياضي :

وهو من عناصر اعداد الفرد المهمة ٠ ولهذا نظمت عدة مباريات رياضية مبتكرة كان الهدف منها الجمع بين القائد والضابط والجندي في عمل مشترك له نتيجة جماعية ٠٠ مثل مباريات كرة القدم مشتركة ٠٠ مسابقة تتابع جرى يشترك قائد كل كتيبة فيها ويشترك معه قائد سرية ٠ ملازم ٠ وصف ضابط ٠ وجندي ٠ والهدف تربيط الوحدة ٠ لأشعرهم بأنهم مثل ما كسبوا المباراة بالجهد المشترك ٠٠ فانهم في المعركة بالأسلوب نفسه يكسبون ٠٠ وينتصرون ٠

والغريب أن الكتيبة التي كسبت التتابع المبتكر ٠٠ وأخذت الكأس كانت أحسن كتيبة في المعركة الحقيقية ٠

بالاضافة للمسابقات الرياضية أجرينا مسابقات رماية جماعية يشترك فيها من كل كتيبة خمسون راميا ، والنتيجة جماعية للوحدة ولا يعلم الفرد نتيجة الفردية ٠٠ كالمعركة تماما ٠٠ النتيجة لكل الوحدة ٠٠ لكل الأفراد ٠

والمباريات الرياضية تفيد فى شغل وقت الجندى بطريقة بناءة وترفع معنوياته .. وقد استخدمتها أيضا فى الخداع والتمويه .

وقبل الهجوم بثلاثة أيام كنت أنهى « دورى » صغير للمباريات الرياضية للواء النصر .. وأسلم الجوائز والكأس للفائزين وسط الأهالى المدنيين .. وهذا يدل من وجهة نظر العدو على عدم توفر نية القتال .

وقد حدث فصل ظريف فى الحفل .. فبعد أن سلمت الجوائز .. بقى الكأس .. واستعد قائد الكتيبة الفائزة للتقدم لتسلمه .. وسبقه طفل صغير سنه حوالى ٤ سنوات وقال لى بمنتهى البراءة « وأنا فين جايزتى ؟ » وضحكنا جميعا وأعطيته جائزة من الجوائز الاحتياطية .

اعداد القائد لنفسه :

من ضمن اعدادى للمعركة كان اعدادى لنفسى . كان على أن أعد نفسى كجندى وأعد نفسى كقائد .. ومن الطريف أننى فكرت أنه عند عبورى مترجلا أن حركتى ستكون بطيئة لو تطلب الأمر ذهابى مترجلا الى وحدة ما بسرعة فى أثناء المعركة ..

ففكرت فى رفع موتوسيكلات على القوارب المطاطة وسلالم الحبال مثل الأسلحة .. أجريت تجارب فى مناطق التدريب فنجحت المحاولة . وبدأت أتعلم ركوب الموتوسيكلات فى الأراضى الوعرة وأنا قائد لواء ، وعمرى يقرب من الأربعين سنه .. طبعا تدريبى كان فى وسط المدنيين والعسكريين . ونظر الناس الى وقالوا : قائد اللواء اتجنن .. !! جاى بعد كبر يتعلم ركوب الموتوسيكلات ويقع ويتشقلب ويتبهدل على الأرض الوعرة .

ولكنى لم أقل لآحد لماذا أتعلم ·

ولابد للقائد أن يضرب نارا بجميع أسلحة وحدته ·· يقود أى دبابة أو معدة موجودة عنده ·· وأن يكون ملما بجميع النواحى الادارية ·· والفنية بالاضافة الى الأصل وهو تدريب وحداته ووضع الخطط وادارة المعركة ·

اعداد السلاح للقتال الليلى :

قبل حرب أكتوبر لم تكن قواتنا المسلحة مستعدة للقتال الليلى وكان معروفا للجانب الاسرائيلى أن الجيش المصرى « بيحارب بالنهار ويقفل بالليل » · ولكن قبل الهجوم بشهور قلائل زودنا بأجهزة حديثة غربية للرؤيا الليلية · ولكن عددها كان محدودا نظرا لارتفاع أثمانها ومع هذا تسلحت كل دبابة عندى بجهاز انجليزى اسمه « الزينون » ·· والطريف أننا فوجئنا بالأجهزة نفسها على الدبابات الاسرائيلية التى استولينا عليها فى اليوم الأول للهجوم ·

بالاضافة الى هذا تغلبنا على النقص فى وسائل الاضاءة بمبتكرات لنا وخصوصا بالنسبة للأسلحة المضادة للدبابات ·

التدريب المشترك :

كان التدريب متدرجا ·· وانتهى بتدريب كل لواء مشاة عن لواءات النسق الأول فى مشروع مشابه فعلا للمعركة ونفذت الخطة على أرض مشابهة لأرض العمليات ، وصدق المشير أحمد اسماعيل على استدعاء الاحتياطى لكل لواء فى فترة هذا التدريب المشترك ·

واشترك مع كل لواء دعمه للعمليات الحقيقية من وحدات دفاع

جوى • ووحدات مدفعية • ومهندسين • دبابات • وحدات ادارية • وفنية ، وتخصصية •• الخ

معركة التجهيز الهندسى :

من الاعداد الضخم بل الخرافى الذى تم للاعداد للمعركة هو « معركة التجهيز الهندسى » •• هذا التجهيز الهندسى تضمن انشاء مواقع دفاعية للوحدات غرب القناة بالاضافة لانشاء مواقع هجوم تكفى لتمركز الفوات قبل الهجوم بعد اعادة تجميعها ، بحيث لو اكتشف العدو نية هجومنا وقام بتوجيه ضربة اجهاض بالطائرات والمدفعية وبالأعمال الهجومية على وحداتنا فــان خسائرنا تكون محدودة لتواجد الوحدات فى حفر وتحصــينات ، وقد تم هذا التجهيز الهندسى بواسطة الوحدات المقاتلة بالنسبة للحفر والمواقع الدفاعية ، وتم بواسطة وحدات المهندسين وشركات مقاولات القطاع العام بالنسبة للطرق والمحاور التى تم انشــاؤها طبقا لتخطيط العملية الهجومية ، وبالتدريج حتى لانكشف الخطة الهجومية •

ونتيجة لنشاط العدو الهندسى فى اعداد خط بارليف أصبحت الضفة الشرقية أعلى من الضفة الغربية ولكن بواسطة أعمال هندسية جبارة لشركاتنا المدنية تم بناء مصاطب فى السنة السابقة للهجوم، ولم تكن مصاطب بل كانت أهرامات بلغ حجم الأمتار المكعبة فيها من ٥٠ ألف متر مكعب الى ٢٠٠ ألف متر مكعب ووصلت تكاليفها الاجماليــة فى قطـــاع الجيش الثانى وحده أكثر من عشرين مليون جنيه •

وقد استمر العمل فيها حتى اليوم السابق للهجوم • وأذكر بعد الهجوم ووصولى الى مسافة حوالى ١٨ كيلو مترا شرقى القناة أن نظرت خلفى •• فوجدت المصاطب التى أقمناها شــامخة تعلو فعلا الضفة الشرقية للقناة •

هذا الجهد الهندسى جهد ضخم وتكلف أموالا ضخمة ومجهودا مستمرا • لأن الوحدة تجهز موقعها فى شهور وتنتهى منه ثم تقوم زوبعة رملية تردم كل الأعمال التى تمت خلال الشهر الماضى •• وتبدأ الوحدة فى انشائها من جديد •

وكانت « شكاير » الرمل مشكلة •• نحفر ثم نملؤها بالرمال وبعد فترة تتراوح بين ٣ الى ٦ أشهر تبلى الشكاير وتنساب منها الرمال •• ونضطر الى بناء موقع جديد •• كل هذا يشكل تكاليف على الدولة • وعبئا على الوحدات •

وأحب أن أقول ان عملية التجهيز الهندسى استمرت باستمرار الاعداد للمعركة •

وهذه بعض الأرقام أقدمها للقارىء على سبيل المثال لأحد الجيشين :

تم انشاء ٥٢ مصطبة بارتفاع ١٥ الى ٢٠ مترا بالاضافة الى عشرة كيلو مترات ساتر ترابى أعلى من العدو وتم خلالها تشكيل حوالى ٨ ملايين متر مكعب •• وتكلفت ٤ ملايين جنيه •

بناء حوالى ٢٠ مليون طوبة حمراء لتكسى بها المواقع والمرابض •

استخدام حوالى ٣٠ مليون شيكارة ثمنها حوالى ٥ ملايين جنيه •

عمل ٣٠ ساحة اسقاط و ٦٠ منزلا للعربات البرمائية ثمنها مليون جنيه •

تكاليف انشاء المنطقة الابتدائية للهجوم وشبكة الدفاع والخداع وصلت الى ١٥ مليون جنيه •

وجميع هذه الأعمال تمت فى الشهور السابقة للهجوم فقط

الخداع :

مع التجهيز الهندسى وخطة اعادة التجميع والتحركات العديدة وضعت خطة خداع على مستوى رئيس الجمهورية والقيادة العامة وعلى مستوى الجيوش والفرق ، حتى مستوى الفرد الذى جلس قبل الهجوم بساعتين على الساتر الترابى يرتدى الفانلة والبنطلون متكاسلا يمص عود القصب أمام نقطة الملاحظة للعدو .

واشتركت فى الخداع عناصر عديدة على مستوى القطاع المدنى والعسكرى بعضها يعلم .. وأغلبها لا يعلم أنه خداع . على سبيل المثال الاذاعة ، التليفزيون ، الصحافة كانت كل هذه الأجهزة تبحث موضوعات فى الفترة السابقة للهجوم مباشرة لا علاقة لها بالمعركة .

بالاضافة الى خطط الخداع التعبوى .. وتعويد العدو تقبل تحركات مستمرة لقواتنا لمدة شهور قبل العملية .. وكان الخداع ناجحا فى عدم كشف خططنا ونوايانا أمام العدو ..

الهجوم شاملا ، أو محدودا .. ؟

ولن أذيع سرا اذا قلت ان القيادة فكرت فى أثناء الاعداد للمعركة فى خطة جريئة وهى دفع لواء مشاة مدعم لاقتحام قناة السويس والاستيلاء على رأس جسر فى الضفة الشرقية يقوم بصد وتدمير هجمات العدو المضادة بمعاونة وحدات الدفاع الجوى والمدفعية .. وتحت ستر أعمالنا القتالية .. يقوم المهندسون بفتح الثغرات فى السواتر الترابية ويقيمون المعديات والجسور وتتشبث نحن برأس جسر .. لمدة محدودة .. تختبر فيها احتمالات أعمال العدو .. ومدى نجاح الأعمال الهندسية فى فتح الثغرات واقامة الجسور .

كانت عملية فدائية الى حد كبير لأن لواء واحدا هو الذى

سيتلقى جميع ضربات العدو واختير لوائى « لواء النصر » لتنفيـذ هذه العملية وتم التخطيط والاعداد لهـا ·· ووصلت وحدات الدعم ·· واستطلاع وتلقين الجميع ·· ووصلت القوارب وجميع الامكانيات للهجوم ولكن قبل التنفيذ بساعتين أوقفت العملية وتقرر قيام قواتنا المسلحة بالهجوم الشامل ·

المبتكرات :

فى هذه الأثناء كانت المبتكرات مستمرة على مستوى القوات المسلحة وعلى مستوى اللواء أجرينا عمل تطوير لعربات الجر اليدوى بحيث أصبح استخدامها أكثر سهولة ·

وعملت وسيلة مبتكرة لعمل حفر للدبابات والعربات بواسطة المتفجرات فى زمن وجيز دون الحاجـة الى معـدات حفر آلية مثل البلدوزر وخلافه ·

عملت تجهيزات مبتكرة للدبابات والعربات لمقاومة الحرائق واستخدام العدو للنابالم ·

طورت فى استخدام السرية الطبية بحيث أصبح وضعها ضمن العناصر التى تقتحم القناة مترجلة مع وجـود كل الامكانيات لديهـا لعمل الاسعافات الطبية ·· والاخلاء قبل وصول العربات اليها ·

ودعانى الى هذا أمران ·

عدم تأكدى من سرعة اتمام المهندسـين فتح الثغرات فى السواتر الترابية ·

صعوبة تحرك عربات الاسعاف داخل منطقة رأس الجسر تحت ضغط نيران مدفعية وطيران العدو ·

الفصل الثانى

التخطيط العام للمعركة

اتسم التخطيط العام للمعركة بالجدية والكفاءة والسرية المطلقة . مع تسلسله فى توقيت زمنى لكل مستوى ابتداء من القمة عند الرئيس السادات والرئيس السورى حافظ الأسد والمشير احمد اسماعيل بالنسبة للمعركة .. ثم تدرج التخطيط من مستوى هيئة عمليات القوات المسلحة . ثم قادة الجيوش . فقادة الفرق . فقادة الألوية .

وفتشنا فى الدفاتر القديمة ، واخرجنا الأسلحة القديمة المضادة للدبابات ، واشركناها مع الأسلحة الحديثة فى المعركة .

الكل كان يعرف أن هناك معركة .. ولكن متى نبدأ الهجوم ؟ !

تميز التخطيط للمعركة بالجدية ـ الكفاءة ـ السرية المطلقة مع تسلسله فى توقيت زمنى لكل مستوى ٠

بدأ من مستوى القمة ٠ من عند الرئيس أنور السادات مع الرئيس حافظ الأسد ٠٠ والمشير أحمد اسماعيل بالنسبة للقرار السياسى ٠٠ والقرار الاستراتيجى ، ولفترة زمنية لم يكن غيرهم يعلم هذا القرار ٠

تدرج التخطيط بعد ذلك من مستوى هيئة عمليات القوات المسلحة ٠٠ ثم قادة الجيوش ٠٠ ثم قادة الفرق ٠٠ ثم قادة اللواءات ٠٠ كل فى توقيت محسوب ٠

عندما وصل التخطيط الى مستوى اللواء ٠٠ ألم به فقط قائد اللواء شخصيا ٠

وكان مطلوبا منى كقائد لواء النصر، اعداد خطط وقرارات. وقرارات تخصصية ٠ كان المفروض أن يعاوننى فيها المتخصصون فى اللواء ولكنهم لم يشتركوا فى البداية ٠٠ وكان عبئا ضخما ٠٠ كنت

أؤدي كل الأعمال العادية ، ثم أذهب بعد ذلك الى مكان راحتى وأغلق الباب على نفسى •• وكانوا يعتقدون أننى نائم • ولكننى كنت أعمل أثناء وقت راحتى ••

كيف تم التخطيط ؟

قدرنا أولا العدو •• ما هو ؟ وما هى امكانياته ؟ وما هى احتمالات أعماله ؟ وكيف نواجهها ؟!

مانع قناة السويس • طبيعة الأرض على الجانبين • موانع العدو الهندسية • الألغام • النابالم •• وكيف نتغلب عليها •

بناء على ذلك وضعنا خطة بسيطة تسمح باستخدام كل امكانياتنا وتضمن هزيمة العدو •• طبقا لحساباتنا •

وضعنا هذه الخطة فى صورة مشروعات تدريبية يتدرب عليها كل القيادات •• كل الوحدات دون أن يعلموا أنها خطة العمليات الحقيقية •

التخطيط والتجهيز الهندسى تم بناء على خطة العمليات • دون أن يعلم المنفذون فى أغلب الأحيان •

التخطيط الادارى والفنى :

كان تخطيطا ضخما •• ناجحا ، وتم فيه تكديس كميات خرافية من الذخيرة وكذلك التعيينات والمياه والوقود •• وجميع أنواع المهمات • بحيث توفر لكل وحدة مستوى الاكتفاء الذاتى طبقا لمعدل استهلاك تم حسابه بطرق دقيقة طبقا لخبرات القتال السابقة •

وأضرب مثالين صغيرين •

(أ) على المستوى الصغير ــ مستوى كتيبة صواريخ أرض ـ

أرض كانت معى ٠٠ وجدت أن الوحدة النارية لها تحتاج الى ٥٧ لوريا كبيرا وتستهلكه فى ٥ دقائق ٠

(ب) على مستوى الجيش وجدنا أن الجيش يحتاج كل يوم بعد اقتحام الفناة للامداد الادارى ما حمولته ١٠٠٠ (ألف) عربة لورى كبيرة ، ولو عبر الألف لورى على جسرين لاحتاجوا الى زمن قدره ٧ أو ٨ ساعات متصلة للعبور فى اتجاه واحد ومثل هذا الوقت فى العودة ٠

بالنسبة للتخطيط والاعداد الفنى :

تم اصلاح جميع الدبابات واعدادها بمعدات الاضاءة واعداد جميع العربات للسير فى الأراضى الرملية الصعبة ورفع مستوى الصلاحية ونجحنا لأننا عندما دخلنا المعركة كانت نسبة الصلاحية ٩٥٪ للمركبات وحوالى ١٠٠٪ للأسلحة ٠

بالاضافة لهذا فتشنا فى الدفاتر القديمة وأخرجنا الأسلحة القديمة المضادة للدبابات وأشركناها فى المعركة وكذلك أدخلنا أسلحة حديثة ٠٠

كل ذلك تم فى مرحلة الشهور الأخيرة وتم فيها تخصيص الأفراد ٠٠ تسلم الأسلحة ٠٠ التدريب ٠٠ التدريب على الرماية فى وقت وجيز جدا حتى وصل الأمر أن بعض الأسلحة كانت تتدرب على الرماية فى اليوم السابق للهجوم ٠

تدرج التخطيط الى مستوى الكتيبة ٠٠ ومستوى السرية والفصيلة ٠٠ فى توقيتات معينة بحيث ألم كل مستوى بالخطة ، ودوره فيها ، وأعطى كل مستوى الوقت اللازم لشرح خطته لقيادته ولوحدته ٠٠ ولأفراده ٠

وأصبح الجندى يعلم كل شيء عن المعـركة التى سيدخلها • ما هى المهمات التى ستكون معه •• أين حفرة قاربه • متى ينفخه •• ترتيبه بين زملائه •• متى ينزل القارب الى الماء ومن أين •• هـل هناك ثغرة فى حقل الألغام •• اتجـاه القارب •• ما هى القوارب الموجودة يمينه ويسـاره •• نقطة وصول القارب •• كيف يصعد بالأسلحة والذخيرة التى معـه •• ما هى القوات الموجـودة أمامه أو خلفه .. ما هو العدو وكيف يدمره .. الخ **فقط لم يكن احد يعلم متى يبدأ الهجوم ••**

كانت السرية مطلقة •• كل المعلومات فى نوت سرية مرقمة على مستوى الفرقة حفظها قائد الفرقة •• على مستوى اللواء حفظها قائد اللواء وخريطة واحدة فقط عند القائد •

فى أثناء التخطيط والاعداد للمعركة :

زارنا الرئيس محمد أنور السادات •• عدة مرات وكان وقتها يبدو عليه الارهاق الكبير •• وكبر المسئولية التاريخية التى يحملها على أكتافه •• وعمل عدة لقاءات مع القادة والضباط •• وبعض الضباط غير المشتركين فى التخطيط كانوا متأثرين بدعايتنا •• وكلام وسائل اعلامنا فكانوا فى شك من جدية المعركة ••

وكان ملخص كلام الرئيس فى هذه المؤتمرات أحنـا عاوزين السلام يا رجاله •• ولكن احنا مضطرين للقتال لاستخلاص حقنا •• والمعركة أكيدة •• وقريبة •• سمعة القوات المسلحة وسمعة مصر ورجالكم أمانة فى أيديكم •• ومصر بتوفر لكم أقصى ما يمكن لكى تنتصروا **وبأقولهـا صريحة أنا باحترم التخصص واللى حايخطط للمعركة وحايديرها •• هو أنتم •• والدوره حاتاخذ القـوات المسلحة فرصتها •• وتثبت وجودها وتقاتل •• وتنتصر » •**

كانت الجدية بادية على الجميع فى آخر مؤتمر والمناقشة مع الرئيس كان هدفها استكمال أساسيات المعركة لضمان النصر .

أولاد خفاجة .. فى المعركة :

فى أثناء الاعداد والتخطيط للمعركة .. ارتبطنا مع السكان المدنيين فى المنطقة بأواصر قوية . حافظنا على أملاكهم ، أشجارهم ، زراعاتهم ، حفظنا حرماتهم .. وأشعرناهم بأننا أسرة واحدة شعبا وقوات مسلحة .

فى لواء النصر أنشأنا مدارس لأطفال المدنيين درس لهم فيها العسكريون فى أوقات فراغهم .. وقام الأطباء العسكريون بمعالجة المدنيين منهم ، وصرف الدواء اذا تيسر .

وقامت عربات اسعاف الجيش باخلاء الحالات الطارئة منهم .. وبخاصة فى وقت الليل عند منع التجول . كما أنشأنا لهم المساجد وأقمنا معا الشعائر الدينية .. وتبادل الخطباء العسكريون والمدنيون الصعود الى المنابر .

بل قدمنا لهم أحيانا ما يؤمن استمرار الرى والزراعة عند تهديدها نتيجة لانشاء المحاور والطرق .. كانشاء أنابيب ضخمة للمياه تحت الطرق .. الخ .

والأهالى عاونونا بقدر الامكان .. قاموا بالاشتراك فى قص الأشجار الضخمة العديدة التى تعوق الرماية من على المصاطب ولن أنسى الحاج سيد خفاجة وأسرته .. استدعيته قبل الهجوم بثلاثة أيام وطلبت معاونته فى ازالة مئات الأشجار على القناة لم يكن لدى الوقت للكلام الكثير .. أو استضافته .. وفهم الرجل جدية الموقف .. جند كل رجاله .

وزرته بعد المعركة ·· اتضح أنه قد شعر بأن هنـاك موقفا مهما ولكنه لم يتكلم ·· كان قائدا فى قطاعه ·· وقد اشـــترك المدنيون فى خطـة الخداع دون أن يعلموا ، كان معـروفا أنه سيتم اخلاؤهم قبل بدء الهجوم بفترة وجيزة من المنطقة ، طبقا لخطة زمنيه محددة واستخرجت بطاقات جديدة لسكان المنطقة · وكان معنى اخلاء المدنيين هو أن المعركة قد اقتربت ·· وبدأت المعركة ·· والأهالى المدنيون مع الجيش فى أتون المعركة · ورأيت وسمعت كيف عاون أولاد خفاجة وسرابيوم ·· وكل قرى القناة قواتنا المسلحة فى نقل الاحتياجات ·· فى عبور القوارب ·· فى رفع الأسلحة على السواتر ·· بل كيف اقتحموا القناة بالجلاليب ·

وزغردت النساء وتدفق الخبز الفلاحى الســاخن والمش ·· والعسل لكل الرجال بلا استثناء حرموا أنفسهم أحيانا وقدموا كل ما عندهم لأبنائهم واخوتهم الجنود ·

لا سرية للعدو :

قمنا بجمع معلومات عن العـدو ·· والأرض بشتى الطـرق طيران يقوم بالتصوير الجوى / استطلاع اليكترونى بواسطة أجهزة معقدة ·· استطلاع لاسلكى بواسطة وحدات فنية خاصة ·· وطبعا عملاء لأجهزة المخابرات ·

وبالاضافة لهذا كان يتم اســتطلاع شخصى للقادة من الضـفة الغربية من الأماكن المرتفعة ·· ودفعت مجموعات تسمى مجموعات « مؤخرة عدو » عبارة عن فردين أو ثلاثة معهم أجهزة لاسلكية وبعض المعلبات والمياه ·· وفى ظروف حياة صعبة جدا يستمرون بالشهور داخل سيناء يراقبون تحركاته ·· انشاءاته ·· قياداته ·· وقاموا بقصص بطولة فى الخفاء ·· لا يعلم أهلهم عنهم شيئا · بل ان بعضهم

استشهد ٠٠ وبعضهم أسر ، وأغلبهم لايزال يدق حتى الآن الأرض بقدميه بيننا فى صمت ٠

قبل المعركة بثلاثة أشهر زاد نشاطنا ٠

عبرت مجموعات استطلاع قناة السويس على الجمال ٠٠

هل تعلم أن الجمل يعوم ؟

لقد عبر بحيرة التمساح ٠٠ ثم عبر صحراء سيناء ٠٠ وأرسل لنا الدسم من المعلومات ٠

وعبرت مجموعات صغيرة من الأفراد القناة سباحة ليلا لاحضار معلومات هندسية عن القناة ٠٠ عن الساتر الترابى ٠ عن المناطق الصالحة لارساء معدياتنا .. عن منطقة عبور المركبات البرمائية . مناطق الكبارى ٠٠ استطلعنا ألغام العدو ٠

فى لواء النصر قمت بتدريب هذه المجموعات بنفسى كسباح وكمقاتل استطلاع قديم ٠٠ وهذا ما وطد الثقة بينى وبينهم وزاد من حماسهم ٠

ولهذا قمنا فى ليلة بتنفيذ أعمال استطلاع كان المفروض أن ننفذها فى ثلاثة أيام ٠٠ أرسلت داورية لاحضار لغم من حقل معاد قرب بحيرة التمساح فأحضروا أكثر من عشرة ألغام ٠٠ كانت هذه المجموعات تعبر سباحة فى سكون الليل ٠٠ لباسهم مايوه البحر ٠ سلاحهم سونكى أو خنجر وبضع قنابل يدوية ٠٠ أحيانا يسبح ببندقية آلية ومعه « خف » فرو يلبسه فى قدمه ليزيل آثار أقدامه ، كل هذه الأشياء والأسلحة يحملها فرد استطلاع فى أكياس نايلون مبتكرة سهل التخلص منها للاشتباك ٠

ولا أنسى الليلة الأولى لعمل هذه المجموعات ٠٠ اختاروا لواء النصر لبدء التنفيذ ٠ وحضر التنفيذ اللواء سعد مأمون قائد الجيش

الثاني ‥ والعميد عبد ربه قائد الفرقة ‥ وتابعت معهم رجالنا فى ظلام الليل ‥

وفى أجهزة الرؤيا الليلية يبدو الفرد السابح كنقطة فى الجهاز شاهدناهم يتخلصون من النايلون ‥ ويتهيأون للعمل ‥ والقتال فى الوقت نفسه وينتهى العمل ويعودون الى القناة فى سكون ماحين آثار اقدامهم ثم يسبحون حيث ننتظرهم ‥ وفى أقرب ملجأ نبدأ استجوابهم مع كوب شاى ساخن وهم ينشفون أجسامهم ٠

ويعود قائد الجيش ، وقائد الفرقة وأبقى على القناة ‥ أترقب داوريات استطلاع الفجر للعدو ونبدأ المرور والتفتيش ‥ هل تكتشف آثار الداورية ؟ ويقف فرد الداورية الاسرائيلى ويترجل من المركبة ؟ وأكتم أنفاسي هل رآنا ؟ ولكنه ينظر الى الضفة الغربية من بعيد ؟ ولا ينظر تحت قدميه ‥ ويمضى ‥ وتعوى الرياح فتثير الرمال وتختفى آثار الأقدام ‥

وأعود الى قيادتى ولا يعلم أحد أننى لم يغمض لى جفن كنت ساهرا على حافة القناة ٠

ثم أسمع صوت الراديو يغنى للسلام « تحت الشجر يا وهيبة » ‥

وحدة عربية على القناة :

وفى أثناء الاستنزاف وأثناء الاعداد للمعركة كانت على القناة وحدات من الكويت ‥ من الجزائر ‥ من فلسطين اشتركت فى الدفاع عن القناة وكان لى شرف قيادة الوحدات الكويتية ، ضمن لواء النصر فى فترة ما ‥ وقد لمست منهم نخوة ورغبة فى العمل ٠ وشاهدت مقاتلين ٠ انضباطيين ٠ وكسبت اخوة ‥ وأبناء ‥

وامتزج الدم العربى على القناة مؤكدا وحدة الصف العربى ٠٠ وأن النصر عربى ٠

لن أنسى القائد جاسم شهاب ٠٠ الجاد المثقف الوطنى ٠ لن أنسى الشهيد القائد الرائد خالد الجيرار والنقيب يوسف عبيد ٠ لن أنسى اخوتى فى السلاح فى الكويت أو الجزائر أو فلسطين أو المغرب أو السودان ٠٠ أبدا لن أنساهم وأرجو أن يقام نصب للوحدة العربية على القناة ٠

الفصل الثالث

دائما بعد منتصف الليل

كان العمل لوضع الخطط يتم دائما فى سكون الليل بعد انتهاء كل الأعمال • وينتهى قبل الفجر •

ووضعت الخطة على اساس أن يقتحم الجيش الثانى والجيش الثالث الميدانيان قناة السويس بمجموعات ٥ فرق مشاة مترجلة تحت ستر نيران الطائرات ووسائل الدفاع الجوى ، واسلحة الضرب ضد الدبابات ويستولون على خمس رءوس جسور •

وفى شهر يوليو وصلت مركبات برمائية مدرعة وتم التدريب عليها فى شهرى اغسطس وسبتمبر ، ودخلنا بها المعركة ودخلنا باسلحة حديثة جدا ومعقدة جدا لا تقل فترة استيعابها عن عام •

ولكن ماذا اخذنا عن المستشارين السوفييت ؟ ولماذا كان خروجهم امرا ضروريا ؟!

كان الاعداد للمعركة ووضع الخطط يتم باستمرار فى سكون الليل بعد أن تهدأ الأعمال المعادية ٠٠ وينتهى قبل الفجر ٠

ووضعت الخطة العامة على أســاس أن يقتحــم الجيش الثانى والجيش الثالث الميدانيان قناة السويس بمجوعات خمس فرق مشاة مترجلة تحت ستر نيران الطيران ووسائل الدفاع الجوى والمدفعيــة وأسلحة الضرب ضد الدبابات ٠ ويستولون على خمســـة رءوس جســـور فرق ٠ ورأس الجسر معناه عمل نصف دائرة قاعدتها قنـــاة السويس ولعمق يصل من ٧ الى ٨ كيلومترات ، وتتحول الفرق الى الدفاع المؤقت فى وقفة نسميها « وقفة تكتيكية » لمدة من يوم واحد الى يومين ٠

وتحت ستر هذه الأعمال القتالية تقوم وحدات المهندسين بفتح الثغرات فى السواتر الترابية فى الضفة الشرقية لفتح المخـــارج (المطالع) ٠٠ ثم تعبر دباباتنا ومدفعياتنا والأسلحة الثقيلة والأمداد على المعديات والكبارى الى الضفة الشرقية ٠٠ وكان بدء العمل المنتظر

للمعديات والكبارى يبدأ بعد حوالى ٦ الى ٨ ساعات · وخلال هذه « الوقفة التكتيكية » يتم تدمير جزء من طيران العدو وصد وتدمير دبابات وعربات العدو المجنزرة المكونة لاحتياطياته المحلية ، والتكتيكية ، والتعبوية القريبة ·· وكانت تقدر من ٣ الى ٤ ألوية مدرعة ومشاة · أى حوالى ٣٠٠ الى ٤٠٠ دبابة معادية ومجنزرة ·

بالاضافة لهذا يتم فى الوقت نفسه اقتحام نقط خط بارليف الحصينة المتمركزة على القناة مباشرة · ومنع انسحابها أو امدادها ·

ومع استكمال فرق المشاة لدباباتها ومدفعياتها ومعداتها الثقيلة تبدأ تطوير الهجوم لزيادة العمق والوصول الى مسافة ١٥ الى ١٦ كيلومترا من القناة مع ربط هذه الرءوس داخل كل جيش لعمل رأس جسر موحد ويتم على مستوى الجيش الثالث بفرقتى مشاة ٧ ، ١٩ ، وعلى مستوى الجيش الثانى بثلاث فرق مشاة ١٦ ، ٢ ، ١٨ ·

بعد ذلك تدفع الفرق الميكانيكية والفرق المدرعة من رءوس الجسور لتطوير العمليات فى اتجاه المضايق أو أى اتجاه آخر طبقا للموقف ·

الفرقة ١٦ مشاة من الجيش الثانى بقيادة العميد أركان حرب عبد ربه النبى حافظ ومعه أسلحة دعمه تهجم على الحد اليمين للجيش الثانى مع وجود ثغرة بينها وبين الجيش الثالث بطول البحيرات المرة حوالى ٦٠ كيلومترا ·

وكانت مهمة الفرقة اقتحام قناة السويس من الدفرزوار داخل ·· حتى جبل مريم ·

اقترحت على قائد الفرقة اقتحام جنوب بحيرة التمساح ببعض المركبات البرمائية مع الدبابات على معابر تسمى ج س ب فى توقيت

مبكر مفاجيء للعدو فى ساعة الصفر «س» وعرض هذا الاقتراح على اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى فحضر بنفســـه مع قائد الفرقة واســتطلع المنطقــة ٠٠ وناقشنى ثم قرر أن يخصص لهذه العملية كتيبة من أحدث أسلحة قواتنا بها مركبات برمائية مدرعة بقيادة القائد المقاتل الباسم « فراج » الذى سبق له العمل معى فى منطقة رأس العش والبلاح ٠٠ وتربطنا أخوة واحترام متبادل ٠

وهذه المركبة يفوق تسليحها دباباتنا ودبابات العدو ٠٠ وكان معنى ظهورها فى هذا المكان وهذا التوقيت الاخلال بجميع تقديرات العدو وارباكه ٠٠ وشل احتياطياته ٠٠ لأنه لا يتوقع ظهور أى دبابة أو جنزير لنــا فى الضفة الشرقيــة قبــل مرور ٨ ساعات على ساعة الصفر ٠

وضعت هذه الكتيبة تحت قيــادتى اعتبــــارا من ٢/١٠/٧٣ وسترى فى ادارة المعركة كيف نجحت ٠٠ وأخلت بسير المعركة ٠٠ ولكن قائد الجيش وقائد الفرقة كانا حريصــين على عدم اســتخدامى هذه الكتيبة الا طبقا للخطة الموضوعة ، لأنها كانت ولمدة زمنية أقلها ٨ ساعات كل رصيدنا ٠٠ كل ما تملك الفرقة ١٦ المشاة ٠٠ بل كل ما يملك الجيش الثانى من الجنزير على الضفة الشرقية !

أكلنا السمك ٠٠ ثم أكلنا العدو !

تم تمركز كتيبة فراج ٠ واجراء عدة تحركات لها فى سرية تامة وتم اخفاؤها فى أشجار مانجو بلدة الضبعية وفى الطريق الى جبل مريم ٠

وقد أجرى استطلاع ليلى عدة مرات لصالح فراج اتسم بالدقة وبالصبر ، تم فيه استطلاع منطقة النزول ، والخروج ومنطقة الكثبان الرملية العنيفة وحقول ألغام العدو الكثيفة شرق القناة ٠

وكانت البحيرة غير صالحة للعبور الا فى منطقة واحدة أمكننا اكتشافها ·· وبعد أن كنت أمنع صيد الأسماك سمحت به فى المنطقة ·· وابتدأت أنا نفسى أصطاد السمك بعد سنتين ونصف أمضيتها فى اللواء ··

آكلنا سمكا ·· ثم أكلنا العدو !!

وكان الساتر الحجرى فى منطقة النزول يمثل عقبة لمركباتنا فى أثناء النزول · كان هدمه يكشف نية هجومنا ·· واتفقت مع فراج على أن ينزع الأحجار فى صمت ليلا ويرصها فقط قبل الفجر وتصبح لها منظر حائط هش « وتزقه يقع » ·

ومع بدء اقتحام القناة دفع رجال فراج الأحجار وتهاوت فى الماء واندفعت مركباته تخوض القناة ·

واشتركت مع كتيبة فراج مجموعة تأمين مترجلة بقيادة الملازم ناجى ومجموعة مهندسين لرفع ألغام العدو ·· كما امتطت جبل مريم سرية دبابات وسرية ب م ب ، وفهد ، ووحدات دفاع جوى تؤمن اقتحام فراج وتدعمه بنيران من مختلف الأسلحة فى أثناء عبوره وعمله ·

مهمة لواء النصر :

كانت مهمتى ضمن الفرقة ١٦ مشاة أن أهجم مترجلا مع أسلحة دعمى فى اتجاه المجهود الرئيسى للفرقة وفى النسق الأول من علامة الكيلو ٩٠ عند سرابيوم ·· حتى جبل مريم ، والقيام بتدمير أسلحة ومعدات وقوات العدو البشرية واحتياطياته ، والاستيلاء على موقع العدو فى الطالية على بعد سبعة كيلومترات ونصف شرق القناة ثم أؤمنها وأتحرك للدفاع ضمن الوقفة التكتيكية لمدة تتراوح

بين يوم ويومين حتى وصول دباباتي ومدفعيتي ووحـــدات الدفاع الجوى وباقي معداتى ٠

ثم أطور الهجوم في النسق الأول للفرقة للوصول الى خط رأس كوبرى الجيش على أن يكون لواء العميد شفيق على يميني وأقوم بتحقيق الاتصال مع لواء مشاة من الفرقة الثانية المشاة ٠

كانت هذه هي الخطوط العريضة لخطة الفرقة ١٦ المشاة ولواء النصر ضمن الجيش الثاني ٠٠ هذه الخطة استغرقت منا جهدا كبيرا ٠٠ مؤتمرات ٠ سهر طوال الليل ٠٠ شاى وقهوة ودخان السجائر يملأ ملجأ العميد عبد ربه ونحن نتناقش في أدق التفاصيل ٠

ويتناول العميد عبد ربه نظارته الطبية للقراءة وينظر في نوتة أمامه ٠٠ ثم يسأل « نمر » رئيس المهندسين ٠

ويتكلم « نمر » من ذهنه يدلى ببيـــانات وأرقام لا تنتهى من الذاكرة ٠٠ وبمنتهى الدقة ٠٠ لقد اســتطلع هذه البيانات عشرات المرات على الأرض وسجلها في « نوتته » وهو « يسمع » البيانات والأرض مجسمة لكل الخطة في قلبه وذهنه ٠٠

ويقترب الفجر ٠٠ ونعود الى قيادتنا منهكين نختطف سويعات الراحة ٠٠

في الوقت نفسه كانت مشروعات التدريب التكتيكية بالجنود تتتالى في الفـــرقة ٠٠ وهو تدريب في الوقت نفســـه على خطط العمليات ٠ والمشروع هو جهــد في وضــع الوثائق ٠٠ في الاعــداد للمشروع ٠٠ وفي اعداد المحكمين والهيئــة الادارية للمشروع ٠٠ جهد على الوحدات القائمة بالمشروع والوحـــدات التى تمثل جـــانب العدو ٠٠ عبء وجهد مستمر على الجميع ٠

وبذل الجميع العرق والجهد والسهر فى مرحلة التخطيط والتدريب للاعداد للمعركة ·· لتوفير الدماء ·

أستطيع أن أمثل هذا الجهد فى قائد كتيبة مشاة استمر فى الاعداد لمشروع كتيبته فترة طويلة ·· واستمرت « ادارة معركته » ثلاثة أيام متصلة لم يستطع أن ينام أو يغسل وجهه أو يلتقط أنفاسه وكانت أمنية القائد « علم » أن يخلع الشراب من قدمه ويتناول كوبا من الشاى الساخن ·· دون مطب أو خداع من « مدير المشروع » أو العدو الهيكلى ·· ولم تتحقق أمنيته !

ولم يخل الموقف من نوادر ··

حدث فى احدى مناطق التدريب · كان قائد الكتيبة يسير على ساتر ترابى على الترعة يتفقد أفراده وهو يرتدى زى القتال واعتقدت بنت فلاحة أنه جندى فأخذت تداعبه وهى تسير خلفه وتقول يا دفعة يا واد يا تقيل ، وهو مستمر فى المشى والضحك ولا ينظر خلفه أبدا ·· فقد أعجبه الغزل الفلاحى !

فى هذه المرحلة استمر ظلمى لزوجتى وأولادى · قلت الاجازات وتباعدت والأدهى أننى حتى فى الأوقات القليلة التى كنت أذهب فيها لأسرتى كنت مجهدا ، وأدخل رأسا الى السرير وكان أول طلب لى منهم هو الهدوء حتى أنام على الأقل عشر ساعات ثم أبدأ فى التفاهم معهم فى الساعات المتبقية من اجازتى ·

وزوجتى لا تعلم طبيعة عملى جيدا . « أسرارك ما تقولهاش لست » ولهذا كانت تقول لى « أنا تحملت مسئوليتى ومسئوليتك فى البيت طول عمرى ·· أنجبت لك ثلاث مرات وأنت فى كل مرة بعيد عن البيت · انتقلنا من منزل الى آخر مرات عديدة ولم تكن موجودا· كوارث الأولاد ·· عملياتهم الجراحية مشاكلهم فى المدرسة ·· الدروس الخصوصية ·· الخ ·· » ·

وأقول لها اصبري ·· باقى ١٠ سنين وأنتقل الى القاهرة ·

وفى نهـاية أغسطس ٧٣ منحت اجازة طويلة ·· ١٥ يوما متصلة ·· ووصلت الى الاسـكندرية فى الساعة ١٢ ظهرا ·· وبعد ساعة واحدة بالضبط تلقيت مكالمة تليفونيـة من العميد عبـد ربه « ارجع تانى يوم » ··

كان منح الاجازات ضمن خطة الخداع ··

وعدت الى مؤتمر قائد الجيش ، وتضاءلت الاجازات ·· ونزل كل ضباطى ورئيس أركانى وضـاعت اجازتى الطويلة ، لتصـبح ١٢ ساعة فقط قبل المعركة ··

كان ذلك فى أول رمضـان · والحقيقة ربنـا بارك فى هذه الليلة · فسحت أولادى ·· وسهرنا فى « سيدنا الحسين » وتناولنا السحور هناك وعدت الى منزلى ··

وبعد أن ناموا جميعا قمت وحدى لأكتب الى زوجتى ·· أولادى عزة ــ علاء ــ عماد مفهومى فى الحياة ــ أمنيتى لكل واحد منهم · ونصائحى لهـم فى صورة خطاب مغلق تركته فى مكان حفظ وثائقى الشخصية بالمنزل ··

لقد كنت أعلم بالمعـركة ·· وكنت أدعو الله أن أنتصر ·· وأستشهد ·

فى الجبهة السورية :

مع العميد أحمد بدوى ··
وتتدفق الذكريات ··

فى أول شهر أغسطس ١٩٧٣ عينت مع اللواء سـعد مأمون قائد الجيش الثانى ضمن وفد عسكرى لزيارة الجبهة السورية ·· وكان

من حظى أن أشارك العميد أركان حرب (فى هذا الوقت) أحمد بدوى فى الزيارة . كنا فى عربة واحدة وفى غرفة النوم نفسها .. وهو بالاضافة لهذا زميل وأخ أحتذى خطاه . فقد حصلنا على أكاديمية فرونز العسكرية فى بعثتين متتاليتين .

ثم هو زميلى فى ظلم لا قبل لنا به . فقد أحلنا معا الى المعاش .. وان كان هو قد عانى ظلما أفدح منى . وبرغم هذا كانت مناقشاتنا معا على انفراد تدل على ايمان بمصر وبالوطن . وعلى عزة وكرامة .. لا تنحنى أو تنكسر .

والجبهة السورية لها فى نفسى ذكريات .. فقد خدمت فيها زمن الوحدة أكثر من عام . وحضرت معركة التوافيق وشربت مياه الجوخدار وسكنت العال / وفيق ، واستحممت فى بحيرة طبريه وأكلت من سمكها ولا أستطيع أن أنسى قرية « الكرس » ولا مشتى « الحمة » .. ولا أستطيع أن أنسى اخوتى .. زملاء سلاحى فى سوريا .

أنظر على البعد الى القنيطرة ثم أتفقد خط المواجهة حجرا حجرا حتى السويداء ثم الى العمق عند زيارتى لقوات سوريا الضاربة .. ومع كل خطوة أرى وجها أعرفه .. وبسمة وتحية .. ثم أجد شخصا قد نسيته .. فيتقدم لى ويذكرنى بنفسه ، وبذكريات عزيزة على نفسى ..

لا أنسى ومعى أسرتى فى وفيق . ومنزلى يعلو الحدود مباشرة ، وأمام البيت على بعد ١٠ أمتار حقل ألغام مضاد للأفراد .. وعدت فى أول يوم من عملى لأجد أطفالى عزة وعلاء (٤ و ٦ سنوات) داخل حقل الألغام يلعبون ..

ووقفت مذهولا .. وقفت خارج السلك الشائك وناديت عليهما ليعودا .. ولم تحدث اصابات .. واستجابت « عزة » لنصحى

وكرر « علاء » دخول الحقل مرتين حتى جرح من السلك الشائك فقرر عدم الدخول ·

كيف أنسى .. بلدى سوريا ؟ !

عودة الى المستشارين السوفييت :

فى لواء النصر التقيت بمستشار سوفييتى يجيد اللغة العربية ·· خفيف الظل ·· ونجح فى الحصول على ثقة أغلب الضباط وكان مستواه جيدا ·

كان هناك مستشارون على مستوى الكتائب ولكن هؤلاء للأسف كانوا فى مستوى علمى ضعيف ولا يعملون اطلاقا ·· فطالبتهم بالعمل بالذوق أولا ·· ثم ابتدأت أضغط عليهم ·

وقد فوجئت فى أول مشروع لواء بالجنود قبل الفجر بعربة لورى كبيرة فى مركز ملاحظتى فتشتها فوجدت جميع المستشارين تاركين وحداتهم ونايمين معا · على حين رفضت أنا وضباطى مبدأ احضار عربات لمبيتنا ·· الجندى والقائد فى حفر متشابهة ·

وسمعوا منى « دوشا باردا » باللغة الروسية وكنت أمثل بالنسبة لهم « بعبع » فى اللواء بعد ذلك كانوا يخشون صرامتى ··

سألت مرة مستشار الكتيبة ٢٥ عن اسم المنطقة الموجود فيها ملجؤه فلم يستطع برغم وجوده فى المنطقة أكثر من عام · سألته عن موقف العدو أمامه فلم يعرف ·· سألته فى الأساسيات فوجدته « استيكه » ·

حاول زملاؤه أن يدافعوا عنه بعد ذلك بأنه كان خائفا منى · ولكن دفاعهم كان غير مقنع وحاول أن يحفظ بعد ذلك ··

وأذكر أنه في أحد الأعياد القومية للاتحاد السوفييتي طلبوا مني الاحتفال به مع السماح بشرب الخمور .. ولكني رفضت رفضا قاطعا ليس من أجل الدافع الديني فحسب بل لوجودنا في الجبهة ، وأنا لا أضمن متى يبدأ العدو الغادر أي عملية مفاجئة .

وألحوا .. ورفضت .

وأخيرا سمح لهم بعمل حفل على مستوى الفرقة بنادى فايد ولم أشرب .. وخطبوا وأطالوا ثم طالبوني بالخطابة فقلت باختصار « ان الصداقة بين الشعوب هي أقوى المحالفات .. وان الصداقة تدوم وتنمو عندما يدرك كل شعب أن الشعب الآخر يعمل لصالحه في الأزمات . وان الشعب المصري عندما يشعر أن الشعب السوفييتي يقدم له كل المعاونات لكي ينتصر ويستعيد حقوقه .. فانه لن ينسى أبدا هذا للاتحاد السوفييتي » .

الفصل الرابع

اعادة تجميع القوات للهجوم

تطلب عملية اعادة تجميع قواتنا استعدادا للهجوم تجهيزا هندسيا جبارا تم ليلا ونهارا . مع وضع خطة خداع ممتازة للعدو حتى لا يكتشف نية هجومنا . فيقوم بالبدء بالهجوم .

واستغرقت عملية اعادة التجميع على مستوى القوات المسلحة عدة أشهر . وعلى مستوى الفرقة خططت بحيث تتم فى ٣ أيام .

واعطيت الأسبقية لوحدات الدفاع الجوى ومدفعية الميدان وكان تمام استعدادها قبل الهجوم بيومين . وكان آخر ما تم صرفه هو قوارب الاقتحام المطاطة فى صناديق خشبية مكتوب عليها « تعيينات » .

ان اعادة تجميع القوات للهجوم معناه ببساطة أن أكون قبل الهجوم فى أوضاع دفاعية ٠٠ وأسيطر على مواجهات واسعة ٠ وقبل الهجوم طبقا لخطة معينة أتمركز على مواجهة صغيرة أركز هجومى فيها وينضم لى فيها وحدات دعم تسمح بتحقيق التفوق على العدو ضمن هذه المواجهة الصغيرة وحتى العمق المحدد لى ٠

وكمثال الفرقة ١٦ المشاة كانت تدافع من منتصف البحيرات المرة حتى بحيرة التمساح بمواجهة حوالى ٥٠ كيلومترا ، ولكن أعيد تجميعها قبل المعركة وتركز هجومها فى مواجهة حوالى ١٠ كيلومترات فقط ٠٠

وخطة اعادة التجميع تطلبت تجهيزا هندسيا كبيرا ٠٠ وتحريكا للقوات تحت نظر وملاحظة العدو المستمر بجميع الوسائل دون أن يكتشف نية الهجوم ، حتى لا يقوم العدو بتوجيه ضربة احباط ٠٠ بالطيران والمدفعية لاخفاق الهجوم ، وتحطيم الخطة وهذا يتطلب اعداد خطة خداع ممتازة ، وتغليف جميع أعمالنا بالسرية والكتمان ٠

وقد أعيد تجميع الفرقة ١٦ المشاة من علامة الكيلو ٩٥ شمال الدفرزوار الى الكيلو ٨٥ شمال حنيدق ، بالاضافة الى عملية اقتحام جنـوب بحيرة التمساح بكتيبة المقـاتل فراج ، وشغل المواجهة بين حنيدق ومريم وهى حوالى ٥ كيلومترات بأعمال خداعية ٠٠ ووحدات صاعقة ٠ واقتحام القناة فى النسق الأول بلواء مشاة ـ يمين ـ ولواء النصر تحت قيادتى ـ يسارا من الكيلو ٩٠ (سرابيوم) حتى مريم (داخل) ٠ وقد أعطيت أسبقية الاستعداد فى اعادة التجميع الى وحدات الدفاع الجوى ووحدات المدفعية ٠ وكان تمام الاستعداد لها قبل الهجوم بيومين على الأقل ٠

وعملية اعادة التجميع على مستوى القوات المسلحة استغرقت شـهورا ، وعلى مسـتوى الفرقة خططت بحيث تتم فى خلال ثلاثة أيام فقط ٠

وكانت هناك عدة عوامل تهدد نوايانا باستمرار منها :

* زيادة حجم أعمال التجهيز الهندسى لاستيعاب الوحدات الجديدة ٠
* زيادة حجم التحركات فى الأيام السابقة للهجوم ٠
* زيادة نشاط استطلاع الوحدات الجديدة ووحدات الدعم بحيث تغطى المهام القتالية ٠

وبرغم ترتيبات الأمن والسيطرة ٠٠ الا أن نشاط استطلاعنا زاد على القناة بصورة رهيبة ٠٠

كان الاستطلاع يبدأ من القائد ومجموعته وهو يحـدد أوضاع قواته على الضفة الغربية ، وأماكن الأسلحة ، وحفر القوارب ٠٠ وخطة النيران ٠٠ وخطة المناورة ، وأوضاع العدو ٠٠ الخ ٠ الى أن يستطلع الجندى العادى مكان حفرة قاربه ٠٠ الطريق الذى يسلكه ٠٠

الثغرة التى يعبر منهـا فى ألغامنا .. مكان نزول القوارب .. رقم القارب اليمين .. والقارب اليسار .. الخ .

كل هذا الاستطلاع يتم فى مواجهة ٣١ نقطة قوية للعـدو وأمام ما يقرب من ٦٠ الى ٧٠ داورية مدرعة اسرائيلية نهارية تتضاعف ليلا على قناة السويس .

وفى لواء النصر تم التجهيز الهندسى على مراحل امتدت شهورا فى المواجهة الضيقة بما يكفى اللواء بكامله وجميع وحدات الدعم التى ستصله .. بالاضافة الى التجهيز الهندسى لوحـدات أخرى منهـا الموجودة بالجبهة ، والموجودة فى القاهرة وتصل فى توقيت معين .. مع الاستمرار فى التدريب لاقتحام القناة .. والهجوم .

فمثلا كان عندى فى الدفاع كتيبتان للمدفعية فى المواجهـة الواسعة ولكن فى الهجوم . كان معى ٦ كتائب مدفعية فى المواجهة الضيقة ومعنى هذا انشاء مرابض مدفعية ومراكز ملاحظات تساوى ٦ أضعاف الموجود فعلا .

كما تم مد خطوط مواصلات تليفونية لنقط الملاحظات المتعددة وعمل شبكة مواصلات جديدة .

وتم صرف بعض الأسلحة الجديدة وبدأ التدريب عليها . وفى هذا المجال بذل المقـاتل محمود رئيس التسليح ، والمقـاتل صلاح ضابط الذخيرة والمقاتل ابراهيم قائد ورشة التصليح جهدا خرافيا .. لا نوم اطلاقا لمدة أكثر من أسبوعين الا فى عربة لورى متحركة لمشـوار طويل .. يختطف كل منهـم سـاعتين أو ثلاثا فى أثنـاء التحرك .

وتصل أحيانا بعض أسلحة من المخازن تحتاج لضبط وبعض

الاصلاحات ·· ويقول ابراهيم تتصلح يافندم ·· ويتم اصلاحها فورا ·· ثم يبدأ التدريب عليها ··

وقام المقاتل ممدوح رئيس الشئون الادارية ، ومعه المقاتل مدحت وباقى مقاتلى الشئون الادارية ·· قاموا بصرف وتشوين تكديسات ذخائر وتعيينات ·· ووقود ·· وتوزيعها فى حفر ·· بل اعادة تخزين التكديسات القديمة فى أماكن وحفر جديدة لا يعلمها العدو ·

عمل صامت ، وفى كل دقيقة تصل تعليمات جديدة··وتعديل لمعدل الاستهلاك اليومى وتعديل فى مستوى الاكتفاء الذاتى ·· كلها مجرد أرقام على الورق ·· يترجمها المقاتلان ممدوح ومدحت الى أطنان وعربات ووقت ومسافة وعدد رحلات وكم ساعة أو كم ليلة ·

ومزيدا من الصمت ·· مزيدا من العمل ·· لقد كانوا يعلمون أن الامداد الادارى هو الماء الذى يروى « شجرة النصر » ·

وضمن اعادة التجميع بدأت تنساب الأسلحة والمعدات الى قناة السويس ·· تحركات فردية ·· بعضها نهارى ، وبعضها ليلى ، وتواجدت على القناة الأسلحة المضادة للدبابات بكل أنواعها وبدأ الاحتلال الكامل لأهرامات القناة ·· المصاطب ومواجهتها تصل من ٥٠ الى ١٠٠ متر، وارتفاعها يصل من ٢٠ الى ٢٢ مترا وهى مجهزة تجهيزا هندسيا يسمح باستيعابها من ٢ — ٤ حفر دبابة أو عربة مجهزة بصواريخ مضادة للدبابات وبها تجهيز هندسى يستوعب :

من ١ — ٢ مركز ملاحظة مدفعية ·

١ مركز ملاحظة لقائد ·

من ١ — ٢ قاذف مضاد للدبابات خفيف ·

جماعة صاروخ أرض/جو سام ٧ للضرب على الطيران المنخفض·

بالاضافة لهذا أنشىء داخل المصطبة ملاجىء ثقيلة تتحمل ضرب عيارات مختلفة من قنابل الطائرات والمدفعية ٠

وتم تجهيز مواقع دفاعية خلف وحول المصطبة لتحقيق دفاع دائرى عنها من جميع الاتجاهات ٠

وقد استكملت كل مصطبة قبل الهجوم بيومين ما يخصها من أسلحة ودبابات ٠٠ وتم اعداد المواصلات فيها ٠٠ ولكن دون أن يظهر هذا الاستكمال للعدو ٠٠ بل استمرت الصورة نفسها التى تعود عليها ٠

وفى أثناء مرحلة اعادة التجميع وصلت الوحدات الادارية ٠٠ والفنية والطبية التى تؤمن عملية اقتحام الموانع المائية وتمركزت فى أماكن وحفر مسبق اعدادها لها ٠

وانتشرت على طول مواجهة الهجوم الرئيسية ٠٠ والثانوية ٠٠ والخداعية ٠٠ وحدات كيماوية معها مولدات دخان ٠٠ وعبوات دخان أمام النقط القوية صواريخ دخان ٠٠ تعمل مع بدء تمهيد المدفعية ، وتصنع غمامة سوداء على عيون العدو تخفى معدات عبورنا والجسور ٠٠ تخفى هجومنا ، وتمنع نيران العدو من الجو والأرض من اصابة أهدافها ٠

كانت وحدات المهندسين المخصصة لانشاء الكبارى أو عمل المعديات والمعدات البرمائية هى آخر ما انضم الى الفرقة واللواء ٠ وقد وصلت هذه المعدات بعد خطة خداع وتحركات تمويه ، استمرت لفترة طويلة ٠ فقد كانت عيون العدو تترقبها ٠ لقد كانوا يعلمون ومتأكدين أنه بدونها ٠٠ لا حرب !

وقد وصل منها كبارى حمولة ٦٠ طنا وحمولة ٥٠ طنا ويمكن تجزئتها لتعمل فى صورة معديات منفصلة ٠

كما وصلت مركبات برمائية من أنواع متعددة ٠

كما وصلت فصائل المهندسين العسكريين المدربين على فتح الثغرات في السواتر الترابية الضخمة ٠ وكل فصيلة يمكنها فتح ثغرة فى الساتر فى زمن يتراوح من ٣ الى ٥ ساعات وتكون الثغرة ممهدة ٠٠ ومستعدة لاستقبال العربات وعبورها بعد زمن من ٦ الى ٨ ساعات وتعمل بطريقتين :

(أ) المضخات النفاثة وهى أفضل وسيلة ٠

(ب) التفجيرات المتتالية من أعلى الى أسفل ٠

آخر ما تم صرفه هو قوارب الاقتحام المطاط والخشب وهى ذات ثلاث حمولات وتم صرفها ليلا فى صناديق خشبية ، وتمت عملية التوزيع للكتائب ليلة الهجوم فقط ودخل كل قارب الى حفرة سبق تجهيزها ثم غطى القارب لاخفائه ولم يخرج من الحفرة الا فى توقيت محسوب لكل قارب على حدة فالدقائق محسوبة طبقا لعدد الخطوات بين القارب والقناة والوقت اللازم لقطع هذه الخطوات بحيث تكون جميع القوارب فى القناة فى وقت واحد ٠

بجوار كل قارب تم تكديس معداته الخاصة ٠

بالاضافة الى امكانية استخدام عناصر اللواء المترجلة لمركبات المهندسين البرمائية الأخرى حتى يتم فتح الثغرات فى الساتر الترابى ٠٠ وبالتالى عمل المعديات والكبارى ٠

وللسيطرة على تدفق دباباتنا وعرباتنا الى الضفة الشرقية للقناة تم تنظيم هذه المعدات فى نقط عبور سرايا ــ وكتائب مشاة مترجلة ٠

الباب الثالث

ساعة الصفر

الفصل الأول

أول مجداف فى القناة
بداية العمليات

حددت ساعة الصفر بوقت نزول قوارب الموجة الأولى الى القناة • وبدء ضرب أول مجداف لها • وتم تنظيم الفرقة المشاه لكى تقتحم القناة فى ١٢ موجة بحيث تعبر كل موجة فى ١٥ دقيقة •

وبذل رجال الاشارة جهدا خرافيا • وأعدت كمية أسلاك تليفونية على الأرض غرب القناة فى كل لواء قبل المعركة تكفى لمد خط تليفونى من القاهرة لأسوان • فالاشارة لا يكفيها النجاح بنسبة ٩٩٪ انها هنا تكون فاشلة •

وضمن خطة الخداع تم تسريح ٣ دفعات من المجندين من خير العناصر فى الوحدات • وبدأ وصول عدد من المستجدين مكانهم •

واهتزت الوحدات لخروج هؤلاء • واشتكى القادة !!

تم تنظيم الفرقة المشاة التي تقتحم القناة فى ١٢ موجة بحيث تعبر الموجة فى زمن لا يتجاوز ١٥ دقيقة فيكون اقتحام جميع عناصر الفرقة المشاة المترجلة فى زمن لا يزيد على ٣ ساعات ٠

زرع أم حصاد :

فى أثناء الاعداد للهجوم ٠٠ اضطررت الى رفع ألغام لنا على الضفة الغربية لقناة السويس فى منطقة محطة ارشاد طوسن وكان بها مراقبون لهيئة الأمم يراقبون المنطقة نهارا وليلا ٠٠

واضطررت الى عمل تمثيلية هى أننا سنقوم بصيانة حقـل الألغام فنزرع ألغاما أخرى جديدة فى المنطقة ٠

ونجحت التمثيلية ولم يكتشف مراقبـو الأمم المتحـدة ازالة الألغام ٠

والحقيقة أننا بذلنا جهدا كبيرا حتى لا يشعر المراقبون الدوليون بالأعداد للمعركة ، مع أن مجهودى الرئيسى كان حولهم وكان مركز

ملاحظتى الأصلى والتبادلى عن طريق تحركهم ومرورهم وسط هذه المواقع .

وأذكر المقاتل عادل . لقد ساهم فى انشاء مركز ملاحظتى.. بطريقة ماكرة وسليمة لم يكتشفها العدو أو المراقبون برغم استمرار ملاحظتهم للمنطقة .

انتقال مراكز القيادة :

من بين اعادة التجميع انتقال مراكز الملاحظة ، ومراكز القيادة من أماكنها القديمة التى يعرفها العدو جيدا .. الى أماكن سبق اعدادها بمنتهى السرية ، ومخفاة .. وفى توقيت محدد .

فقد كان مركز قيادتى القديم فى عزبة خفاجة .. وكان العدو والمدنيون يعرفونه جيدا يعرفون أن قائد اللواء هنا .. وكان يجتمع فيه ضباط هيئة قيادتى بجميع عناصرها بالاضافة الى وحدات القيادة والسيطرة .. وحجم هذه الوحدات كبير .

وفى أثناء التخطيط والهدوء يوجد مركز القيادة ومركز الملاحظة فى مكان واحد ، ولكن عند بدء المعركة الدفاعية .. أو عند الهجوم ينسلخ مركز الملاحظة من مركز قيادة اللواء ويندفع فى اتجاه المجهود الرئيسى ، حيث ثقل العمليات .

وكنت قد أنشأت مراكز قيادة وملاحظة جديدة . وتم التجهيز الهندسى والاعداد لها فى صبر وسرية .. وقبل بدء العمليات بدأت عمليات تخفيف وانتقال تدريجى الى الأماكن الجديدة ، وتركت فى المراكز القديمة عناصر لخداع العدو عن المراكز الجديدة . كما بقيت أنا نفسى فى المكان القديم حتى ٤ أيام قبل بدء الهجوم .

ثم انتقلت الى القيادة الجديدة .

ان مركز الملاحظة أو القيادة المتقدم هو جزء صغير من مركز القيادة الأصلى يوجد فيه قائد ، ويتميز بخفة الحركة لصغر حجمه مع وجود وسائل مواصلات لاسلكية وخطية معه تكفل له قيادة الوحدات والسيطرة عليها خلال الدفاع والهجوم • وهو دائما فى الأمام مندفع خلف وحدات النسق الأول وفى اتجاه ثقل العمليات •

ولقد أحطت مركز ملاحظتى بالسرية على جميع العناصر • وظل المقاتل حبيب رئيس اشارة الفرقة يسأل ويطلب منى تحديد مكان عبورى ومركز ملاحظتى وأنا أراوغه •• وشكانى للعميد عبد ربه•• ولم أحدد له مركز ملاحظتى الا قبل العملية الهجومية بيومين •• « الشيخ حنيدق » وتم مد جميع المواصلات له قبل الهجوم بيوم واحد •

ان نجاح القائد فى سيطرته على وحداته قبل المعركة وفى أثنائها يتوقف على نجاح خطة المواصلات اللاسلكية •• والتليفونية• وقد بذل رجال الاشارة جهدا عملاقا وأتموا مد كمية أسلاك تليفونية على الأرض غرب القناة قبل المعركة فى كل لواء تكفى لمد خط تليفونى من القاهرة لأسوان ••

والقادة دائما متشددون بالنسبة للاشارة••ونحن كعسكريين نقول أن الاشارة اذا كانت ناجحة بنسبة ٩٩٪ معناها اشارة غير ناجحة •• لابد أن تكون ١٠٠٪ •

تعبئة القوات المسلحة :

ومن بين خطة الخداع •• تم تسريح ٣ دفعات من المجندين من القوات المسلحة ، وكانوا يشكلون خير عناصر الوحدات وبدأ وصول جنود مستجدين مكانهم ••

واهتزت الوحدات لخروجهم ••

شكا القادة وكنت معهم ··

وكانت الاجابة اعتبروهم لا يزالون فى التشكيل ·· سيصلون فى الوقت المناسب ·· وفعلا ·· وصلوا جميعا قبل المعركة ·· وفى الوقت المناسب ·

كما أوقفت أكاديمية العلوم العسكرية وكلية أركان الحرب وجميع الدورات التدريبية فى القوات المسلحة · وانضم الضباط الى وحداتهم للاشتراك فى مشروع استراتيجى تعبوى لمدة ٨ أيام ·· وحضروا الى الوحدات ·· وانضم الى الفرقة العميد شفيق مترى سدراك قائد لواء مشاة حيث كان فى الأكاديمية العسكرية .

وتمت تعبئة ضباط المدارس والضباط الاداريين لدعم وحدات الهجوم ·· ووصلت نسبة استكمال وحدات النسق الأول فى الهجوم الى أكثر من نسب استكمالها ·

لقد كنا نتوقع خسائر رهيبة فى الهجوم ·

العد التنازلى ·· والعدو لا يعلم شيئا :

وبدأت قبل الهجوم بثلاثة أيام أتلقى تمامات الاستعداد ·

* المقاتل عبد البارى وقيادته يتابع تحرك ووصول الوحدات الجديدة واعادة تجميع قواتنا فى مواقعها الجديدة ، وعملية حشد وتركيز قواتنا فى قطاع الهجوم ·· وفى الوقت نفسه يتأكد من أن خطة خدمة القائد للسيطرة على تحرك الوحدات والدبابات والعربات والمدفعيات الى المعديات والكبارى قد تمت ·

* المقاتل الجوهرى قائد مدفعيتى ·· يتابع تحرك وحدات المدفعية واحتلالها لمرابضها ، واحتلال نقط الملاحظة وتمام مواصلاتها وتمام تكديس الذخيرة اللازمة لتمهيد نيران المدفعية ولادارة المعركة··

ويعطى تمام استعداد ٦ كتائب مدفعية لصب نيرانها على العدو قبل الهجوم ب ٤٨ ساعة ٠

* المقاتل سعيد قائد دفاع جوى اللواء ٠٠ يحتل مرابضه الجديدة ويبلغ عن تمام استعداده لتدمير طائرات العدو ٠

* المقاتل مدحت ٠٠ يتابع تحركات جميع الأسلحة المضادة للدبابات واحتلالها لجميع مرابض النيران لستر تحركاتنا واقتحامنا للقناة ويتابع الصواريخ الفهد والدبابات وباقى الأسلحة تركب فوق المصاطب ٠٠ وتستعد ٠٠ وتتحفز فى صمت ٠٠

* قادة كتائب المشاة يستقبلون أسلحة الدعم ٠٠ ينكمشون استعدادا للامتداد تماما كالياى المضغوط ، ويعطون تمامات بموقفهم ٠

* المهندسون ٠٠ مصطفى وزكريا يتابعان ٠٠ وصلت البرمائيات وصلت المعديات والكبارى ٠٠ وصلت فصائل فتح الثغرات فى السواتر الترابية ٠٠ تمركزت ٠٠ واحتلت أماكنها وتم استطلاعها ٠

* المقاتل جابر يبلغ عن وصول قاذفات اللهب وتوزيعها ٠٠ وعن استعداد وحدات الدخان على القناة ٠٠ لاخفاء التحركات وتعمية العدو ٠

* المقاتل عبد الرحمن يبلغ عن استعداد المواصلات الخطية واللاسلكية وتمام المناورة ٠

لم يتمكن أولاد خفاجة من ازالة كل الأشجار من أمام المصاطب مما يجعل باقى الأشجار تشكل عائقا أمام فتح النيران ويأتى المقاتل عبد الله ويجهز هذه الأشجار للنسف ٠٠ على أن يبدأ التفجير فيها مع ضرب مدفعيتنا ٠

تم اقفال ترعة الاسماعيلية / السويس لينخفض مستواها ويمكن للدبابات والعربات أن تجتازها بسهولة على المخاضات المجهزة من قبل ٠

تم وصول القوارب ووضعها فى حفر بجوار القناة وأصبحت مستعدة للعبور ٠

* المقاتل رفيق يبلغ عن تمام استعداد النواحى الفنية ووصول عربات دبابات النجدة والاصلاح وتمركزها فى حفر بجوار القناة ٠

* المقاتل ممدوح يتابع التكديس الادارى ويعطى تمام الاستعداد ٠٠

* المقاتل المليجى يعطى تمام استعداد مركز الملاحظة ٠ والوثائق ٠٠ وخطط الهجوم واستعداده للهجوم ٠

* المقاتل فراج يبلغ عن تمام استعداد كتيبته لاقتحام جنوب بحيرة التمساح واستكمال الترتيبات للهجوم ٠

* المقاتل رءوف رئيس استطلاعى يتابع تحركات العدو وضباطه كلهم فى مراكز ملاحظة أو يعدون ترتيبات داوريات استطلاع ٠٠ ويتابع من الفرقة والجيش أخبار العدو ٠٠ ويبلغنى أولا بأول ٠

وكان كل هذا يتم والصورة أمام العدو ٠٠ هدوء تجهيز هندسى معتاد ٠٠ تحركات عادية ٠

لم تصلنى ساعة الصفر ٠٠ الا فجر يوم الهجوم ولكنى كنت أستنتج كل شىء ووصلت ساعة الصفر الى قائد الفرقة الساعة الخامسة مساء يوم ٥ أكتوبر أى قبل العبور بيوم واحد ٠

وبخبرتى السابقة كنت أعلم مدى الجهد الذى يتطلبه الاعداد للمعركة ·· ومدى الجهـد الذى تتطلبه المعركة عند بدئها ولفترة طويلة ·· لهذا أمرت جميع القادة ·· جميع الأفراد أن ينالوا قسطا من الراحة طبقا لنظام يسمى « الخدمة والراحة » على كل مستوى ·

وأجبرت نفسى على النوم لمدة ٤ ساعات ··

ونمت ·· نمت برغم الأعبـــاء التى على كاهلى ·· ولكـــن المسئوليات كانت تلاحقنى كأحلام حتى فى أثناء نومى ··

واستيقظت صباح العملية الهجومية فى الفجر ·· وودعت المقاتل عبد البارى رئيس أركانى وتحركت الى مركز ملاحظتى فى حنيدق .. وتحرك هــو الى مركز قيادته للســيطرة على تحرك وحدات اللواء واقتحام القناة ·

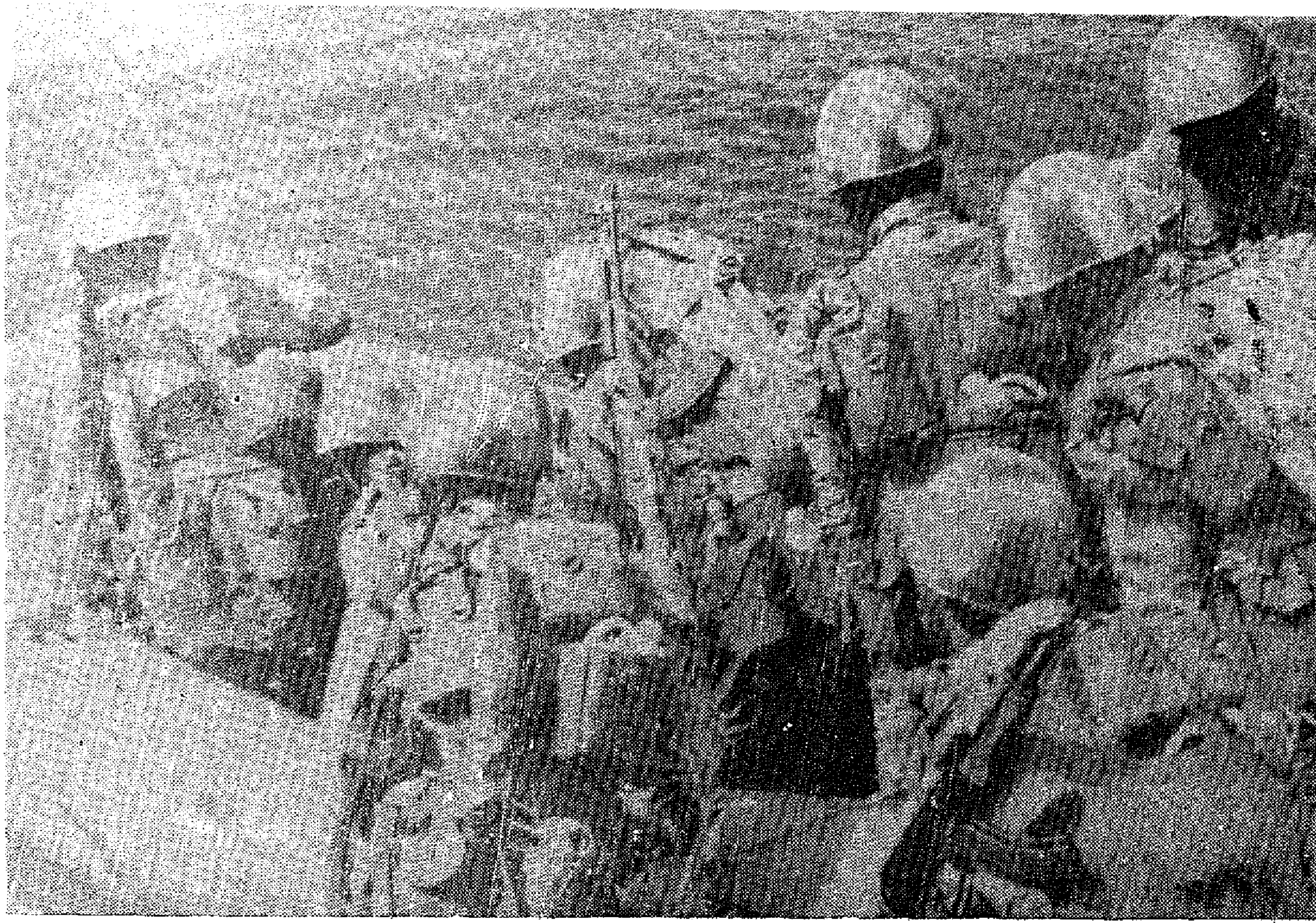
ماهو شعورك قبل الهجوم ·· هل كنت خائفا ·· ؟

* سؤال تردد لى كثيرا ·· بعد المعركة وأجبت عليه بأمانة ·· الحقيقة أنا قائد مخضرم واحتكاكى بالعدو طويـل وناجح ·· طول حياتى ·· لم أشعر بالخوف ·· ولكننى شعرت بالمسئولية ·· دم كل رجالى أمانة فى رقبتى ·· وتحقيق المهمة أمانة أخرى ·· ولهذا كان يجب أن أحقق مهمتى القتالية ·· فى أسرع وقت وأدمر العدو ·· بأقل قدر من الخسائر ··

* وهناك حقيقة ·· وجه القائد ·· وتصرفاته ·· مرآة ينعكس عليها شعوره ·· وينظر الجميع قبل بدء العملية للقائد ·· هل هو واثق هادىء ·· مبتسم ·· بارد ·· لا يثور لأى سبب ·· اذا هو متأكد من نجاح العملية ·· وبسرعة تنتقل هذه « العــدوى » لكل رجاله ·

✻ والخوف غريزة انسانية ٠٠ والشجاعة غريزة أيضا ٠ ولكن الشجاعة فى رأيى جزء موروث ٠٠ وجزء مكتسب بالممارسة وبالاحتكاك بالمواقف الصعبة وكل الناس تخاف ٠٠ ولكن فرق الشجاع من الجبان ٠٠ هو أن الشجاع يتغلب على خوفه فى لحظة كالوميض ٠٠ لا يراها من حوله ٠٠ بعكس الجبان يتغلب عليه خوفه ٠

✻ وأنا قافز مظلى ٠٠ ونحن نقول أول قفزة أصعبها ٠٠ ولكننا نعمل حساب كل قفزة ٠٠ حتى لو كانت القفزة الألف ٠



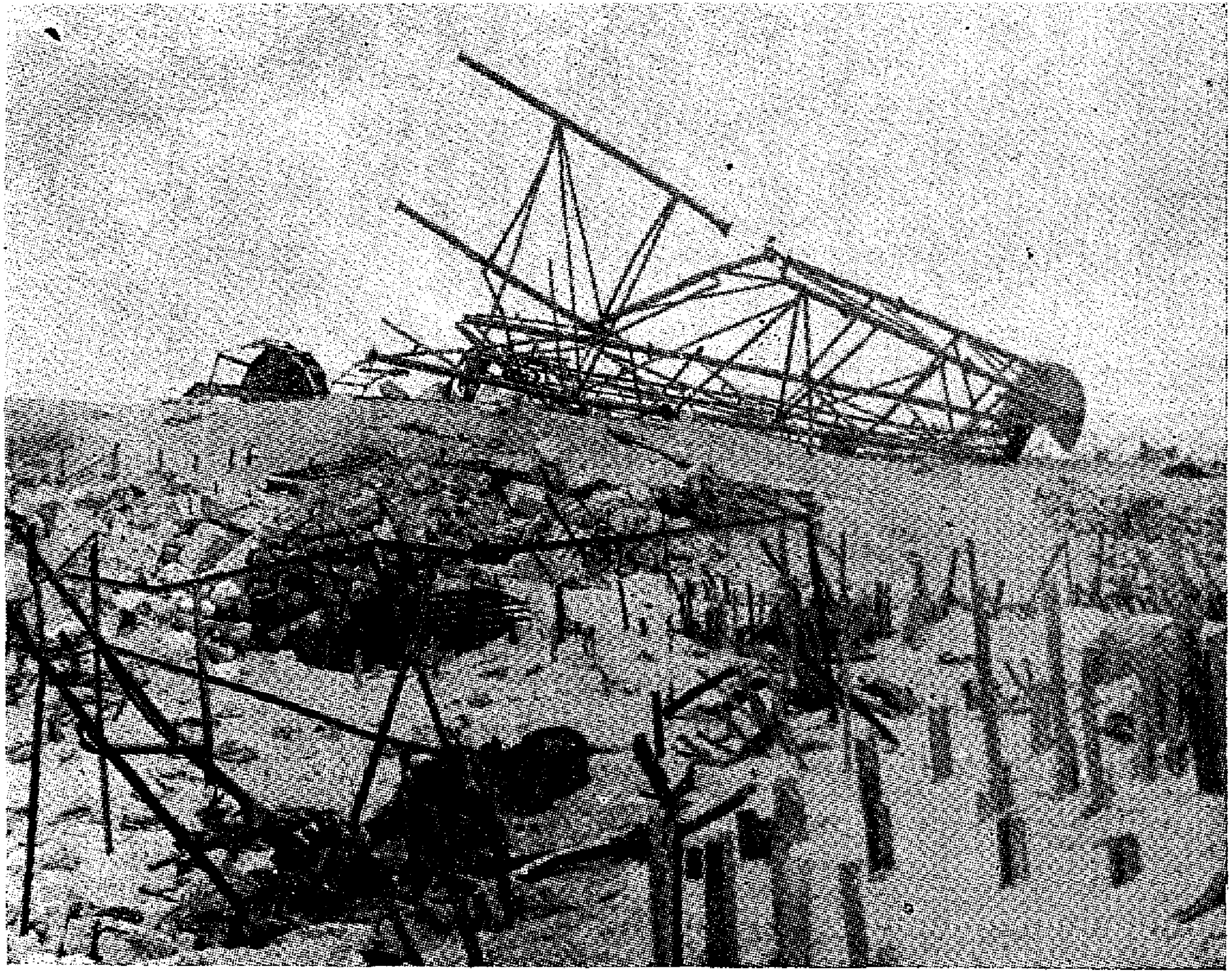
أبطال المشاة المترجلون فى قارب يقتحمون القناة ومعهم سلاحهم وذخيرتهم وتعيينهم وماء ·· ومهمات واقية من الغاز وادوات حفر وأجهزة لاسلكى كل ما يكفيهم لقتال يومين أو ثلاثة دون امداد



بمجرد وصول القارب للضفة الشرقية .. يندفعون فى عزم لتسلق السواتر



أولاد خفاجة لقد ساهموا فى الاعداد للمعركة ‥ وساهموا
فى المعركة نفسها ‥ انهم أولاد مصر أولا



ودمرت نقاط بارليف .. بعد أن اقتحمها المشاة . وكان للمدنيين دور مع العسكريين

الفصل الثانى

وتهاوى خط بارليف فى ساعات

وبعد ساعة فقط من ساعة الصفر ظهرت لنا أول قوة مجنزرة على الضفة الشرقية محطمة كل تقديرات العدو • مخلة بجميع استخدامه للاحتياطيات •

وكان تكتيك « الضفدعة » قدم على الأرض • وقدم فى الهواء تتبعه جميع الوحدات المترجلة • فالمفارز المتقدمة احتلت مواقع مشرفة بعد سباق بالأسلحة والذخيرة ، محطمة كل السرعات القتالية المعروفة • وتهاوى خط بارليف فى ساعات •

ولكن لم يؤثر ضرب المدفعية والطيران فى النقط الحصينة لقوة تجهيزها الهندسى •

وكنا نعلم أن هذه النقط لن تسقط الا باقتحام المشاة المترجلين •

حددت ساعة الصفر الثانية و ٢٠ دقيقـــة من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر (أو بلغة العسكريين الساعة ١٤٢٠) وكان يسبقها ضربة جوية فى الثانية و ٤ دقائق · ثم تبـدأ المدفعيـة فى التمهيد بعد دخول الطيران سيناء بدقيقة واحدة ·

وكنا نحسب الثوانى والدقائق قبل الهجوم · فقـد وصلتنى ساعة الصفر فى الفجر ثم تم اعلانهـا للوحدات طبقا لخطـة زمنية محددة · فعرفها القادة فى الساعة الثامنة صباحا وعرفها الجندى الذى يقتحم القناة فى الساعة الثانية عشرة ·

وأجرينا سلسلة من الاتصـالات مع القادة لتأكيـد التعليمات النهائية وكنا حريصين على عدم استخدام اللاسلكى ·· هذا ما نسميه « صمت لاسلكى » وعدم زيادة الكلام بالتليفون ·

ومضينا فى أعمال التجهيز الهندسى ، وكنـا حريصـين على ألا يشعر العدو بشى كل شىء عادى أمامه · كل شىء طبيعى · وكانت شركات المقاولات تعمل ·

ثم يبلغ رءوف ‥ العدو فاتح نقطتين من نقط ملاحظاته بعربات مدرعة م ١١٣ أمريكية أمامنا ٠ ان أفراد العـدو لا يزالون يحتلون أبراج الملاحظة فى النقط القوية ٠

مدحت يكلف قطع فهد ومدافع ب ١١ لتدمير العربات المدرعة للعدو مع بدء ظهور الطيران ٠

الساعة ١٢ وجبة ساخنة لجميع الأفراد ‥ ابراهيم يحضر لى بعض السندوتشـات لاأستطيع الأكل ‥ ذهنى مشـغول ‥ يكفى نصف سندوتش وكوب شاى ‥

زرت بشر قائد كتيبة اليسار وشربت عنده فنجـان قهوة ‥ الحقيقـة البن كان قديما جدا ‥ لكننى شربته ‥ وضحكـت مع الرجال ٠

الساعـة الواحدة رءوف يبلغ ‥ العدو يلـم نقط ملاحظتـه المدرعة ويسرع فى الاتجاه شرقا ‥

مدحت يسأل : هل أضرب ؟

لا يامدحت ‥ اتركهم الآن ‥ حايروحوا منك فين ؟

لبست شدة القتال‥جاكيت ثقيل فيه كل ما يكفى الفرد لمدة يومين أو ثلاثة وخوذة القتـال عليها رتبتى ‥ وشعـار اللواء ‥ الأسد ٠

ثم بدأ نفخ قوارب داوريات الاستطلاع ومفارز اقتناص الدبابات واستعـدت باقى القوارب للنفخ والنزول فى الماء بعد ٥ دقائق من صدور الأمر لهـا ‥ الكل متحفز الكل متفـائل ‥ لأول مرة نأخذ المبادأة ‥ لأول مرة نهجم ٠

هذه أرضي أنا :

وفي الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة انطلقت داورية استطلاع من اللواء بقيادة الملازم أول صفوت تقتحم القناة ومعه ثلاثة أفراد في قارب صغير نصف طن.. تسللوا من شمال حنيدق..الى مجموعات النخيل .. الى تبة أبو وقفه والنقطة ١١١ على مسافة ١٧ كيلو متر لمراقبة تحركات احتياطيات العدو ، وقد وصلت الى مهمتها بعد ٤ ساعات فقط فى الساعة الخامسة وأربعين دقيقة مساء ..
وبدأت تبلغ عن تحركات العدو .

فى نفس توقيت عبور صفوت اقتحمت القناة من الشمال عند بحيرة التمساح مفرزة اقتناص دبابات بقيادة ناجي ومعها أسلحة مضادة للدبابات قوية ومجموعة مهندسين لفتح ثغرات فى ألغام العدو وبعد وثبتين وصلت الى تبة المدقات حوالى الساعة الثانية والربع .. وعبرت وراءها فصيلة مهندسين عسكريين وبدأت فى فتح الثغرات في حقول ألغام العدو فى المنطقة .

وفجأة ..

هدرت فوق رأسى مجموعة من ٤ طائرات ميج ٢١ منخفضة جدا .. على الأرض تقريبا .. وعبرت القناة وهى تسرع فى اتجاه الشرق .. وكان توقيتها مبكرا الساعة الثانية ودقيقتين أى قبل توقيتها بدقيقتين فقط . انها جزء من ٢٤٠ طائرة لنا هاجموا فى وقت واحد ٣ مطارات للعدو هى : رأس نصرانى ـ وتمادا ـ والمليز . وهاجموا مركز قيادة العدو ، ومركز التشويش والاقامة في أم خشيب ، وأم مرجم .. وهاجموا ١٣ موقع صواريخ أرض / جو من طراز الهوك والمدافع الالكترونية ٤٠ مم / ل ٧٠ ، ٢ مربض نيران مدفعية بعيد المدى ١٧٥ مم ، ٣ مناطق شئون ادارية .. نقط العدو الحصينة شرق بور فؤاد .

وكان لظهور طيراننا فى المعركة أثر كبير فى سيرها .

ودوت على طول القناة « الله أكبر ـ الله ينصركم » ٠

وبمجرد ظهور الطيران أعطيت الأمر باقتحام مفارز اقتناص الدبابات فاقتحمت القناة مفرزة اقتناص كتيبة علم بقيادة الملازم عادل ٠٠ ومفرزة كتيبة حسن بقيادة الملازم أول عواد ٠٠ وكل منهما مزودة بأسلحة قوية مضادة للدبابات ٠٠ وكانت تحميهما من الضفة الغربية الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات التى احتلت جميع المرابض على المصاطب ، والسواتر ٠٠ مستعدة لتدمير أى دبابات تظهر للعدو ٠

واقتحمت سرية دبابات برمائية (١٠ مركبة ب م ب) جنوب التمساح بقيادة النقيب نبيل ٠٠ بعد أن أزاحت بضعة أحجار تمويه تخفى نقطة نزولها ٠ وبدأت فى العبور تحت ستر مفرزة اقتناص ناجى ٠٠ وتحت ستر أسلحة قوية لنا على جبل مريم ٠٠ وعبرت من ثغرة فى حقل الألغام للعدو ووصلت تبة المدقات على بعد ٢ كيلو متر شرق القناة فى الساعة الثانية وخمسين دقيقة مساء وسيطرت على طريق الاسماعيلية / الشط شرق القناة ٠

وهدرت المدفعية تعلن بدء تمهيد النيران من الساعة الثانية وخمس دقائق على احتياطيات العدو ونقطه الحصينة ومرابض نيران مدفعيته ومناطقه الادارية ٠ وأدار نيران مدفعيتى العقيد الجوهرى ٠٠ بابتسامة وهدوء ٠

وانطلقت كتيبة صاعقة بقيادة نبيل تقتحم القناة من شمال حنيدق ٠ لتعبر مجموعات النخيل وتندفع فى اتجاه كثيب الخيل الى منطقة الطاسة لتدخل فى معركة انتحارية مع احتياطيات العدو التعبوية لاحداث أكبر خسائر بها ٠٠ وتعطيلها ٠

وبدأ اقتحام الموجة الأولى للواء الساعة الثانية وعشر دقائق قبل توقيت الهجوم بعشر دقائق ٠٠ وبدأ نزول الأسلحة والأفراد في

٨٠ قاربا واحد ونصف طن وفى ١٦ مركبة برمائية فى اندفاع شديد نحو الشرق ٠

وفى دقائق ٠٠ دقت سلالم الحبال ٠٠ وتعالى الرجال ٠٠ وذلت لهم سواتر خط بارليف !

وفى الوقت نفسه بدأ فراج ومعه مركباته البرمائية يخوض التمساح .. مقتحما القناة الى الشرق ويتم عبوره بعد ساعة فقط من ساعة الصفر لتظهر لنا أول قوة مجنزرة على الضفة الشرقية محطمة كل تقديرات العدو ، مخلة بجميع خطط استخدامه للاحتياطيات ..

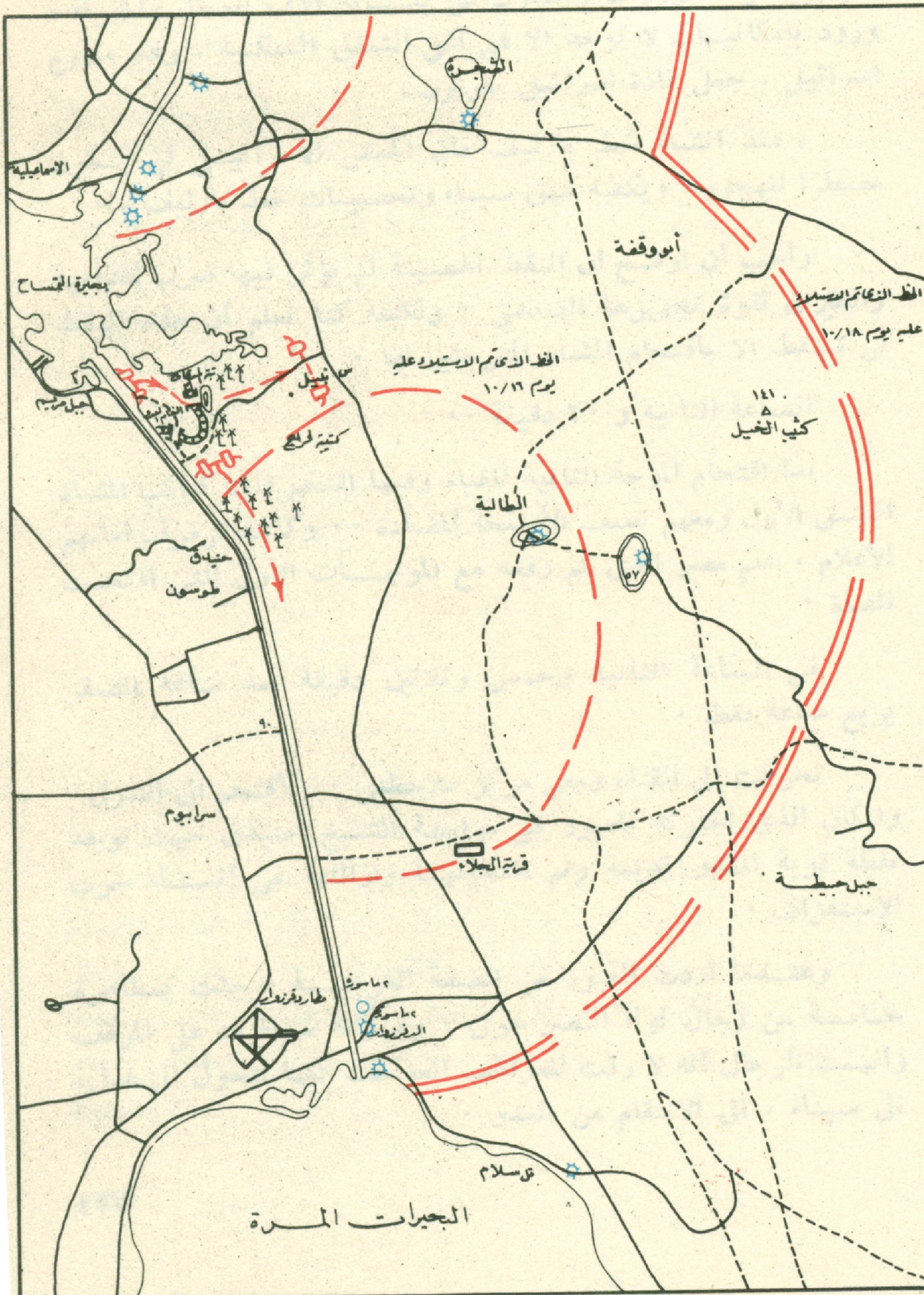
وعبر فراج ثغرة أخرى فى حقل ألغام العدو وبدأ ينساب جنوبا تؤمنه عناصر تأمين على الضفة الشرقية ٠٠ **وعلامة تمييزه رفع علم لواء النصر على هوائي اللاسلكي ٠**

وعلى يمينى كان لواء عبد الحميد يقتحم القناة بالأسلوب نفسه ، وعلى يسارى يقتحم لواء من الفرقة الثانية المشاة ٠ كل ذلك يتم فى تنسيق رائع ، وتوافق مع كل الخطوات التى تخطوها ٠

وكان تكتيك « الضفدعة » قدم على الأرض وقدم فى الهواء تتبعه جميع الوحدات المترجلة ٠٠ فالمفارز المتقدمة احتلت هيئات حيوية مشرفة بعد سباق بالأسلحة والذخيرة محطمة كل السرعات القتالية المعروفة ٠

وعلى النقط الحصينة فى الدفرزوار ، ونمرة ٦ انهالت نيران مدفعيتنا من جميع الأعيرة ، كما أخذت أسلحة الضرب المباشرة تضربها بنيران على المواجهة لفتح ثغرات فى حقول الألغام والسلك الشائك أمامها وتم قطع هذه النقط بنيران المدفعية ، وبأعمال مفارزقتالية حاصرتها من الخلف ومنعت امدادها أو اخلاءها ٠

رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاه



رسمت بادارة المساحة العسكرية لحلين ١٩٧٤ (١٠٤٧ / ٧٤)

وتهاوى خط بارليف فى ساعات ٠٠ خط تكلف ما يقرب من المليارين من الدولارات واشترك فى بنـــائه آلاف العمال والخبراء ، وزود بامكانيـات لا توجد الا فى أغلى الشقق السكنية ، وغير مفهوم اسرائيل ، جعل قادة اسرائيل يقولون :

« منذ انشاء خط بارليف فان الجيش الاسرائيـلى لن يـكون مضطرا للهجوم ، ويكفيه عمق سيناء وتحصينات خط بارليف » ٠

وأحب أن أوضح أن النقط الحصينة لم يؤثر فيها ضرب المدفعية والطيران لقوة تجهيزها الهندسى ٠ ولكننا كنا نعلم أن هذه النقط لن تسقط الا باقتحام المشاة المترجلين لها ٠

الساعة الثانية و ٢٠ دقيقة ٠٠

بدأ اقتحام الموجة الثانية للقناة وفيها اقتحم قادة كتائب المشاة النسق الأول ومعهم نصف الأسلحة المضادة ٠٠ وكانت ترفرف أمامهم الأعلام ، علم مصر الذى تم رفعه مع الموجـــات الأولى التى اقتحمت القناة ٠

فى الساعة الثانية وخمس وثلاثين دقيقة بعد ساعة الصفر بربع ساعة فقط ٠

تحركت الى القناة ومعى مركز ملاحظتى ٠٠ لأقتحم الى الشرق ٠ والمكان الذى اخترته للعبور فى مواجهة الشيخ حنيدق حيث توجد نقطة قوية للعدو قديمة وتم اقتحامهـا وازالتها فى أثنـــاء حرب الاستنزاف ٠

وعنـــدما أردت العبور من الضفة الغربيـــة فوجئت بمظاهرة حماسية من رجال لواء النصر حولى ٠ وبسرعة سيطرت على الموقف وأفهمت الرجال أنه لا وقت للعواطف العواطف كلها تتحول الى عمل ، الى سيناء ، الى الانتقام من العدو ٠

وتسلقت مركبة برمائية نقلتنى الى الشرق بسرعة وقفزت الى الشاطيء الشرقى ، كان ارتفاع الساتر أكثر من ٢٠ مترا • زاوية الميل حادة جدا ، وكانت التربة غير متماسكة برغم مرور وقت طويل على انشائها •

وشاهدت أثناء صعودى طاقم مدفع ب ١١ وهو يكافح لرفع المدفع على سلالم الحبال الى أعلى • وعاونتهم لفترة صغيرة للتشجيع ، ثم تركتهم وتسلقت الساتر بسرعة دون سلالم ، ومعى مركز ملاحظتى ومن حولى والأجهزة اللاسلكية • لقد « كسرنا الصمت » وبدأت الأجهزة تعمل طبقا لتعليمات قتال مختصرة وبكود شفرة سميناه « أحمد عبد العزيز » بطل حرب ٤٨ وشهيدها •

وكانت سرعة تدفق قواتنا كبيرة مذهلة وحماس الأفراد غير عادى ، وكان أول عمل قمت به مع جميع الأفراد هو أننا جميعا قبلنا أرض سيناء قبل أن يتقدم أحد منا لتنفيذ مهمته • وكان لسان حالنا جميعا يقول :

هذه أرضى أنا   وأبى مات ، هنا
وأبى قال ، لنا   مزقوا أعداءنا

وتتالت موجات الاقتحام ••

فاقتحمت كتيبة النسق الثانى بقيادة مجاهد القناة • وانتهى اللواء من اقتحام القناة بعد ساعة زمنية من بدء ساعة الصفر • **وشهدت رمال سيناء خليطا من الرجال والأسلحة وعربات الجر اليدوى المحملة بالذخيرة والألغام تندفع فوقها دون أن تمنعها كثبان رملية عنيفة ، أو مناطق سبخة ، تغوص فيها الأقدام • لقد غرست أنا شخصيا فى منطقة وكانت قدمى تغوص حتى آخر حذائى الطويل فى السبخات ، وانتزع قدمى مع كل خطوة •• وبصعوبة •**

ازالة بارليف بالمياه :

وتحت ستر أعمالنا القتالية ، وبعد نصف ساعة فقط من بدء الهجوم ·· نزلت فصائل المهندسين الى القناة ، ومعهم قواربهم . ومضخات مائية نفاثة ، تغرف من القناة ، وتزيل فى صبر ساتر العدو ·

فينساب الساتر وحلا تحت أقدام الرجال · ويستمرون فى صبر ، يصوبون خراطيمهم ، لمدة تراوحت من ٣ الى ٥ ساعات حتى أتموا فتح ثغرة تصلح لمخرج جسر أو معدية ·

ويبدأ عبور البلدوزرات والمعدات لتمهيد الجانب الشرقى ، كل ذلك تحت نيران مدفعيات من الجانبين · فى ظروف قتالية عنيفة ·

الباب الرابع

في قلب الجحيم

الفصل الأول

هل هذا معقول ..
المصريون يعبرون القناة ؟

صرخ الجندى الاسرائيلى موردخاى الجالس فى هدوء فوق برج المراقبة : غير معقول . ان المصريين يعبرون القناة ! انهم يغطون سطح القناة بعشرات من قواربهم المطاطة .

وفجأة يصمت الجندى الاسرائيلى لقد اصيب برج المراقبة بطلقة واحدة مباشرة . ويتمايل البرج ، ويترنح ويبقى جندى المراقبة الاسرائيلى معلقا على ثلاثة أعمدة وعندما سقط مع البرج كان كل شىء صامتا حوله . وهنا ادرك انه اصبح اصم الى الأبد !

كان الجندى الاسرائيلى موردخاى جالسا فى هدوء فوق برج المراقبة فى النقطة القوية المواجهة لكوبرى الفردان ، عنـــدما دوى صوت انفجار يصم الآذان · وأخذ الدوى يزداد ويعلو · واضطر الجندى الاسرائيلى لأن ينبطح أرضا · لقد كان يطير فوقه تشكيل من الطائرات النفاثة على ارتفـــاع منخفض · يـــكاد يلمس الأرض الرملية ·

ولم تمض ثوان حتى شهدت عينـــاه مياه قنـــاة السويس وقد غطيت فجأة بعشرات من قوارب المطاط بداخلها رجال يجدفون بكل قوتهم · وفرك موردخاى عينيه وأخذ يردد بلهجة هستيرية :

« هذا غير معقول ، ان المصريين يعبرون القناة » ·

وبضربة واحدة ترنح برج المراقبة الذى يجلس فوقه وتمايل، ولكنه ظل معلقا على ثلاثة من أعمدته ، وتعلق موردخاى فى سياج البرج المعدنى وأخذ يتطلع فى رعب الى ما تحت قدميه · انه يرى عشرات من الجنود المصريين وقد أصبحوا فوق الساتر الترابى فى

الضفة الشرقيــة للقناة ، وأخذوا يندفعون فى كل اتجــاه . انهم يقتربون من الأسلاك الشائكة ويفجرونها فترتفع فى الهواء أعمدة الرمال والدخان .

لم يفهم موردخاى السبب فى أن الفيلم الذى يراه أمامه صامتا. كان هو أيضا يلفه صمت رهيب !

وكان الرجــال أمامه يركضــون ويلوحون بأذرعتهم ومدافعهم الرشاشة تطلق اللهب على مواقع اطلاق النيران الاسرائيلية ، وأدرك ـ عندما هبط من البرج ـ أنه أصبح أصم لا يسمع . لقد أصابت برج المراقبة قديفة مدفع مضاد للدبابات ، فجعله دويها أصم الى الأبد . وسقطت نقطته القوية . وتتالى سقوط نقاط خط بارليف .

وبدأ العدو يحرك احتياطيات دباباته الباتون وعرباته المدرعة الأمريكية للقيام بهجمات مضادة فى محاولة منه لتدمير المشاة المترجلة وقذفهم مرة أخرى فى القناة . لقد تدربوا على هذه الهجمات سنوات عديدة ، وحفظوا الأرض ، وخططوا ووضعوا علامات الارشاد لهم فى كل مكان . وجهزوا الحفر ، والسواتر والنقط القوية فى العمق أيضا .

ومن هذه الوحدات التى أخذت تتحرك كتيبة دبابات اسرائيلية بها الملازم باروخ شامير . لقد كانوا فى حالة اســـتعداد كامل . والغيت الاجازات منذ الخميس ٤ أكتوبر .

ويقول باروخ « عندما تلقيت الأمر بالتحرك اهتممت بالتزود بكميات كبيرة من الشــطائر والملابس الداخلية . وما يمكن أن يقرأ حتى لا أشعر بالملل . لقد حسبت أنى منطلق الى النزهة ، الا أن باروخ وزملاءه سرعان ما تبينوا أن الأمر لم يكن نزهة . لقد أصبحوا تحت نيران العدو المصرى .

وبالقرب من بحيرة التمساح ، توقفت الدبابات وبدأت تفتح النيران على الهدف • وأحس باروخ بالدهشة فالذى يواجهه مشاه مترجلون • وليس دبابات !

وتساءل : هل يحاول المصريون القيام بعملية انتحارية ؟ لقد علمونا أن مشكلتنا هى دبابة العدو ، ثم المدافع المضادة للدبابات ، وبعد ذلك فقط نلتفت الى المشاة •

وفجأة شعر بحروق رهيبة فى ذراعيه • وقفز من برج الدبابة الى الأرض • كانت الدبابة تشتعل • وتفحم صـــندوق الشطائر ، ورأى زملاءه مصـابين بحـروق فى أذرعتهم أيضـــا • فقد كانوا يشمرون أكمام أرديتهم غير القابلة للاشتعال •

وفجأة اندفعت كرات من النـار تتراقص فى الهواء نحو باقى الدبابات الاسرائيلية لتدمرها واحدة وراء الأخرى !

وجرى باروخ تاركا سلاحه ، تاركا قتلاه وجرحاه لأول مرة • وجلس باروخ على أول دبابة أرسلت لنجدتهم واخلائهم • لم يدخلها • وشعر بالألم فى يده وقال لنفسه : بعد الشىء الرهيب الذى شاهدته، بعد ما حدث لى لن أدخل دبابة أبدا •

وفى الجانب الآخر •• جانبنا

كانت مفارز اقتناص الدبابات بقيادة عادل وعواد مندفعـــة بجرأة أمام القوات ومعهم عفاريت عبد الجابر ومنهم ، عبد العاطى ، بيومى ، جعفر ، أنور • كلهـم مختفون فى حفر أو ثنيـات يحملون حقائب صغيرة • انها صـواريخ الفهد ، وفى هـدوء وبرود راحـوا يتعاونون مع أسلحة المشاة فى سحق مدرعات العدو •

وقد واجهت اسرائيـل عمليـات اقتحام القناة والاستيلاء على

رءوس الكبارى بمحاولة التمسك بالنقط القوية واجـراء هجمات مضادة متتالية مع اجهاد قواتنا ليلا ونهارا واحداث أكبر خسائر بها حتى يتم استكمال تعبئة اسرائيل الشاملة للحرب ، والقيام بعمليات الفتح التعبوى مع منع سوريا من تطوير هجومها نظرا لقربها من قلب اسرائيل ·

واعتمدت اسرائيل على عناصر أساسية فى حربها معنا :

الطيران : وهو العنصر الحاسم للتفوق الاسرائيلى ، فبعد ٥ دقائق كان للعدو حوالى ٣٠ طائرة فوق سيناء تعمل كمظلات جوية واستمرت لمدة حوالى ١٥ دقيقة ·

وبعد ٤٠ دقيقة فى الساعة الثانية و ٢٥ دقيقة بدأ رد فعل ايجابى محدود من العدو فى صورة هجمات جوية متتالية بمجموعات صغيرة من الطائرات ضد مناطق ووسائل العبور والقوات شرق القناة ·

كان اجمالى حجم المجهود الجوى خلال اليوم الأول حوالى ٣٥٠ طلعة طائرة منها ٦٠٪ نهارا على الجبهة المصرية وحدها ·

المدفعية : حاولت قيادة سيناء الاسرائيلية تعطيل اقتحام قناة السويس واحداث خسائر فى المشاة بنيران المدفعية ذات الأعيرة المختلفة ، واستخدمت الهاوتزر ١٥٥ مليمترا والهاون ١٦٠ مم ، والمدافع الثقيلة ذاتية الحركة ١٧٥ مم وقد سماها أبطالنا فى المعركة « أبو قفه » ·

المدرعات والوحدات الميكانيكية : نفذ العدو ٨ هجمات مضادة خلال اليوم الأول للقتال بعناصر من اللواء ١٤ المدرع مشكلة فى مجموعات سرايا دبابات مدعمة بعناصر مشاة ميكانيكية ضد الأنساق الأولى من المشاة المترجلة التى اقتحمت القناة اعتبارا من الساعة الثانية والنصف ظهرا ·

وأخفقت جميع هذه المحاولات ، فأخـذ يحاول شغل قواتنـا بالنيران وتكبيدها أكبر خســائر حتى يمكنه القيـام بالضربات المضادة بالأنساق الثانية التعبوية ٠

وكما قال الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة لقد قللت المفاجأة من حجـم خسائرنا فى اقتحام القناة ولكنها لم تقلل من ضراوة القتال ٠

تصريحاتهم :

هكذا بدأنا عمليات اقتحام قناة السويس ، ولأول مرة كانت المبادرة فى أيدينـا ٠ ولم تكن الصـورة أمام القـادة الاسرائيليين واضحة ، كانت العجرفة الاسرائيلية تظهر فى تصريحاتهم ٠

مع بدء العمليات قالت مائير « اننا لم نؤخذ على غرة ، وجيش اسرائيل قادر على صد وتدمير الهجوم » ٠

وأضاف ديان « لسوف نهزمهم هزيمة منكرة » ٠

ثم تغيرت هذه النبرة فى تصريحات الجنرال كالمان ماجوين قائد قطاع سيناء بعد مقتل الجنرال ماندلر عندما قال : ان القوات المصرية تدخل سيناء من كل مكان ٠ من كل اتجاه بكل الوسائل ٠ بطائرات الهيلوكبتر ٠ بالقوارب ٠ سيرا على الأقدام ٠ ان هذه القوات تقاتل بشراسة وهى مزودة بأحدث الأسلحة ٠

وقالت وكالة اليونيتدبرس فى نبأ لها من تل أبيب :

لقد فاجـأت القوات المصرية إسرائيـــل وهى بدون سروال عندما اقتحمت قناة السويس يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ٠٠ يوم عيد الغفران ٠

ويعترف بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل صراحة في قوله :
لم تكن هناك سوى خطوة واحدة باقية وينهار بناء اسرائيل تماما . ان الهزيمة العسكرية لا تعني احتلالا أو ضياع الاستقلال لفترة ما . بل تعني ببساطة محوا كاملا لاسرائيل من فوق الخريطة الجغرافية .

وفي مساء اليوم الأول للعمليات عاد ديان بادي القلق من جولة في سيناء واجتمع بمائير . كانت اسرائيل ذات الجيش الذي لا يقهر كالحيوان المطارد من أجل بقائه .

وصرح ديان في التليفزيون الاسرائيلي :

ان القوات الاسرائيلية تخوض معارك مريرة . انها حرب ثقيلة بأيامها . ثقيلة بدمائها .

أرقام الخسائر :

وطبقا للبيانات الاسرائيلية ، كانت خسائر اليوم الأول للقتال ٥٠٠ قتيل ، وألف جريح .

ويكفي لتصوير مدى فداحة الخسائر الاسرائيلية في ٦ أكتوبر أن خسائر اسرائيل خلال حرب ١٩٥٦ بلغت ١٨٠ قتلا ، وأسيرا واحدا طيارا ، أما عدد جرحاها فغير معروف .

أي أن اسرائيل خسرت في اليوم الأول في حرب أكتوبر ثلاثة أمثال خسارتها في القتلى في حرب ١٩٥٦ بالكامل .

وفي حرب ١٩٦٧ كانت خسارة اسرائيل طبقا للبيانات الرسمية الصادرة من تل أبيب ٨٥٠ قتيلا ، ١٤ أسيرا .

وكانت خسائرها خلال حرب الاستنزاف ٤٠٠ قتيل وعدة آلاف من الجرحى .

الفصل الثاني

ديان • القرار الرهيب

كان الاسرائيليون لايتركون قتلاهم او جرحاهم ابدا فى أرض المعارك • هذا تقليد اشترك فى وضعه ديان وشارون وكل قادة اسرائيل • ان اخلاء جرحاهم وقتلاهم من الميدان اصبح أمرا مقدسا •

ولكن يوم ٦ اكتوبر كان القرار مختلفا • لقد اصدرديان وزير الدفاع الاسرائيلي قرارا بعد بدء القتال بساعات ، ليس امامنا ان نختار الذين يستطيعون الفرار عليهم أن يفعلو ذلك اما الآخرون فعليهم البقاء فى الدشم • انه قرار رهيب ولكن ماذا يمكنني ان افعل غير ذلك ؟

فى الوقت نفسه كان ديان وشارون يستمعان للصرخات القادمة من خط بارليف • صرخات الجرحى • بالعشرات بالمئات يطلبون النجدة •

انه الجحيم !

وكان هناك تقليد اشترك فى وضعه موشيه ديان وشارون ، وكل قادة اسرائيل • وذلك التقليد هو تحريم ترك أى مقاتل اسرائيلى ، جريح ، أو قتيل فى أرض العدو •

وقد سبق لشارون نفسه أن جرح خلال حرب ٤٨ واخترق الرصاص فخذه وبطنه ولم تنقذه الا معجزة • فقد حمله أحد رجاله على كتفه ، وأخلاه من المعركة ، ومنذ هذا الوقت اعتبر شارون ذلك أمرا مقدسا •

ولكن القيادة الاسرائيلية أدركت أن الخسائر ستكون فادحة ، قد تمكن الجيش المصرى من ابادة ٤٠ دبابة اسرائيلية وعربة مصفحة ، كانت تحاول اخلاء موقع محاصر صغير •• كما تم ابادة وحدة اسرائيلية كانت تحاول انقاذ ٣٠ رجلا •

واستمع شارون ، واستمع ديان ، الى صراخ نقاط خط بارليف ، الى صراخ الجرحى جرحاهم بالعشرات وبالمئات يطلبون النجدة ، وتركوا لأول مرة قتلاهم وجرحاهم ، وأسراهم ومعداتهم سليمة •

لقد كان قرار ديان «ليس أمامنا أن نختار ان الذين يستطيعون الفرار عليهم أن يفعلوا ذلك أما الآخرون فعليهم البقاء فى دشمهم .. انه قرار رهيب ولكن ماذا يمكننى أن أفعل غير ذلك ؟! » .

احتكاك . شرارة :

تلاحقت أحداث اليوم الأول بسرعة رهيبة ..

فقد بدأ الاحتكاك باشتباك مفرزة علم الساعة الثالثة ظهرا مع عنصر دبابات مكون من دبابتين باتون وعـربة م ١١٣ مدرعة ، بواسطة الفهـد من المدى البعيد وقد أخفق العـريف مخلص فى البداية فى اصابتها ثم تمكن من تدمير الدبابتين . وفرت المجنزرة ولكن أصيب مخلص فى أثناء المعركة .

وفى الوقت نفسه اشتبكت مفرزة ناجى مع دبابتين للعدو ، ولم يتمكن من اصابتهما وتخلصوا من المعركة بسرعة ولم يظهروا بعد ذلك الا فى فجر يوم ٧ أكتوبر .

استمر قصف نيران تمهيد مدفعيتنا على أماكن احتياطيات العدو وقياداته ونقطه القوية حتى الساعة الثالثة وخمس دقائق .

تم عبور لواء النسق الثـانى مترجـلا بقيادة العميد شفيق مترى وكذلك مركز قيـادة الفرقة المتقدم المترجل الساعة الرابعة والثلث . وبهذا تم عبور جميع عناصر الفرقة المترجلة فى ساعتين فقط وكان التخطيط مع التفاؤل فى ثلاث ساعات على الأقل .

استمرت فصـائل المهندسـين المزودة بالطلمبات النفاثة فى فتح ٤٤ ممرا فى الساتر الترابى على مستوى الجيش الثانى وقد نجحوا فعلا خلال يوم ٦ أكتوبر فى فتح ٣٥ ممرا وتم فتح ٧ ممرات خلال يوم ٧ أكتوبر واخفقوا فى فتح ممرين فى منطقة الفردان .

في الساعة الرابعة والنصف مساء اصطدمت سرية صاعقة باحتياطي دبابات للعدو ، مكون من ٨ دبابات فدمر له أفراد السرية ثلاث دبابات وارتد الباقي شرقا في المنطقة شرق موقع الدفرزوار بحوالى ٨ كيلومترات ٠

ثم تقدمت عناصر لواء النصر المترجلة ضمن الفرقة ١٦ المشاة في مجموعات قتال كتائب ومعها عناصر الدفاع المضاد للدبابات والفهد وضباط ملاحظة المدفعية ، وعربات جريدوى ذخيرة ، وألغام، وتسلقت الموتوسيكلات السواتر الترابيـة ، حتى ماكينات شحن بطاريات الأجهزة اللاسلكية تم سحبها بالحبال وبدأت تستـعد للعمل وسط حمم النيران ٠

ماراتون النصر :

وفي الساعة الرابعة مساء انتقلت مع مركز ملاحظتي بجرأة الى الوثبة الثانية على مسافة ٤ كيلو مترات من القناة للاشراف على معركة وتدمير احتياطي الطالية للعدو ٠

وكان اعتمادي في المواصلات على اللاسلكي ، وبدأ الأفراد حفر فجوات في الأرض نسميها حفرا برميلية للوقاية من ضرب مدفعية ودبابات وطيران العدو ، ودست بقدمي على طريق الاسماعيلية/ الشط شرق ٠

وكم كان شعوري هنا مزيجا من الفرحة الغامرة ، والرغبة الجامحة في الثأر والانتقام ٠٠ !

اندفع علم ورجاله ، بجرأة ، وبسرعة ٠ لقـد كان أكبر عمق قتالي أمامهم ٨ كيلو مترات وأكبر احتياطي للعدو هو احتيـاطي الطالية ٠

وتسابق الرجال في « ماراتون النصر » فحققوا سرعة قتالية لم تسبق في التاريخ العسكري وصلوا الى اثنين وثلاثة كيلو مترات في الساعة . وسبق علم كل الوحدات ووصل الطالية وبدأت معركة رهيبة بين عدو معه دبابات وعربات مدرعة تدعمه المدفعية وعلى أرض طالما تدرب عليها يواجه مشاة مترجلين ، يحملون زادهم ، وذخيرتهم ، ويشدون أسلحتهم ويجرون عربات الجر اليدوى !! لكم خشى علينا المخططون من هذا اللقاء .

وسمعتها بأذنى « أخشى أن تدوسكم جنازير العدو .. وتعملكم كفته » .

ولكن مع الموجات الأولى لاقتحام قناة السويس رفعنا علما كبيرا لمصر . كنا نثبت الأعلام دائما في الأراضى التى نحررها ، وتم عبورها تحت ستر أعمال قتال المفارز الأمامية ، وكان لظهورها على الضفة الشرقية أثر معنوى كبير بالنسبة لقواتنا .

وبالاضافة الى هذا استخدمت هذه الأعلام في خداع وتضليل العدو ولجذب الاحتياطيات المعادية الى الأماكن التى يمكن تدميرها بالأسلحة المضادة للدبابات .

أما بالنسبة لنقط العدو القوية . فكان يتم رفع علم مصر . بعد انزال العلم الاسرائيلى وتسليم النقطة القوية أو ابادتها .

معركة الطالية الأولى :

عندما طال وقف اطلاق النيران شيد الاسرائيليون خطا ثانيا على بعد يتراوح بين ٧ و ٨ كيلو مترات شرق القناة .

وكان منها في مواجهتنا النقطة ٥٧ ـ والطالبة ـ والشجرة ، كما تم بناء معسكرات تستوعب لواءات مدرعة وميكانيكية في كل من الطاسة ـ وبالوظه .

وتعتبر نقطة الطالبة هيئة حاكمة تسيطر على الجانب الأيمن لرأس كوبرى الفرقة ١٦ وتؤمنها النقطة ٥٧ من اتجاه الجنوب الغربى • وتبعد عن قناة السويس شرقا بحوالى ٧٥ كيلو مترا ويوجد بها احتياطى قوى للعدو قوته سرية دبابات (١١ دبابة) وسرية مشاة ميكانيكية (١٣ مدرعة) •

وكان تخطيط اسرائيل على أساس قيام هذه الاحتياطيات بهجمات مضادة خلال ١٥ الى ٢٠ دقيقة من بدء الهجوم ، ولكن نتيجة للمفأجاة ، ولنيران المدفعية ، ولسرعة تقدم رجال علم الكبيرة ، وصلوا الى الطالبة وبدءوا الاشتباك مع العدو فى عقر داره •

وفى الساعة الثالثة وأربعين دقيقة دفع العدو دباباته فى اتجاه كتيبة طنطاوى ، على يمين علم ، وتأخر طنطاوى وهو يشتبك مع هذا الاحتياطى لتدميره واستمر علم فى الهجوم مع تأمين جانبه الايمن •

وفى الساعة الرابعة والثلث دفع العدو باقى احتياطيه فى اتجاه علم وهو عبارة عن ٦ دبابات ، وعشر عربات مجنزرة م ١١٣ واشتبكت بها المفارز وباقى كتيبة علم •

وفى دقائق تم تدمير دبابتين وعربتين م ١١٣ وحاول العدو أن يدوس بالجنزير أجساد المشاة ليفرمهم ، وصدم العدو عندما فوجىء بالجندى المترجل يهاجم المدرعة ــ جرى الرقيب عبد الوهاب الجداوى خلف مدرعة قاذفا اياها • بقنبلة يدوية مضادة للدبابات واستشهد عاطف • ضابط استطلاع الكتيبة وأنيس ضابط الاشارة وهما يهاجمان المدرعات بقنابل الترميت الحارقة •

استشهد جعفر رامى الفهد بعد أن دمر دبابة للعدو •

وننقل صورة من داخل صفوف العدو كيف كان يتصور المعركة • كيف كان يتصرف كيف أصيب بالفزع والعجز ؟

يقول الملازم ايجال وموطنه ريشون صهيون « فجأة أصاب صاروخ طائر الدبابة السنتوريون التى كانت على يمينى ، ولم يكن لى اتصال بها ، ولم أكن أستطيع أن أنبهها وأصبحت كالمجنون عندما صددها الصاروخ ونفذ منها ورأيت قائد الدبابة يطير من برجها وقد تناثر جسده • ثم توقفت الدبابة دفعة واحدة •

وهنا استولى على الفزع فأخذت أعطى السائق أوامر متناقضة ، الى اليمين ، الى اليسار ، الى الأمام ، الى الخلف •

كنت عاجزا عن النطق ، أخذت أعطى أوامرى للمدفعى الذى كنت أضربه بقدمى ، حتى تخلصنا من المعركة » •

فى نفس الوقت كانت قواتنا تواصل تقدمها •

وعن شجاعة المقاتل المصرى كتبت الديلى اكسبريس البريطانية تقول :

ان المحاربين المصريين الذين أذهلوا الاسرائيليين بحماسهم القتالى الذى يصل الى حد الانتحار ، يشكل نوعا جديدا من الجنود وهذا هو أهم ما ظهر فى حرب الصحراء •

وتقول الجريدة : ان سلاح مصر السرى هو الجندى المثقف الواعى الذى يحارب ويكسب أعنف المعارك فى تاريخ الصحراء •

فى الوقت نفسه كانت قواتنا تواصل تقدمها ، فتمكنت كتيبة علم من الاستيلاء على نقطة العدو القوية فى الطالية وأمنتها فى الساعة الخامسة مساء ، واستولت على نقطة شئون ادارية أخرى محصنة للعدو •

ويقول القائد علم « نظرت الى الشهيد عاطف وهو راقد على الأرض ، يبتسم ، وهو يروى بدمائه الطاهرة أرض سيناء ، لم أشعر بالحزن كنت أحبه أكثر من أولادى •

وحسدته ·· حسدته على أشرف نهاية للمقاتل ، الاستشهاد في قلب المعركة !

وقد حاول العدو استرداد الطالية عدة مرات ، وكانت أول محاولة له فجر يوم ٧ أكتوبر بقوة ٦ دبابات وعربتين م ١١٣ من اتجاه الجنوب من عند النقطة ٥٧ التى لم تسقط ودفع العدو الثمن دبابتين مشتعلتين تركهما بأطقميهما فى أرض المعركة · ومن بعيد استمرت مدفعيته تناوش وحدة علم ، فوق الطالية ·

وهذه قصة رفض علم أن يرويها ولكننى سمعتها من جنوده ·· لقد اخترقت عربة مدرعة للعدو خط دفاعه ، وهاجمها قائد الكتيبة بنفسه بقنبلة ثرمييت ، وأصاب الشهيد عبد العظيم رامى الرشاش الاسرائيلى بطلقة قناصة فى رأسه ثم دمرها العريف عبد الحميد عطية قاذف ر ب ج من عنده على مسافة ١٥ مترا فقط ·· انها شجاعة المقاتل · وحياؤه ·

الوقفة التكتيكية :

طبقا للتخطيط توقفت الفرقة ١٦ المشاة بعد أن استولت على رأس كوبرى من شمال نقط الدفرزوار القوية حتى شمال حنيدق ، وبعمق يصل الى ٨ كيلو مترات ·

بعد الاستيلاء على الطالية ، توقفنا طبقا للتخطيط لمدة يوم أو يومين حتى يتم انشاء المعديات والجسور ووصول الدبابات والمدفعيات والامداد الادارى ، ثم تطور هجومنا فى اتجاه الشرق . مع محاصرة نقطتين قويتين للعدو فى الدفرزوار والاستيلاء عليهما .

وفى الساعة الرابعة مساء وصلت كتيبة فراج مع عرباته المدرعة ب م ب القوية التسليح ، وبدأت فى المناورة كاحتياطى الفرقة بكاملها ·

وبعد أن صد ناجى مع مفرزة المشاة المترجلة هجوما مضادا للعدو بين الفرقة المشاة والفرقة الثانية المشاة ، تقرر سحب سرية فراج التى احتلت موقع طريق الشط/الاسماعيلية الى داخل الفرقة وبهذا تكتمل كتيبة فراج ويقوى احتياطى قائد الفرقة . وتم سحب مدرعات هذه السرية فى عملية ليلية لم يكتشفها العدو ، ولم يهدد الجنب اليسار للواء بعد ذلك .

فى الوقت نفسه بدأت داورية استطلاع صفوت تبلغ عن مشاهدة ٣ دبابات للعدو فى الساعة الخامسة والنصف مساء متحركة فى اتجاه كتيبة علم . ثم أبلغت عن رؤيتها ٦ دبابات للعدو متحركة فى اتجاه علم ، ووجهت نيران مدفعيتنا عليها فتم تدمير دبابتين على أرض العدو برغم اصطدام هذه الداورية برتل مدرع للعدو الساعة الخامسة والنصف صباحا واستشهاد المقاتل نبيه ، استمرت الداورية بعد تجمعها مرة ثانية فى العمل ، وأبلغت عن جميع تحركات العدو فى المنطقة لمدة يومين متتاليين حتى تم دفع داورية استطلاع أخرى مكانها ليلة ٨/٧ أكتوبر ..

ومع الوقفة ، تم تنسيق سريع لخطة نيران ندمر بها أى هجمات مفاجئة للعدو . وأسرعت المعاول وأدوات الحفر تنقب حفرا برميلية للأفراد ، وحفرا للأسلحة ، وتملأ بسرعة شكاير الرمل التى يحملها الأفراد . وأسرعت عربات الجر اليدوى المحملة بالألغام فى تنسيق وتوافق ، تسرع كل مجموعة فى اتجاه قطاع بقيادة «شهاب» كل عربة يدوية تحمل ١٤ لغما يدفعها ثلاثة رجال .

وفى خلال ساعتين تم رص ألف لغم مضاد للدبابات أمام مواجهة اللواء . وألفا أخرى على يمينى ، كم عربة جر يدوى حملتها القوارب فقط للألغام . انهم المصريون !!

هذه الألغام تم رصها فوق سطح الأرض حتى تدمر أى دبابة للعدو أو تقطع جنزيرها عند اقترابها للهجوم ٠

معركة العبور :

كنت باستمرار على اتصال بالعقيد عبد البارى ٠ قائد العبور الذى استمر غرب القناة لأتتبع عن طريقه مدى نجاح المهندسين فى فتح الثغرات فى السواتر الترابيــة ، وتمهيد الطــرق فى هذه الفتحات ٠ وبدء تشغيل البرمائيات ، والمعديات ، والكبارى ٠ وكنت أشعر بمدى الجهد الذى يبذله مع نصر عزيز فى المناورة بكل العربات والدبابات فى اتجاه أى نجاح يحققه المهندسون ، وكانت أصوات حشودنا ومحركاتها تعمل باستمرار نسمعها من بعيد فى فترة هدوء الاشتباكات ٠

وقد نجح المهندسون فى انشاء كوبرى حمولة ٦٠ طنا فى قطاع لواء مشاة على يمينى الساعة الثامنة والنصف مساء ، أى بعد ٦ ساعات تقريبا ولكن الأرض شرق الكوبرى كان الغرز بها شديدا ، وبدأ المهندسون فى تمهيدها ، وحتى هذا الوقت لم ينجح المهندسون فى قطاعى فى انشاء جسور أو معديات ، أعصابى هادئه جدا كنت واثقا من قدرتى على تدمير لواء مدرع للعدو مترجلا ٠٠ لقد احتككت بهم ، وأضاءت الشرارة الأولى ٠

وبدأت مدفعية العدو من الساعة السابعة مساء تضرب عــلى المعابر والمعديات ٠

ابطال على فهمى :

لا يمكن أن نتحدث عن اليوم الأول فى حرب أكتوبر دون أن نشير ونشيد بدفاعنا الجوى بجميع أنواعه وأعيرته ، بردراداته ،

وصواريخه ، بتخطيطه وتنفيذه ، لقد ذاق طيارو العدو الاسرائيلى على أيديهم ما لن ينسوه ، وما لم يذقوه أبدا !

وقد كنت أعرف باستمرار غارة العدو الجوية ، قبل أن أسمع صوت الطيران فأشاهد أولا صواريخنا أرض/جو ترتفع فى السماء من الغرب فى اتجاه الشرق • الصاروخ يبدو كنقطة أو خط مضىء ، ويطير مثل الطائرة ثم أسمع صوت طائرة العدو ، ثم تتقابل الصواريخ مع الطائرات ، وتتهاوى محترقة أمام أعيننا •

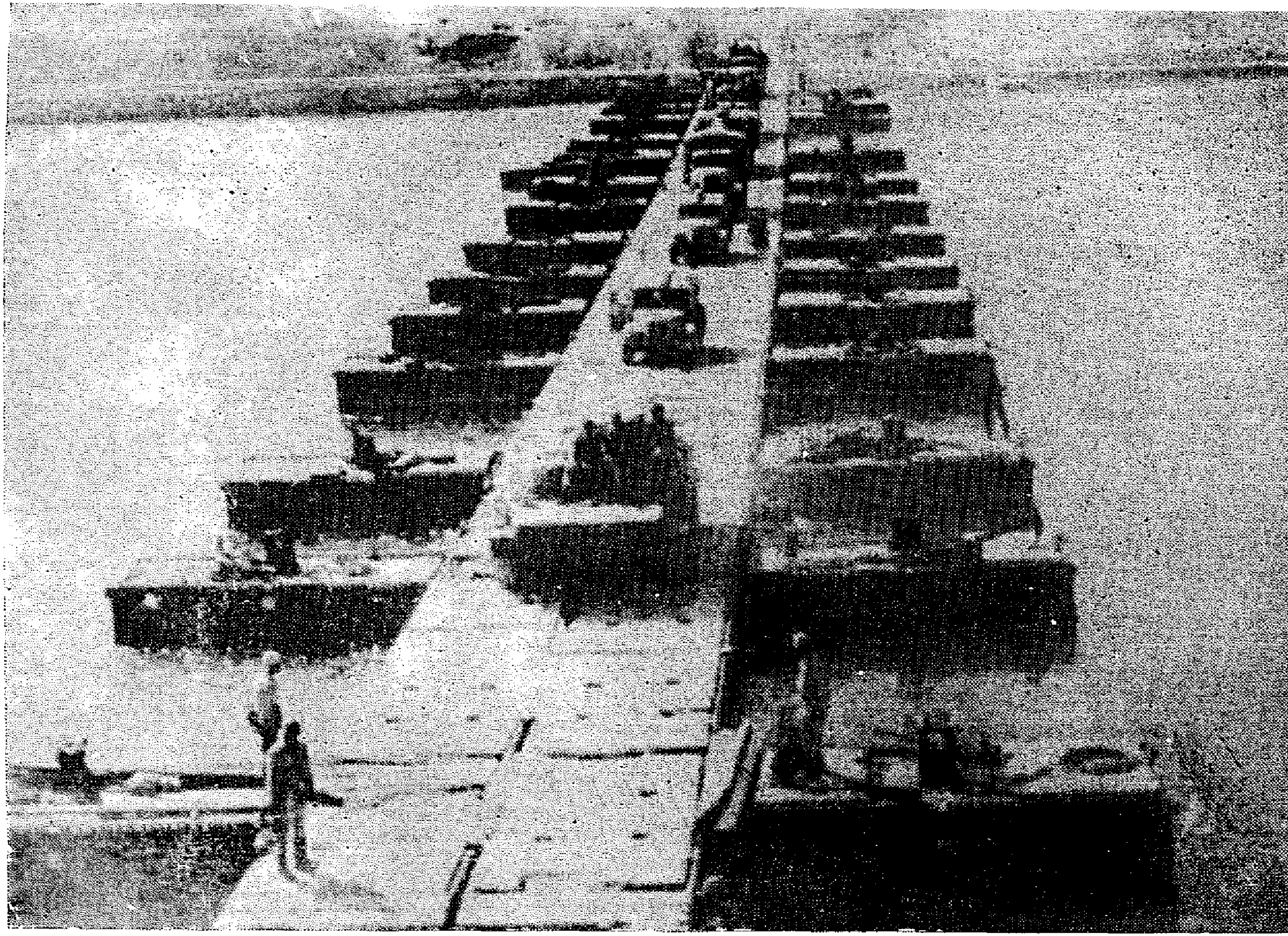
كنا نشاهد مباراة ممتعة وعنيفة بين الطائرة والصاروخ، مباراة يحاول فيها الطيار الاسرائيلى الهرب ، والصاروخ يلاحقه ، وأحيانا يتخلص الطيار من حمولته فى أى مكان وبأقصى سرعة يتجه للشرق مع المناورة العنيفة ، وأحيانا يصيبه الصاروخ وتنفجر الطائرة فى الجو •

وكان مع كتائب المشاة ، ومعى فى مركز ملاحظتى جماعات من صواريخ سام ٧ التى تطلق من الكتف على طائرات العدو المنخفضة ، فتصيبها أو ترفعها للصواريخ والمدافع الأخرى •

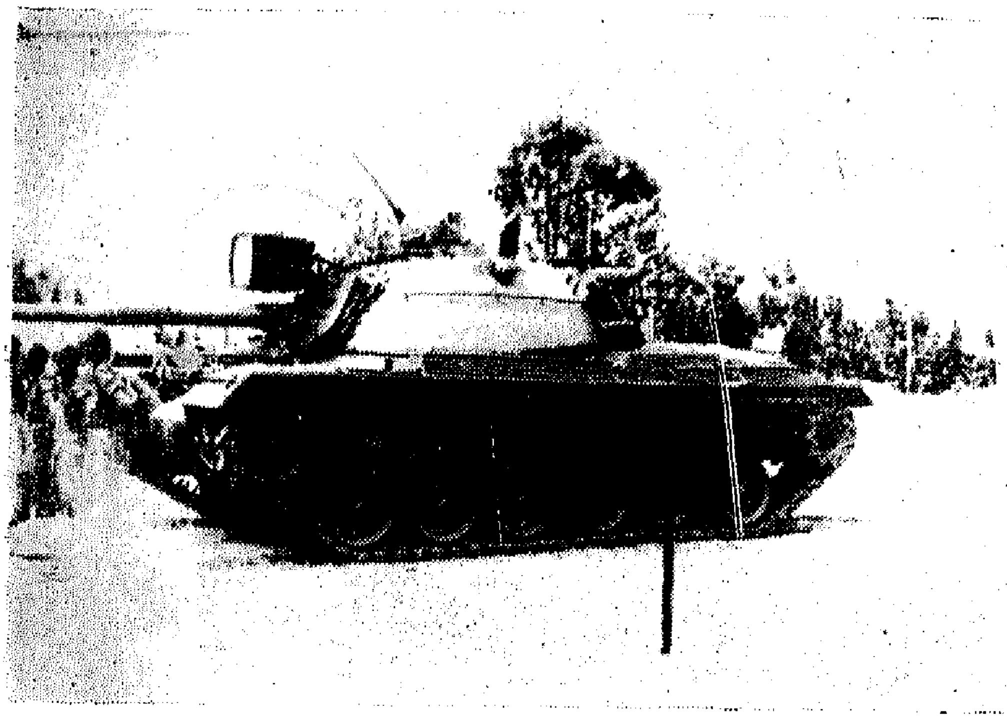
ويصف الرقيب زيدان وهو واحد من رجال الدفاع الجوى لحظة مطاردة يقول : «رايت طائرة فانتوم منخفضة للعدو على ارتفاع حوالى ٢٠ مترا • وأطلقنا عليها صاروخين أحدهما منخفض ، والثانى مرتفع •

وجاهد الطيار الاسرائيلى وهو يناور لتفاديهما ونجح ، ولكنه كان قد اصطدم بالأرض واحترقت الطائرة » •

ويقول احد الطيارين الاسرائيليين الأسرى « منذ الطلعات الأولى فقدنا الكثير من رفاقنا • وعندما سقطت طائراتهم أدركنا أنها الحرب فبلا بويلاتها • وفى ميس الضباط كنا نحصى الأماكن الشاغرة على الموائد • وكنا ننزعج ففى كل مرة كان يختفى منا كثير من الرفاق ! » •



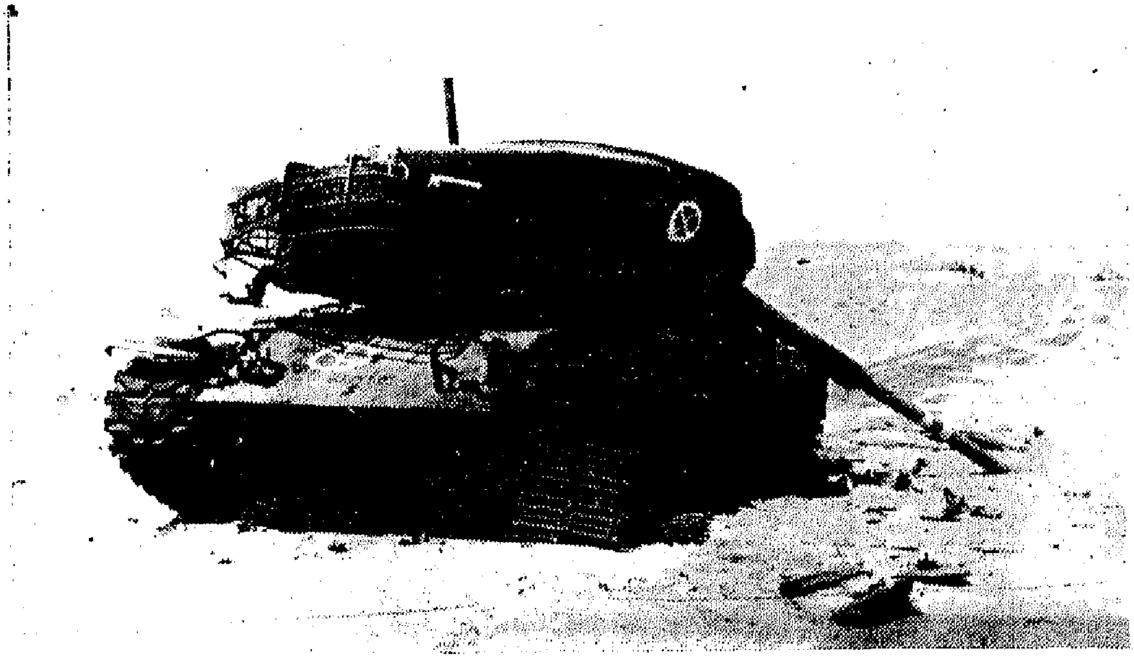
أقام المهندســـون الجسور .. واندفعت تتدفق عليها أرتال من دباباتنا وعرباتنا



دبابة باتون م ٤٨ أ ٣ وعليها جهـاز رؤيا ليلى ..
زينون انجليزى .. الجهاز الذى اشـتريناه وجهزنا
به دباباتنا الروسية



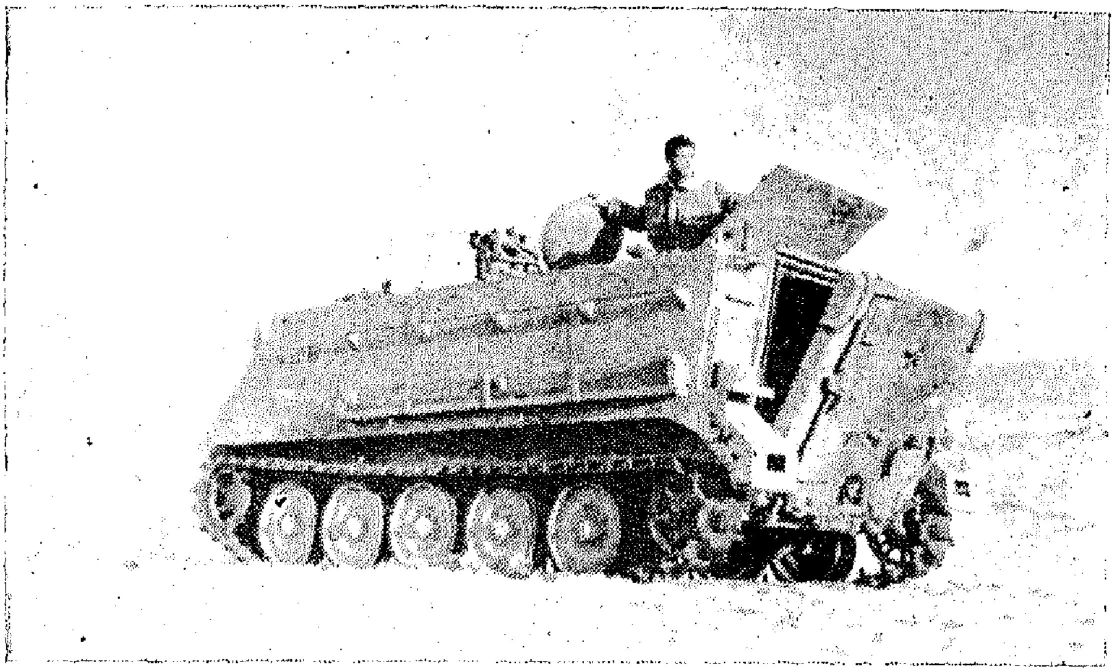
دبابة سـنتوريان اسرائيلية .. انجليزية الصـنع



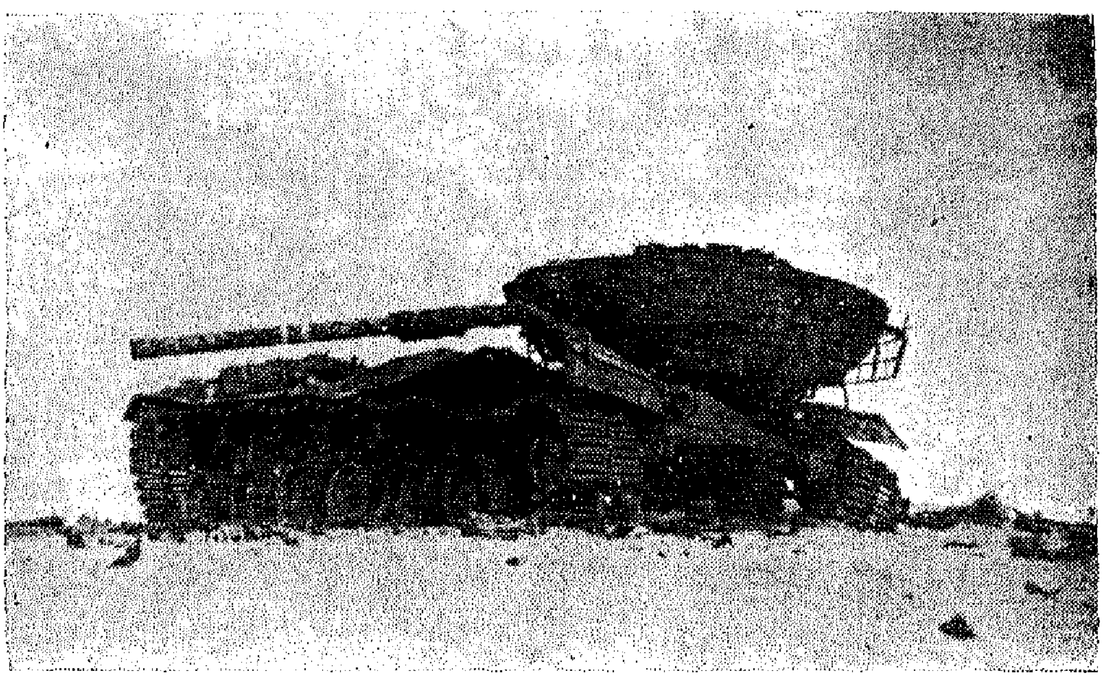
هكذا قست الدبابات الاسرائيلية على المشاة المساكين



مدرعة م ١١٣ في العرض الاسرائيلي العسكري



عربة مدرعة م ١١٣ سليمة فى الأسر



مال برج الدبابة .. ومالت اسرائيل

الفصل الثالث

.. وأمضينا الليل في « برميل أوتيل »

أمضينا الليلة الأولى من ليالى الحرب فى حفر برميلية فى منطقة كثبان عنيفة .

لم تكن المعركة سهلة . فالعدو يحاول جاهدا ان يقوم بأى عمل يعيد له توازنه . حتى فى الظلام كان يقوم بهجمات مضادة . وينجح أحيانا فى اختراق دفاعات الكتائب . ولكن رجالنا كانوا له . وللمعركة !

واذكر هنا واحدا من هؤلاء الرجال . انه الجندى سعيد خطاب . لقد هاجم الدبابات المتقدمة للعدو بعد ساعات من المعركة . والقى بنفسه ومعه لغم أمام دبابة المقدمة .

وتفجرت الدبابة . وتفجر معها جسد المقاتل وكان أول بطل من لواء النصر يحصل باستشهاده على نجمة سيناء .

فندق .. البرميل :

أمضيت الليلة الأولى واقفا فى حفرة برميلية ومن حولى أفراد مركز ملاحظتى ، والجوهرى قائد المدفعية . وضباطه كلنا فى حفر برميليـــة فى منطقة كثبـــان رملية عنيفة ، وكنت أتتبع عن طريق رءوف وحسن بشر وعلم آخر المعلومات عن العدو .. وأتتبع الدبابات المعادية وهى تناور من البعد ، وتطلق طلقات متقطعة ، وطلقات مدفعية وصوت الطيران يستطلع ليلا ، أو يحاول مهاجمة قواتنا ولكن كل ذلك كان يتم من العدو بضعف وتخاذل . لقد خرج الموقف من أيديهم .

ونجحت الفرقة ١٦ المشاة فى مهمتها . واستولت على رأس جسر صغير بعمق حتى ٨ كيلو مترات سميناه ، الوقفة التكتيكية . الساعة السادسة والنصف مساء ٦/١٠ ، وبرغم أن أكبر عمـــق للفرقة كان فى قطاعى . فقد حقق لواء النصر مهمته قبل الساعة الخامسة والنصف مساء مدمرا أكبر احتياطى للعدو فى الطالية ،

ومحققا سرعة قتالية حوالى اثنين كيلو ونصف فى الساعة وهى سرعة كبيرة جدا ·

بدأ آخر ضوء الساعة السادسة مساء ، ودخل الليل ولكن مع القمر ، كانت الرؤية ممكنة الى حد ما · ومع دخول الليل تحسست مجموعات استطلاع مدرعة للعدو كل فى ٣ الى ٤ دبابات ، ومعها عربة أو عربتان (مدرعة م ١١٣) تحسست الثغرات بين الكتائب ، وبين اللواءات · وتسللت منها فى سكون معتمدة على وجود كاوتش فى الجنزير يقلل من صوتها · ووجود ضوضاء دباباتنا وعرباتنا وهى تتحرك طول الليل · فوق المعديات ، والكبارى كانت هذه المجموعة تستخدم أجهزة الرؤيا الليلية لها · وتتقدم كاللص فى وثبات قصيرة ، ثم تقف. ووصل أحد هذه الكمائن أمام مركز ملاحظتى ، وعلى بعد ٨٠٠ متر منى ولم يكتشفه أحد !

وكان يتمركز أمامى احتياطى مضاد للدبابات قوى مترجل مكون من المهد والأربجية ٧ ومن هذا الاحتياطى قانصو الدبابات الذين اشتهروا بعد ذلك عبد العاطى مفتتح معرض الغنائم ، وبيومى وجعفر *

أقبل الظلام ، ولم يهدأ الموقف · فالعدو يحاول جاهدا عمل أى شىء يعيد له توازنه ·

وفى الساعة الثامنة والنصف مساء شن العدو هجوما مضادا على لواء مشاة يمينى ـ بسريتين من الدبابات ، ونجح فى اختراق الكتيبة اليمين · وتصدى له احتياطى قائد الفرقة المترجل ·وأمكنه تدمير ثلاث دبابات للعدو · وأخفق العدو فى تحقيق هدفه وهو الوصول الى مكان الجسر وتدميره ، واضطر للانسحاب تاركا قتلاه ومعداته ·· ومعنى أن يترك قتلاه ـ كما قلنا ـ شىء قاس جدا بالنسبة له ·

في أثناء اشتباك الجار اليمين ، أخذ كمين دبابات العدو المتسلل يطلق مدافعه طلقات فردية فى اتجاه مركز ملاحظتى • ونظرا لقلة الطلقات ، واطلاقها بالمعدل البطىء لم يمكننى أو يمكن الموجودين معى فى مركز ملاحظتى اكتشاف مصدر اطلاق النيران •• وامتصت كثبان الرمال طلقات العدو • ولم تحدث أية خسارة منها •

وصلتنى أول سرية دبابات من لوائى الساعة الثالثة صباح يوم ٧ أكتوبر بقيادة المقاتل علاء • استقبلته وأطمأننت عليه وأمرته بالانضمام الى كتيبة المقدم حسن •

وكانت الفرحة بلا حدود بادية على الجميع لوصول دباباتنا شرق القناة • انها علامات النصر •

وتقدم علاء فى اتجاه بشر • وفوجىء بطلقات مدفعية دبابات فى اتجاهه ، فأخذ أوضاع ضرب نار بدباباته • وانتشر •

انفجرت الدبابة ومعها جسد الشهيد :

ولاحظ النقيب البطل سليمان وهو قائد فصيلة مشاة مترجلة كمينا لدبابات العدو فى أثناء تقدمه • ولم يمكنه أولا أن يميز هل هو صديق ؟ أم عدو ؟ ولكنه لاحظ تصرفه العدائى فقد كان يطلق النيران فى اتجاه الغرب • وأخيرا فى اتجاه علاء وبتصرف ذاتى منه • وبسرعة شكل « مجموعة عاصفة » لتدمير الكمين المدرع المعادى ، وألقى الجندى الشهيد سعيد خطاب نفسه أمام الدبابات ومعه ٤ ألغام فقفل الطريق أمامها مضحيا بنفسه مع لغم ليفجر دبابة المقدمة • وكانت أول نجمة سيناء يأخذها بطل من لواء النصر • وتنفجر الدبابة الأولى ومعها الشهيد البطل سعيد خطاب • وتحاول الدبابة الثانية الالتفاف من يمينها فتصطدم بلغم

ثان يقطع جنزيرها فتتوقف وتبدأ فى اطلاق نيرانها ورشاشاتها فى اتجاه الفصيلة ، وتلتف العربة المدرعة من يسار الدبابة الأولى فينفجر فيها لغم ثالث ٠

وتبدأ عملية فدائية من المشاة المترجلين ، لتدمير الدبابات المعطلة ، ويتقدم الجندى صلاح عبد العزيز ويدمر بطلقة قاذف قصير للمشاة من مسافة ٣٠ مترا ٠ ويهاجم النقيب سليمان الدبابة الثانية ويشعل فيها النيران بقنبلة أربجيه ٤٣ ويستشهد الجندى صلاح عبد العزيز من طلقة من رشاش العربة المدرعة وينتقم له أخوه أحمد صالح فيهاجم العربة المدرعة بقنبلة يدوية صغيرة يلقيها وسط العربة فيصيب ثمانية من الجنود الاسرائيليين ٠ وتبدأ الذخيرة داخل العربة فى الانفجار وتشتعل الدبابات والمدرعة ٠ ويخسر العدو ١٨ قتيلا ، وأسيرا واحدا صغير السن جدا ٠

أحضروا الأسير الى ٠ سألته : ما اسمك ؟ وأجاب ٠٠ وحدتك ؟ ٠٠ مكان تمركزها ؟ ٠٠نواياكم وخططكم ٠

ويجيب الأسير على قدر علمه ، بصدق ولكن فى فزع وذعر ٠ ويتسلمه محمد متولى مع الخرائط والأسلحة فجر يوم ٧ أكتوبر ٧٣ ٠٠ويمضى الأسير مهزوزا ٠

هل هذا هو جيش اسرائيل الذى لا يقهر ؟!

ويصاب النقيب سليمان بشظية فى فخذه نتيجة لاقتحامه الشجاع لدبابة العدو ، وبرغم اصابته يرفض أن يتخلى للمخلف ويستمر فى القتال ٠

أنه صورة مشرفة للمقاتل المصرى عندما يعطى الفرصة ليحارب دفاعا عن الوطن وعن شرفه ٠٠

وتحية للشهيد حامل نجمة سيناء/سعيد خطاب ٠

أريد أن أقف لحظة عند كلمة انفجار دبابة ..

هل يعلم القارىء ما معنى انفجار دبابة للعدو فيها ذخيرتها كاملة من المدفعية والرشاشات ، فيها ثمانمائة لتر من الوقود ، انها نار تنفجر ، ويستمر انفجارها واشتعالها ساعات وساعات ، ويستمر الانفجار والاشتعال حتى عندما تمر عليها بعد يوم كامل تجدهارمادا ساخنا ، وبقايا دبابات متآكلة ..

ولم نهاجم يومى ٦ و ٧ نقط العدو فى الدفرزوار وتل سلام طبقا للتخطيط .. واكتفينا بمحاصرة النقتطين وضربهما بنيران المدفعية . واستولينا على نقط العدو القوية فى نمـــــرة ٦ شرق الاسماعيلية بعد بدء الهجوم بساعتين فقط .

ونجحت الضربة الجوية فى تحقيق جميع أهدافها ، فاهتزت قيادة سيناء الاسرائيلية ، نتيجة لقصفها وينهار الجنرال جوينين قائد الجبهة الجنوبية .

كما تم اسكات مركز اعاقة العدو الالكترونى واللاسلكى فى جبل أم خشيب ، واستمرت أجهزتنا اللاسلكية فى العمـــــل دون تداخل لاسلكى من العدو وتعودنا عليه ليس فقط فى العمليات الحربية بل فى أثناء سير المشروعات التدريبية لنا .

لم تكن المعركة سهلة أبدا . كانت قاسية . وضارية . ولكن رجالنا كانوا لها .. !

فبالاضافة الى المجموعات الصاعقة المترجلة . تم ابرار جوى بطائرات الهيلوكبتر لكتيبة صاعقة فى الساعة الخامسة وخمس وأربعين دقيقة يوم ٦ أكتوبر فى منطقة الرويسات . وتركتهـــا الطائرات وعادت الى مطاراتهـــا ، وبقيت الكتيبة لتدخـــل معركة ضارية انتحارية مع لواءات العدو المدرعة المتحركة فى العمق فى اتجاه القناة .

وتقوم بحريتنا مع مساء اليوم الأول بقصف أهداف العدو فى منطقة رمانة ، على ساحل البحر الأبيض بالصواريخ بحر/أرض ٠

وتفاجيء مدفعيتنا بالصورايخ المتوسطة أرض/أرض احتياطيات العدو التعبوية فى منطقة بالوظة وتصيب مدرعاته وتشعلها ٠

وتستمر معركة المهندسين والمعابر والمعديات ٠٠ وينـــاور عبد البارى ونصر بأرتال المدرعات والمدفعيات والأمداد على كل الطرق الطولية والعرضية فى اتجاه نجاح أعمال المهندسين ، لتعبر فوق الجسور والمعديات التى تم انشاؤها ٠

ومن الجانب الاسرائيلى تستمر الهجمات المضادة فوق قواتنا ويستمر ضرب الطيران والمدفعية ٠٠ ويستمر فى دفع اللواءات المدرعة الى سيناء ، ويحاول عبثا التدخل بتأثير فى المعركة لالقاء مشاتنا مرة أخرى فى القناة ، أو تدمير الجسور والمعديات ، أو تدعيم نقطه القوية على قناة السويس أو حتى انقاذ الافراد الذين ضاعوا معها ٠

وتمكنت كتيبة صاعقة فجر يوم ٧ أكتوبر ــ بعد مسيرة مترجلة حوالى ٢٥ كيلو مترا قطعتها فى ليلة كاملة ــ أن توقع لواء مدرعا اسرائيليا فى كمين فى منطقة كثيب الصناعات شرق الاسماعيلية وتدمر له ٨ دبابات و ٤ عربات مدرعة وتعطل مسيرته لمدة أكثر من ساعة ٠

ثم تخلص من المعركة ٠

الباب الخامس

الجنرال يصرخ
لا تقتربوا من القناة

الفصل الأول

•• وتطول يدنا في سيناء

بدأ العدو يهاجم مطاراتنا في بني سويف ، المنصورة جاناكليس • القطامية قرب السويس ، شبراخيت • وبير عريضة على البحر الأحمر • كان يستخدم القنابل زنة ٢٥٠ رطلا الى ٣ آلاف رطل • ويستخدم القنابل التليفزيونية المضادة للمدروع والمركبات •

وبرغم كل هذا يستمر عبور قواتنا وتدفقها عبر قناة السويس • تعبر الدبابات والمدرعات ، ومن خلفها المدفعية حسب نظرية الضفدعة • جزء يشتبك مع احتياطيات العدو وجزء يعبر الى الشرق •

وتطول يدنا في سيناء •

وتبدأ في تحطيم الأسطورة ، وتدمر احتياطيات دبابات اسرائيل •

•• وتستمر رحلتنا بالعربة المدرعة • السـائق والمساعد • وأنا •

ونستمر فى البحث عن طريق يوصـلنا لأقرب مستشفى ميداني •

وأفيق من ذكريات الحرب على صوت السائق يسألنى : عـلى طول يا فندم ؟

وأرد كمن استيقظ من ثبات عميق ، وعينى الى السـماء : استمر الى الأمام •••

وتمضى العـربة المدرعة •• أشـعر بالأرض تهتز بعنف • واتحسس ساقى اليمنى • ما زالت الدماء تنزف بغزارة • وتمتد يدى بلا وعى لتلامس باقى ساقى الموضوعة بجانبى ، وبها فردة الحذاء ••

وأتذكر منظر المقـدم مدحت ، عندما يختفى مع رجاله فى

الظلام ، وأنا راقد على أرض سيناء وأسأل عنه ، فيقولون لى أنه يبحث عن شيء ..

وأراه يعـود مسرعا . لقد عثر على سـاقى التى طارت . ويحضرها بحذائها .. لقد تصور أن الاطباء يمكنهم اعادتها الى مرة أخرى . فالانسان في هذه اللحظات يتصور أشياء كثيرة . ولكن ارادة الله هى التى تضع الكلمة الأخيرة ..

وأعود الى ذكرياتى ..

ذكريات لا يمكن أن أنساها .

وتمضى العربة المدرعة في الظلام ، تهتز بعنف ، باحثـة عن الطريق لأقرب مستشفى ميدانى ..

عمليات يوم ٧ أكتوبر :

مع فجر يوم ٧ أكتوبر زادت هجمات العدو الجوية وتركزت خلال هذا اليوم على قواتنا شرق القناة ، وعلى الكبارى والمعديات نوصل حجم مجهوده الجوى خلال هذا اليوم أكثر من ٤٠٠ طلعة طائرة ٧٥٪ منها نهارا والباقى ليلا . بالاضافة لمهاجمته بعض مطاراتنا فى بنى سويف ، والمنصورة وجانكليس ، والقطامية قرب السويس وشبراخيت . وطنطا . وبير عريضة على البحر الأحمر .

ولاحقت صواريخنا أرض/جو . ومدافعنا المضـادة للطائرات طائرات العدو . وأصبح من المألوف انفجار طائرات العدو فى الجو ، أو اصطدامها بالأرض أو اشتعالها . واسراعها نحو الشرق حتى تسقط وسط قواتهم . وسقط فى الكتيبة المجاورة لنا طائرة سكاى

هوك .. وانفجرت أمامنا طائرتان للعدو • وبقيت الكبارى والمعديات تعمل برغم استخدام طائرات العدو لأسلحة عديدة منها :

* مستودعات قنابل يدوية لقصف المشاة المترجلة في العراء وهى نوعان :

نوع خاص بالبحرية الأمريكية ويشمل ١١٠ قنابل يدوية فى مستودع واحد وتلقى الطائرات من ٤ الى ٥ مستودعات ويتم فتح المستودعات زمنيا بطريقة آلية على ارتفاع ٢٠٠٠ متر • فتخرج منه كرات تنس تنفجر وتغطى مساحة كبيرة من الأرض • فتصيب المشاة فى العراء •

* مستودعات تؤثر على المركبات والأفراد فى الدشم والمستودع به ١٢ صاروخا ٣٧ مم ، وتخرج منه الشظايا فى صورة بلى أو مسامير تصيب الأفراد والمركبات •

ومن الأسلحة التى استخدمتها طائرات العدو القنابل زنة ٢٥٠ رطلا ، ٥٠٠ رطل ، ١٠٠٠ رطل ، ٣٠٠٠ رطل

القنابل التليفزيونية المضادة للدروع والمركبات ومستودعات الذخيرة •

استخدام صواريخ جو/أرض من النوع اللاصق المضاد للدروع واستخدامها من الارتفاع العالى ٦ الى ٨ كيلو مترات •

وبرغم ذلك يلاحق أبطال على فهمي الفانتوم ويقوم أبطال المشاة بالأسلحة الصغيرة باطلاق ما نسميه « السد النارى » ويقوم الرائد سعيد بكتيبة دفاع جوى بها أسلحة غير متطورة (مدافع ٣٧ مم ، رشاشات) باسقاط طائرتين من طراز اسكاى هوك وطائرة فانتوم محطما كل الأسس المعروفة التى تقول أن كل طائرة تحتاج لاسقاطها بمثل هذه المدافع الى حوالى أربعة آلاف طلقة ..

وليس هذا فقط ، فعندما صنع هذا المدفع ووضعت هـذه القاعدة لم تكن الطائرة الفانتوم أو الميراج التى تزيد سرعتها على سرعة الصوت مرتين قد اخترعت بعد !

ويستمر عبور قواتنا وتدفقها عبر قناة السويس • فتعبر كتيبة دبابات العميد شفيق ولواء مدرع لنا نهارا وتتدفق من خلفهم المدفعيات بنظرية الضفدعة نفسها • جزء مشتبك مع احتياطيات العـدو ومدفعياته وجزء يتحـــرك ، تعبر الى الشرق الى مرابض جديدة لنا شرق القناة •

وتطول يد المدفعية لاســـكات وتدمير احتياطيات ودبابات اسرائيل ••

وتبدأ الاسطورة التى زعموها تتحطم فتاتا فتاتا ••

جنرال ابراهام ماندلر

ويقوم الجنرال ابراهام ماندلر قائد قطاع سيناء الاسرائيلى الشهير (ألبرت) هذا الرجل الأصلع صاحب العينين الزرقاوين • النمساوى الأصل ، الذى تدرج فى الجيش الاسرائيلى من رتبة العريف سنة ١٩٤٨ ، حتى وصل الى رتبة الجنرال ، وأصبح من رجال المدرعات المرموقين يقوم بالاستمرار فى ادارة القتال لتعطيلنا مستخدما فى ذلك بقايا اللواء ١٤ مدرع الاسرائيلى واللواء السابع المدرع عدا كتيبة • واللواء ٤٠١ المدرع عدا كتيبة واللواء ٤٦٠ المـدرع •• ويحاول منع قواتنا من توسيع رءوس الكبارى ، مع ارهاق قواتنا وتكبيدها خسائر كبيرة بالهجمات المضادة المتكررة • وباعمـــال القصف الجوى والمدفعية •

ويتقدم الجنرال بنفسه ليقود الهجمات المضادة • ويتركه

القدر يومين ليشاهد نهاية المدرعات الاسرائيلية بواسطة رجالنـــا المترجلين !

ثم يأتي دوره هو ، دور الجنرال فينتهي هو الأخر على أيدى المشاة ، ويصرخ محذرا قبل موته « لا تقتربوا من القناة ٠٠ » ٠

شنب خليل :

وتتوالى هجمات العدو المضادة فى صورة سرايا دبابات مدعمة بالمشاة الميكانيكية على قواتنا على حسن وعلى مجاهد ، وفى كل مرة يترك العدو معداته ســـليمة ٠ ويترك جرحاه ، ويترك أسرى ، ويفر !

وينظر خليل رقيب العمليـــات معى الى الطيران ، الى دبابات العدو المتفجرة ويعبث فى شاربه الطويل فى هدوء ، ويعجبنى منظره فأداعبه « شنبك زاد واحد سنتيمتر يا خليل » فرد باسما « عايز أتحزم بيه يا فندم » وأفهم ٠ ونضحك ٠

اننا أسرة لواء النصر !

حفلة شاى :

وفى منتصف نهار يوم ٧ أكتوبر وأنا أقف فى حفـــرتى البرميلية ، لم أكن قد تناولت أى طعام منذ أكثر من يوم ، سوى جرعات قليلة من الماء فقط ٠ ويفاجئنى يحيى ضابط المدفعية بسؤال « تشرب شاى » ٠

وفى ثوان أحضر لى كوزا من الصفيح به شاى ساخن ووضـع البسكويت أمامى ٠

فقلت ضاحكا :

« ناقص الفاكهة » .

ويرد ياسين أركان حرب عملياتى « موجود يا فندم » .

وظهر بلح سيناء الذى أحضرته داورية من بعض مجموعات النخيل .

وكانت حفلة شاى على ايقاع الطيران وترانيم المدفعية .

ولكننى لاحظت استمرار بعض المقاتلين فى الصيام ، وبرغم الأوامر تظاهروا بالطاعة ولكنهم استمروا فى الصيام .

فتركتهم يحاربون وهم صائمون .

خسايرك .. طلباتك ؟

سألنى العميد عبد ربه قائد الفرقة صباح يوم ٧ أكتوبر « خسايرك ايه يا عادل ؟ »

وتذكرت لقد قدرنا الخسائر بحوالى ٣٠٪ بالنسبة لوحدات المشاة المترجلة .. ووصل تقديرنا للخسائر كما صوره المشير أحمد اسماعيل بعد ذلك بحوالى ٣٥ ألف مقاتل ، واستعددنا لهذه الخسائر . وزدنا نسبة الاستكمال فى الأفراد والضباط الى أكثر من ١٢٠٪ ، بينما نسبة استكمال السلاح كانت ١٠٠٪ فقط .

ولكن ها نحن أولاء قد اقتحمنا القناة ، وحطمنا خط بارليف، وأشعلنا النيران فى دبابات العدو وأسكتنا مدفعيته وأسقطنا طائراته .

وأرد على قائد الفرقة « الخسائر أقل بكثير مما توقعنا » .

كانت خسائرى فى اقتحام قناة السويس قليلة جدا .

كانت خسائر صد الهجمات المضادة المدرعة ، محدودة جدا جدا .

سألنى قائد الفرقة : وطلباتك يا عادل ؟

أجبت : لا طلبات ، وأنا غير محتاج لأمداد ذخيرة ، أو مدفعية أو تموين • اطمئن نحن كفيلون بهم •

ويقول لى العميد عبد ربه بعد المعركة « لقد كنت القائد المزعج فى مرحلة الاعداد للمعركة تطالب بحق رجالك ، ولوائك دون كلل أو ملل ، وكنت القائد المريح فى أثناء المعركة ، لا طلبات لك الا أن أتركك لتدمر العدو •

وأحب أن أوضح هنا • أنه عندما تكون رحى القتال دائرة فانه يستحيل وضع تقرير دقيق للخسائر ولكن يعتمد القائد على تقرير القادة الفرعيين • على تقديره الشخصى ، ويركز تقديره على النواحى الأساسية التى تحسم سير المعركة •

الفصل الثانى

اتفضل .. مصر على الخط

فوجئت بضابط المواصلات التليفونية يقول لى لك مفاجأة يافندم .

كان يحاول ان يبدو سعيدا برغم الارهاق البادى عليه جدا . فقد دخل معركته مع الأسلاك قبل الهجوم بأيام، ولم ينم من ساعتها .

وبعد دقائق أحضر تليفونا يجر سلكا وراءه ويقول لى مصر معاك يا فندم .

اتفضل كلم البيت .

كنت أقف فى الحفرة البرميلية فى رأس الكوبرى شرق القناة . وتصورت انها نكتة ورفضت الكلام .

ثم علمت بعد ذلك أنها لم تكن نكتة !

قلت لسعيد عقاب ضـــابط المواصلات التليفونية « خلاص يا سعيد هل تم اصلاح المواصلات الخطية ؟ » ٠

وكان واضـحا أنه لم ينم منـذ أيام ٠ انه يحارب معركة الاتصال قبـل الهجـوم بأيام وحتى الآن ، انه يعيش فى حركة مستمرة ، مناورة بالأسلاك وصلت الى استخدام أسلاك العـدو التليفونية بعد العبور ٠

وبرغم الارهاق البادى عليه قال لى « فيه مفاجأة بعد ١٠ دقائق لسيادتك » ٠

وفوجئت به يحضر تليفونا ــ يجر سلكه وراءه ــ ويقول لى وأنا واقف فى الحفرة البرميلية « مصر معاك يافندم ، كلم البيت »!!

وظننت أنها نكتة ولكنها لم تكن ، ورفضت الكلام ، وأمرته بالاســـتمرار فى العمل الجدى ٠٠ ولكننى كنت ســـعيدا به وبمجهوده ٠٠

نظرت للعقيد « عصام » قائد مجموعة مدفعيتى وهو واقف فى حفرته البرميلية على بعد خطوات منى يدير نيران ٦ كتائب مدفعية فى عدوء ، وابتسامته لا تفارقه ولسانه منطلق ، وحوله رجال قيادته ، مجموعة ممتازة ، يحيى ، مصطفى ، والوردانى ، والشربينى ، فريق ممتاز وتذكرت « عصام » الخجول الذى لا يجيد فن الكلام ولكن فى المعركة وجدته هادئا جدا ووجدت الكلام يخرج منه سلسا ومنطقيا منه لدرجة أننى سألته « أنت ما بتهتهش ليه يا عصام ؟ » .

فضحك وقال لى « هو أنا كنت باتهته يافندم قبل كده ؟ »

كان ممتازا هو ومجموعته ، وكنا مسيطرين على أعصـــابنا لدرجة أننا استهلكنا اثنين من عشرة فقط من معدل استهلاك الذخيرة المقررة لنا . ووفرنا الباقى .

نزهة .. فى رأس الجسر :

عصر يوم ٧ أكتوبر (اليوم الثانى للمعركة) ..

هدأت الأمور نســبيا . فتركت مركز ملاحظتى وبه هيئـــة القيادة ، وبدأت فى تفقــد وحــداتى فى رأس الكوبرى لتعديــل الأوضاع ولأكون فى الصورة الصحيحة بالنسبة للموقف .

كانت الروح العالية كبيرة ، وتتردد بين الحين والآخر طلقات مدفعية ، اشتباك مع الدبابات مطاردة جوية ..

واستمر فى نزهتى ..

ثم أترك قطاع اللواء الى مركز قيـــادة الفرقة المتقدم لمقابلة قائد الفرقة . وأتفقد أوضاع كل وحدات الفرقة فى رأس الجسر

مدفعيات ووحدات دفاع جوى ومدرعات ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ وأمامهم جميعا المشاة المترجلون ، مدعمون بأسلحتهم المضـــادة للدبابات والفهد ٠

وأمر على كتيبة فراج ، وأشاهد باعزاز مدرعات المشـــاة البرمائية ، لقد انضم فراج الى العميد شفيق مترى بعد أن قويت احتياطيات قائد الفرقة من المدرعات ، وأعلم من الفرقة أنه ينتظر أن نستأنف هجومنا غدا وأعود ٠

وأمر فى أثناء عودتى على أبطـال سليمان وسعيد خطاب ، وأهنئهم ، ما زالت الدبابات السنتريون مشتعلة ، وقبل وصولى الى مركز ملاحظتى أمر على الاحتياطى المضاد للدبابات ٠٠ احتياطى مترجل يضم أسلحة المشاة القصيرة المدى ٠ ويضم الفهد بيومى ، وعبد العاطى جالسين فى استرخاء وأعصاب هادئة كالصياد الذى ينتظر رزقه فى صبر ٠٠ ولا ييأس من رحمة الله ! ٠٠

وفى المساء نعقد مؤتمرا فى « مركبة القيادة المبتكرة » ويحضر القادة والرؤساء عدا علم ٠٠ وحسن وبشر قادة الكتائب الأماميـة ويحضر بدلا منهم رؤساء عملياتهم ٠ الطريف أن رئيس عمليات علم اسمه أيضا علم !

وكان الاثنـان علمين فى البطولة ، والتعاون ، والرجولة الخصبة ، والعطاء للوطن بلا حدود !

وأعطى أوامر قتال عن الهجوم فى اليوم التالى ونعمل جميع الترتيبات ، على أن أؤكد لهم ذلك بتعليمات قتال طبقا لآخر تعديل من الفرقة فى اليوم التالى (٨ أكتوبر) ٠

وعربة القيـادة المبتكرة هذه ، كانت فكرتى ، وتصميمى ، وأشركت معى تخصصات مختلفة فى انشائها ، محمـــد توفيق

للاشـــارة ، فاروق مهندس المركبات ، وعمال فنيون ، وتكلفت حوالى مائتى جنيه • لتوفر مركبة قيادة ثمنها حوالى ٤٠ ألف جنيه •

وبعد المعركة وصلنى مبلغ ثلاثة جنيهات وتسعة وثمانين قرشا •• وسألت « ايه دول ! » قالوا : « مكافأة ٤ جنيه عن المبتكر ، مخصوم منها الضرائب والدمغات » •

وكانت فرحتى أكبر مما لو ربحت ٤ آلاف جنيه !

أحلام المعركة :

أمرت قيادتى المتقدمة ، والجوهرى بعمل نظام للراحة ليلا، ليضمن توفر النشاط للمجميع فى اليوم التالى ، وتم عمل نظام « الخدمة •• والراحة » ونمت طبقا لهذا النظام بعمق ٣ ساعات كاملة لم يزعجنى ضرب المدفعية أو الطيران أو الاشتباك مع دبابات العـــدو •

وأحب أن أذكر أن المقاتل الذى يستمر فى المعركة هو الذى يستطيع أن يختطف كل يوم ساعات ينامها على قدر الامكان • حتى لا يصاب بانهيار كامل بعد ثلاثة أو أربعة أيام •

واستمرت الاشتباكات أثناء نومى ليلا على أضـــواء مشاعل مضيئة وأجهزة الرؤيا الليلية ، وكشافات وطلقات المدفعية المضيئة، وأجهزة الأشعة دون الحمراء ، الانجليزية والمركبة على الدبابات الباتون الأمريكية الصنع ، الاسرائيلية الاستخدام ، وعلى الدبابات الروسية ت ٥٤ ، ٥٥ ، المصرية الاستخدام والمركب عليها الأجهزة الانجليزية نفسها •• سباق غريب بين تجار السلاح •• ولا شىء يهمهم الا الربح •

عمليات ٨ أكتوبر :

واستمر عبور المعدات والمدفعيات والامداد عبر الجسور والمعديات طوال ليلة ٨ أكتوبر ، برغم أعمال العدو • ومع الصباح كانت الفرقة ١٦ مستعدة لاستئناف الهجوم •

ويقوم اللواء باخلاء جبل مريم ، والمصاطب ، والأهرامات غرب القناة وتتسلمها وحدات جديدة قدمت من الغرب لتأمينها •

ويصلنى العقيد عبد البارى رئيس أركانى الساعة ١١ صباحا ومعه الرائد نصر وكان باديا على وجهيهما آثار ارهاق معركة العبور ••

ويتأخر عبور السرية الطبية عن التخطيط • كان المفروض أن تتم بعد حوالى ٣ ساعات ولكنها لم تعبر الا بعد يومين • وربما كان ذلك بسبب قلة الخسائر ، واعطاء أسبقية العبور لعناصر أخرى ••

صراع •• الديوك :

ويقاتل العدو متجنبا الخسائر • محاولا ارهاق قواتنا وتكبيدها خسائر فادحة ويوازن جهوده بين الجبهتين المصرية والسورية ، ويوجه ضربات جوية لمعاونة أعمال الهجمات المضادة المدرعة •ويزيد حجم مجهوده الجوى خلال هذا اليوم فيصل حوالى ٤٨٠ طلعة طائرة على الجبهة المصرية منها ٦٥٪ نهارا والباقى ليلا ويركز مجهوده الجوى على قواتنا شرق القناة لمهاجمة المعابر والكبارى •

ويقوم العدو بابراز مجموعات من الأفراد فى مناطق متفرقة على الضفة الغربية لقناة السويس بطائرات الهيلوكبتر فى القطاع

الأوسط لارباك عمل قواتنا فى رءوس الكبارى ولرصـــد نشاط تحركاتنا ·

ثم يقوم العدو بسحب اللواء ١٤ المدرع بعد أن حدثت به خسائر كبيرة لتعضيدها ويقوم بدفع لواءين ، (لواء مدرع جديد ، ولواء مشاة ميكانيكى) من العمق لايقاف نجاح هجوم الفرق المشاة الخمس المترجلة فى الجيشين الثانى والثالث ·

ويدفع اللواء ٦٠٠ المدرع الاسرائيلى فى اتجاه الفرقة ١٦ المشاة ، ليعمل فى المنطقة شرق الاسماعيلية والدفرزوار ··

الفصل الثالث

هجمات الاجهاض

الوقت ضيق • الموقف حرج • قواتنا مستمرة فى العبور • نحدد ساعة صفر جديدة لاستئناف الهجوم •

يبدأ العدو موجات متتالية شرسة من الهجمات المضادة عندما تأكدت له نوايانا لاستئناف الهجوم • وتتكسر كل موجاته • موجة بعد موجة • وتخترق بعض دباباته خطوطنا الأمامية • ثم تحترق ولا تعود •

وتتلاحق القرارات الحاسمة • لابد من الهجوم ونشاهد هذا المنظر الغريب فى سيناء • دبابات تفر فى اتجاه الشرق • ومن خلفها خليط المشاة المترجلة ، يتحرك بطريقة الضفدعة يجر أسلحته وعربات الجر اليدوى • ويمر من ثغرات حقول الألغام •

بكل هذه الأثقال يتقدم مترجلا ، والدبابات الاسرائيلية الضخمة تفر أمامه مسرعة •

لقد تحطمت الأسطورة :

هجمات الاجهاض

ويتحقق العدو من نوايانا لاستئناف الهجوم فيحاول توجيه هجمات مضادة قوية على وحدات الفرقة المشاة باللواء المدرع ٦٠٠ بعد قصفه بنيران مدفعيته ومعاونة جوية من طيرانه ٠

وتتكسر فى هذا اليوم موجات متتالية من الهجمات المضادة على صخرة لواء النصر ولواء المشاة جارى اليمين ٠٠ وتخترق بعض دبابات العدو أحيانا بعض الخطوط الأمامية وتحترق وسط قواتنا ولا تعود ٠

وأشاهد هجمة مضادة على لوائى بدبابات العدو الساعة الحادية عشرة صباحا ٠٠ وأعطى الأوامر بامساك النيران حتى دخولها فى المدى المؤثر لكل الأسلحة ٠

ويصرخ المقدم مسعود أركان حرب عمليات الفرقة « فيه هجوم عليك ٠٠ العميد عبده بيقول افتح النار » ٠

وأقول له « انتظر » ويزيد اقتراب دبابات العدو ، ويصيح مسعود مرة أخرى « منتظر ايه يا فندم » ٠

وأرد قائلا : « منتظر لما يدخلوا فى حضنى » ·

ونضحك معا ··· ويعبس العدو فقد اشتعلت دباباته · كنت أريد التأكد من تدميرها حتى يتم الهجوم القادم بنجاح ·

وتستمر هجماتهم المضادة وتخفق · ويصرخ الجنرال أهارون بارليف مدير المخابرات الاسرائيلى السابق « لم يتول أى ضباط أجانب أى قيادة للقوات العربية وان المصريين تضاعف تأثيرهم ، وأصبحوا يشكلون عبئا ثقيلاً ضد اسرائيل ·· » ·

استعد للهجوم :

ويصدر العميد عبد ربه الساعة الثانية عشرة ظهرا تعليمات الاستعداد لاستئناف الهجوم · ان ساعة الصفر الجديدة « الواحدة والنصف ظهرا » ·

وكان قرار الفرقة هو أن تهجم بلواء قيادة العميد شفيق مترى سدراك ، ولواء النصر المشاة المترجل بقيادتى كنسق أول · ولواء مشاة آخر فى النسق الثانى · على أن يطور الهجوم ويستعد فى الوقت نفسه للمهاجمة والاستيلاء على نقط العدو القوية فى الدفرزوار وكنا قد اكتفينا حتى الأن بحصارها ·

الوقت ضيق ·

المواقف الحرجة تتلاحق ··

وقراراتى السريعة الحاسمة أيضا ·

مجاهد يبلغنى « سرية عندى بعيدة ، يتطلب وصولها ٣ ساعات » ·

وأصدر قرارا « كتيبة علم ، تبقى نسقا أول · مجاهد أهجم

نسفا ثانيـا لا تنتظر هذه السرية ، وتعمل السرية احتيـاطى قائد اللواء • بعد وصولها » •

الألغام •• لقد وضـعنا أمامنا حتى الآن أكثر من ألف لغم مضاد للدبابات لا وقت لجمعها •

قرار « يتم فتح ثغرات فى الألغام تعبر منها الوحدات عند الهجوم • وتشكل مجموعات من المهندسين والمشاة لجمع الألغام بعد الهجوم وتلحق بنا » •

قائد كتيبة الدبابات الجديد يصل قبل بدء الهجوم بربع ساعة بدلا من قائد الكتيبة المريض •

قرار « رئيس العمليات استمر فى القيادة حتى تحقق مهمتنا القتالية • ثم يتولى القائد الجديد أعماله » •

مطلوب سحب كتائب مدفعية من عندى لتدعيم العميد شفيق اللواء المدرع ، وتقوم حاليا بصد هجوم مضاد للعدو وهى مشتبكة فعـــلا •

قرار « يتم استمرار المدفعية فى تنفيذ القصفة الحالية •• وتنضم بعد ذلك الى العميد شفيق • ويتم الاعتماد على باقى المدفعية وعلى أسلحه الضرب المباشر للمشاة والفهد فى الهجوم » •

ولكن مجموعة مدفعيتنا أصبحت كتيبتين • وهناك كتيبة فقط جاهزة للاشتباك فى مرابض النيران والأخـرى تتحـرك الآن للعبور من الضفة الغربية للشرقية ••

قرار « يتم الاعتماد على نيران كتيبة واحـــدة • وســتدعمنا الفرقة بنيران مجموعة مدفعية الفرقة عند الحاجة • ويتم الاعتماد

فى الهجوم على نيران المشاة المضادة للدبابات ، على الفهد ، على نيران الدبابات » .

وتتلاحق المواقف ..

وتتلاحق القرارات ..

سنهجم ساعة الصفر دون تأخير .. دون عقبات !

ساعة الصفر :

أريد أن أقف هنا لحظة .

ان ساعة الصفر التى كانت قد تحددت لاقتحام قناة السويس كانت الثانية والثلث يوم ٦ أكتوبر . وقد أذاعت اسرائيل أن تخطيط ساعة الصفر كان الساعة السادسة مساء . واننا فاجأناها بتقديم ساعة الصفر ..

وهذا غير حقيقى فقد كان التخطيط والتنفيذ فى وقت واحد . ولكن المفاجأة ان تدريبنا كان كله يتم على اقتحام الموانع المائية مع غروب الشمس . ورتبت اسرائيل نفسها على هذا الأساس . وفوجئت بهجوم الظهر .

وتقرر هجومنا الكبير ظهرا للمرة الثانية ولكننا لم نقتحم القناة فى هذه المرة ، بل اقتحمنا بالمشاة المترجلة دبابات ومدرعات العدو التى أخفقت فى هجومها المضاد ، فحاصرت من بعيد رأس الكوبرى .

اعادة التجميع .. للهجوم :

ومع تغير أوضاعنا من الدفاع فى الوقفة التكتيكية الى الهجوم مع تناقص وحدات الدعم . تتم عملية اعادة تجمبع للقوات ، واعادة

التخصيص والدعم .. فقد كنت أدافع فى شكل ربع قوس ويجب أن ينفرد القوس ليصبح خطا قبل الهجوم . وتندفع مفارز الاقتناص المضادة للدبابات المترجلة تسبق الهجوم .. تصطاد من على بعد دبابات العدو ، وتجبرها على التراجع .

وتنشط داوريات الاستطلاع ، فتلاحق تحرك الاحتياطيات للعدو وتبلغنى أولا بأول وأقرر مخالفة الأسس التكتيكية المتبعة والهجوم بالمشاة المترجلة أولا . ومن خلفها تتقدم الدبابات .

اهجم للأمام :

وبعد قصفة نيران هزيلة لمدة ١٠ دقائق من نيران كتيبة مدفعية واحدة وتحت ستر نيران دفاعنا الجوى تهجم المشاة المترجلة معتمدة على نيرانها ، ونيران أسلحة الضرب المضاد للدبابات ونيران الدبابات المعاونة القريبة .

منظر غريب !!!

دبابات العدو تفر فى اتجاه الشرق ومن خلفها خليط المشاة المترجل ، يجر أسلحته وعربات الجر اليدوى ، ويمر من ثغرات حقول الألغام يستخدم أسلوب الضفدعة .

الأرض كثبان رملية عنيفة ، يزداد ارتفاعها وعنف كثبان رملها كلما اتجهنا شرقا .

وأحث علم ، وحسن أسرعا .. يجب أن نستولى على الخط العام كثيب الخيل أبو وقفة على بعد ١٥ كيلو مترا من القناة قبل آخر ضوء اليوم . يجب أن نحقق سرعة قتالية ٢ الى ٣ كيلو مترات فى الساعة . يجب تنفيذ كل هذا برغم التحامنا بدبابات العدو فى أثناء الهجوم .

القائد في الأمام :

وأترك العقيد عبد البارى فى مركز القيادة الساعة الواحدة والربع مساء ، بعد توديعه ، وأتحرك راكبا مركبة القيادة المدرعة لأول مرة · للاشراف على انطلاق اللواء من خط دفعه · ويتحرك عبد البارى مع مركز قيادتى ليتمركز فى منطقة الطالية ·

وفى أثناء تقدمى كنت أشاهد دبابات العـــدو المحترقة ودبابات لنا أيضا أصيبت فى أثناء الاشتباكات ونتيجة للقصف الجوى · وكانت هذه الدبابات مستمرة فى الانفجار والاشتعال · واجتزت محورا جديدا أسفلتيا أنشأه العدو من الطاسة الى بير حبيطة والدفرزوار · ومررت على نقطة شئون ادارية تحت الأرض ، واتضح عند تفتيشها بعد ذلك أن بها مهمات وملابس ، وملابس حريمى داخلية أيضا ·

ووجدت فى أثناء تقدمى أفرادا وأسلحة متأخرة عن وحداتهم نتيجة لعنف وقسوة طبيعة الأرض ويبرز هنا أهمية تلقين الفرد الجيد وأن يكون الفرد مقتنعا بالمعركة وأهدافها لكى يستمر فى التقدم وحده دون اشراف من قيادته ·

ويهجم فى الوقت نفسه عن يمينى لواء مشاة بقيادة العميد شفيق وعلى يسارى وعلى البعد لواء المشاة من الفرقة الثانية ·

وكان التخطيط أن نلتقى جميعا فى خط دفاعى واحد ·· تتوحد فيه الفرقتان ١٦ ، ٢ المشاة ·· ونستولى على رأس جسر تعبوى أو رأس جسر جيش يتم فيه حشد باقى القوات ، تمهيدا للانطلاق طبقا للموقف ·· على حين يتابع الجيش الثالث والفرقة ١٨ المشاة فى الوقت نفسه تطوير الهجوم ·

ويتقدم معى المقدم صـــلاح قائد كتيبة النسق الثانى · وألاحظ

ان الخريطة لا تشابه الأرض ، المنطقة كثبان رملية عالية تؤثر عليها الرياح ويتغير نتيجة لذلك منظر الأرض باستمرار · ويجب بسرعة اتخاذ قرارات سريعة تتناسب مع شكل الأرض « صلاح - مكان تمركز كتيبتك يكون هنا » ·· وأشير على الأرض · وأتناول قلمه وأرسم له القرار الجديد على خريطته · ويقف بجوارى رئيس عملياتى يرسم التعديل الجديد على خريطة اللواء ·· وأترك صلاح لينفذ مهمته الجديدة ·

الباب السادس

.. وطارت ساقى فى الهواء

الفصل الأول

الصمت اللاسلكى

وتصمت الأجهزة اللاسلكية فى مركبة قيادتى المدرعة ٠ وعبثا حاول ضابط اللاسلكى اصلاحها ٠

وأترك المركبة ٠ وأتقدم مترجلا مع ضابط مركز قيادتى المتقدم ٠ لابـد مـن التحرك بسرعة لتربيط الاتصـال بين القادة ٠

وأثناء تقدمى تنهال الطلقات حولى ٠ وينقض طيران العدو ويرتفع ولا احد يتوقف الكل يتقدم حسب الخطة ٠ واندفع مع مجموعـة صـغيرة جدا من رجالى ٠ فردين فقط ٠ الى اقصى الأمام لاستطلاع الموقف بنفسى ، ولأعطى قراراتى على الأرض طبقا لما أراه ٠

وفى أثناء تقدمى ألاحظ ثغرة بين الكتائب ..

فبرغم تأكيدى على قادة كتائب النسق الأول بعدم ترك ثغرة بين الكتائب ، الا أننى ألاحظ وجود ثغرة مقـدارها حوالى كيلو ونصف كيلو متر .. وأطلب من علم وبشر قفل الثغرة حتى لا تنفذ منها دبابات العدو .

وفى الوقت نفسه أحرك سرية من احتياطى دباباتى لقفل هذه الثغرة بصورة سريعة .

الساعة الرابعة مساء ..

صمتت الأجهزة اللاسلكية فى مركبة قيادتى المدرعة ، وعبثا حاول عبد الرحمن ضابط اللاسلكى اصلاحها .. فاندفعت بها حتى وصلت غرب النقطة ١٢١ على بعد أكثر من ١٦ كيلو مترا شرق القناة .. حيث ترجلت منها واصطحبت أجهزتى اللاسلكية التى يحملها أفراد مترجلون ، والتى لم تخذلنى أبدا .

ووصل لواء النصر كالمعتاد مبكرا • وناداني عبد الرحمن ، قائد الفرقة موجود على جهاز لاسلكى متعدد القنوات •• وتكلمت مع العميد عبده « نفذنا المهمة •• نقوم بصد هجمات مضادة للعدو حاليا •• لواء شفيق تحرك شمالا أكثر من اللازم ويضغط على جنبى اليمين •• » •

وقال العميد عبد ربه « الاتصال مقطوع لاسلكيا مع شفيق ومع الفرقة الثانية ، وأنا باعتمد عليك لتربيط الاتصال معهم واخطارى » •

وطمأنته • كنت قد دفعت فى أثناء التقدم ضباط اتصال من عندى معهم أجهزة لاسلكية لتحقيق الربط مع الوحدتين وأخطرته بذلك •

وأتقدم مترجلا مع ضباط مركز قيادتى المتقدم •• والجوهرى وضباط ملاحظة المدفعية •• وأجد الاحتياطى المضاد للدبابات فى موقع غير ملائم •

قلت لمدحت ، ايه رأيك •• هناك أنسب •

ويقتنع مدحت فى الحال ، وأتركه يشرف على تغيير مكانه وأبدأ فى صعود جبل عال من الكثبان الرملية هو النقطة ١٢١ •

وفى أثناء تقدمى تنهال الطلقات من حولى ، وينقض طيران العدو ويرتفع ، والكل مثابر على التقدم •

ووصلنا الى القمة •• طلقات العدو •• مدفعيته ودباباته تنهال من حولنا وأصدرت تعليماتى •

مليجى •• « مركز الملاحظة » يتم الحفر له هنا •

رءوف « احتياطى الأربجيه » خليه قريب منى •

جوهرى « افتح مركز ملاحظتك لادارة نيران المدفعية » .

وتتالت أعمال الأفراد فى سرعة وفى توافق ، هنا تظهر ثمرة التدريب والتخطيط الجيد .

واندفعت مع مجموعة صغيرة جدا ، فردين فقط . وجهازى لاسلكى الى أقصى الأمام لاستطلاع الموقف بنفسى لأعطى قراراتى على الأرض طبقا للموقف ..

يجب أن أنظم دفاعاتى .. وأنظم خطط نيرانى ، وأربط دفاعاتى بالجار اليمين والجار اليسار ، قبل حلول الظلام .

وأمر على سرية النقيب ثروت المشـــاة .. وأعـدل بسرعة أوضاع الوحدات وأنا مندفع للأمام .

وأصل الى مفرزة علم الأمامية .. هنا أعلى نقطة ويمكن أن أشاهد الأرض ، وتصرفات العدو بوضوح .

وتزداد طلقات دبابات العدو من حولى تنهال يمينا ويسارا ، وتمتصها الرمال بسهولة .. وأتذكر قولنا نحن العسكريين .

« لن تصيبنى الا الطلقة المكتوب عليها اسمى » .

وأرقد على الأرض بجوار جندى .

ويبدو الجندى سعيدا واثقا بوجود قائد اللواء بجواره ويسألنى: أشرح لك الموقف ؟

وأبتسم وأنظر له فى اعزاز انه يعتبرنى أباه ..

وأسأله عن العدو فيشرح لى أوضاعه بدقة وهدوء « أمامنا سريتان للدبابات تقوم بالضرب علينا بنيران شديدة الانفجار وهذه هى التى تسقط طلقاتها من حولنا ، ويلتف العدو بحوالى ٦ دبابات

من الجنب اليمين ، وحوالي عشر دبابات على يسارنا ، وباقي دبابات اللواء ٦٠٠ المدرع الاسرائيلي تهجم على حسن ٠ وبين الفرقة ١٦ ، والفرقة الثانية المشاة ٠

و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ كلام كثير يدل على وعى الجندى ٠٠

وأتركه وأعود الى مركز ملاحظتى للاشراف على تدمير دبابات العدو الملتفة والمخترقة ٠٠ وناديت باللاسلكى على احتياطى دباباتى ٠٠ لكنى تذكرت ان الاتصال مقطوع ٠

كان قريبا منى ، فتحركت اليه ، مكانه غير سليم ودبابات العدو ستلتف من خلفه ٠٠

فى أثناء تحركى قابلت علم قائد كتيبة اليمين فوجىء بوجودى فى كتيبته ، كان قد استشهد من عنده فى أثناء تقدمه النقيب محسن والرائد حسين قادة سرايا النسق الأول ولكنه كان متماسكا ويحتضننى ويقسم « لن نترك شبرا حررناه بدمائنا » ٠

وأتابع تقدمى فى اتجاه احتياطى دباباتى :

الوردانى قائد كتيبة المدفعية يصرخ « طلقات دبابات العدو حولك يا فندم ٠٠ تعال هنا فى هذه الحفرة ٠٠ قصف نيران كتيبتى بدأت على دبابات العدو » وأقول له « استمر يا وردانى » ٠

واستمر هو فى القصف ٠٠

وأستمر أنا ومن حولى طلقات الدبابات الاسرائيلية ٠٠ لن أهدأ حتى أحرك احتياطى دباباتى لمواجهة دبابات العدو بصورة صحيحة ٠

وأصل الى أول دبابة فى الاحتياطى ٠٠ وتبدأ فى العمل ويستمر مرورى على الأطقم لتشجيعها وسط الضرب ٠

وتنجح دبابات العدو في الالتفاف من اليمين ومن اليسار قبل أن ننظم دفاعنا قبل أن نحفر ·· وتظهر هنا أهمية التدريب ·· أهمية التخطيط ·· لقد غرست عقيدة في جنودى ان دبابات العدو المخترقة تكون وجبة دســـمة لرجال جائعين ·· اذا كان دفاعنا بعمق ·

وتصاب دبابات العدو ، ويتوالى احتراقها ·

وفجأة !

في أثناء تقدمي ·· سمعت انفجارا عنيفا · وشاهدت ضوءا مبهرا ·· ووقعت على الأرض وسط عاصفة ترابية عنيفـــة ·· ومددت يدى الى رجلى اليمنى فوجدتها قد طارت ·· أصابتنى طلقة دبابة كاملة لاختراق الدروع لا شظايا لها تسمى « سابو » · كنت قد خلعت جاكت شدة قتالى عند ركوبى مدرعة القيادة ·· ففتحتها الصغيرة لم تسمح بدخول شدة القتال معى · وكان غطـاء رأسى « هلمت اللاسلكى » القماش الأسود ولا يوجد معى رباط ميدان لايقاف النزيف ·

وبسرعة تناولت الرمال بيدى ·· وكتمت بها نزيف الدم المتفجر من ســاقى المبتورة ·· هدوء عجيب ينتابنى ·· وفكرت لو أن قائد دبابة العدو التى ضربتنى ميز أننى قائد فربما يضرب مرة أخرى ·· وكنت على أعلى الميل الخلفى لجبل رملى ، فتدحرجت حوالى ٢٠ مترا ·

وهرع الى بعض الجنود والضباط وطقم الدبابة القريب منى ·

وسمعت مكرم سائق الدبابة يصيح « ســـيادة القـــائد عادل ·· » ·

وصرخت فيهم « ماحدش يقف جنبى ·· اللى بيحبنى ياخد بتارى ·· » ·

وقيل لى بعد ذلك لقد هددتنا بمسدسك ·· ولكننى لا أذكر · ورقدت على الرمال ·· وكلما زاد نزف الدماء زدت من حولها الرمال حتى أصبحت كومة متجمدة من الدماء والرمال ·· وعلى قرب منى يرقد عمال الأجهزة اللاسلكية ينتظرون أوامرى ·

ولكن فى هذا الوقت لا تصدر أوامر ·· كل فرد ينفـــذ ما تدرب عليه ·· التعليمات ·· الخطة ·· فى اصرار لقتل وتدمير العـــدو ·

مقبرة الدبابات :

وعلى الجانب الاسرائيلى تلقى موقع الجنرال « يرين » ضربة مباشرة وأخذ مساعد قائد الفرقة يخلص الجرحى بنفسه لاخلائهم من المعركة ، وترددت على شبكات الاتصال « المصريون كثيرون وكأنهم صينيون » ·

وفى هذا اليوم كانت خسائر اسرائيل مرتفعة بدرجـــة محسوسة · وكان من بين الأسرى العقيد عساف ياجورى قائد الفوج ١٩٠ المدرع الذى ظهر مساء اليوم نفسه فى التليفزيون المصرى ·

ويقول الجندى الاسرائيلى « اسحق » كنت ضمن وحدة مدرعة من اللواء ٦٠٠ ولم أكن أعرف على بعد كم كيلو متر نحن من القناة نسير عندما أصيبت دبابتنا · ورأيت الملازم قائد الدبابة ينقذف منها وقد تحطمت ركبته واستطعنا سحبه قبل أن تنفجر الدبابة ويموت معها مدفعى دبابتنا ·· وطلب منى الملازم « اتركنى هنـــا واذهب للبحث عن نجدة » ·

وجريت فى اتجاه الشرق ، والتقيت بزملاء ، ثم التقيت بقائد لوائنا وصعدت الى دبابته ·· وشرحت له الموقف · وهنا طلب منى

البقاء .. وعلمت بعد ذلك أن قائد اللواء قد قتل بينما كان يتابع الهجوم .. وعثرت فى جيبى على ساعة الملازم التى كان قد أعطاها لى لأعطيها لزوجته وانخرط اسحق فى البكاء .

لقد كانت مقبرة للدبابات الاسرائيلية تستحق منهم فعلا البكاء .

الفصل الثانى

معركة النقطة ٥٧

نجح العدو فى عمل تمويه ممتاز لنقطه القوية فى العمق فالنقطة ٥٧ التى تقع على مسافة ٨ كيلو مترات من القناة جنوب غرب الطالية لم تكتشفها عناصر استطلاعنا ثلاثة أيام كاملة هى ٦ و ٧ و ٨ أكتوبر ٠

ولكننا استطعنا بعد معركة عنيفة من الاستيلاء على النقطة ٥٧ ٠ وجن جنون العدو ٠ وقام بهجمات عنيفة ومتكررة ٠ كان يهاجم كل ٣ ساعات ٠ ولكن لم تنجح كل هجماته لاسترداد النقطة ٠ وكانت خسائره فى المعدات والجنود فادحة ٠ وتأكد له أن أى شبر من سيناء نسيطر عليه ، لا يمكن أن يستعيده حتى لو دفع كل احتياطياته ٠ وأن المعركة بالنسبة له هى الجحيم ذاته ٠

سادة المعارك .

أذكر قبل عودتى للجبهة شعار المشاة الذى تعلمته منذ الصغر فى بدء حياتى العسكرية ٠

نحن المشاة سادة المعارك ، اذا سقط منا سيد ٠٠ قام سيد ٠٠

ويتقدم العقيد عبد البارى ليلا ليتولى القيادة بدلا منى بعد أن طارت ساقى فى الهواء ٠

ويستأنف العدو هجماته المضادة على ضوء الطلقات المضيئة والمشاعل ويقوم المليجى ، ومدحت ، والجوهرى بالسيطرة على الموقف حتى حضور عبد البارى ٠

ويطلب عبد البارى باللاسلكى ٠٠ ضرب طلقات مضيئة لارشاده ليلا ٠٠ ويستقبل العدو الاشارة ٠٠ ويجيب عليها ٠٠ ويضرب طلقات مضيئة فعلا على البعد ليستدرجه الى كمين ٠٠ ويفطن عبد البارى ٠٠ ويسأل باللاسلكى ما اسم المتحدث ؟ ويجيب

بالعربية .. عبد الرحمن .. ويعيد عبد البارى السؤال اسمك الثنائى ؟ وصمت عامل اللاسلكى الاسرائيلى وتفشل المحاولة .

ويصـــل عبد البارى الى مركز الملاحظـة قبل الفجر ويتولى القيادة بدلا منى .

معركة النقطة ٥٧ :

لجأ العدو خلال تجهيزه للنقط القوية على الضفة الشرقية لقناة السويس الى تجهيز نقط قوية فى عمق الدفاعات كأسبقية ثانية بغرض الدفاع بعمق على أنساق ، وسد الثغرات بين النقط القوية الموجودة على القنـاة مباشرة وبخاصـة على المحاور والطرق الرئيسية المؤدية الى قلب سيناء مع قبولها للحصار المؤقت لمدة يوم أو يومين لحين وصول الاحتياط الأكبر .

وقد أقام العــدو فى مواجهة المحور الأوسط ثلاث نقط قوية فى مناطق الشجرة على محور الاسماعيلية / أبو عجيلة . وفى منطقة الطالية ، واستولت عليها كتيبة علم فى اليوم الأول للهجوم . وفى منطقة النقط ٥٧ على مسافة ٨ كم من القناة ، جنوب غرب الطالية .

نقف لحظات عند احدى النقط القوية . عند النقطة ٥٧ . انها تتكون من تجهيزات هندسية حصينة ، كميات كثيفة من الألغام والأسلاك الشائكة تمنع الدخول أو الخروج منها الا فى ثغرتين ، مرابض وحفر للدبابات والمدافع والمركبـات خـارج النقطة القوية ، خنادق مواصلات مكسوة بالصاج المعرج ، برج داخلى للملاحظة به منظار ضخم ، حوالى ٨ حجرات مقاس ٢ × ٣ أمتار لراحة الأفراد فى كل منها سريران .

توافر للنقطة مواصـلات تليفونية ولاسلكية تضمن الاتصال بها مع مستوى قيادة سيناء . والقيادة العسكرية الاسرائيلية .

داخل النقطة تم تكديس مياه وتعيينات وذخائر تكفيها لقتال حوالى ١٥ يوما وأنشىء بها مطبخ حديث و « ميس » للضباط والجنود • وتوافرت له ماكينة كهرباء وجميع وسائل الراحة • بل توافر بها أدوات تجميل حريمى وملابس داخليـــة حريمي أيضا ضمن التكديس •

وتم انشاء موقع آخر بجوارها يتسع لموقع سرية دبابات وسرية مدفعية ذاتية الحركة ثقيلة من عيار ١٧٥ مليمترا • وموقع فصيلة مشاة •

وقد نجح العدو فى عمل اخفــاء وتمويه ممتاز لهذه المواقع وسيطر على نيرانها •• ولم تكتشف الموقع عناصر الاســـتطلاع ولم يظهر فى الصور الجوية •• واستمر الموقع غير مكتشف أيام ٦ و ٧ و ٨ أكتوبر حتى الساعة الواحدة والنصف ظهرا •

ولكن مع استئناف الهجوم يوم ٨ أكتوبر • فتحت هـــذه النقطة النيران من الداخل والخارج على وحدات لواء شفيق المشاة على يمينى •• بعد أن تجاوزتها كتائب النسق الأول بهدف احباط الهجوم ، وقطع خط الرجعة علينا •

لكن كتيبة المركبات المدرعات البرمائية المشاة بقيادة فراج والتى كانت تعمل فى النسق الثانى قامت بالاشتباك معها ونجحت فى تدمير دبابتين وثلاث عربات واحد ونصف طن للعدو ، وفرت دبابة وعــربة مدرعــة • وتم تدمير مركبتين مدرعتين لفــراج من المفاجأة الأولى عند بدء الاشتباك •• ثم سيطرنا على النقطة القوية ٥٧ واقتحمتها سرية مشاة واستولت عليها ••

وبتفتيش النقطة عثر على خرائط ووثائق وجهاز رؤيا ليلى ضخم ومعدات وأسلحة •

حاول العدو استرداد هذه النقطة الحيوية ٤ مرات . المرة الأولى يوم ٩ أكتوبر ، الساعة السادسة والنصف صباحا ، ثم التاسعة صباحا ، ثم الثانية عشرة ظهرا ، ثم الرابعة مساء .

ولم تنجح جميع هجماته بل انه خسر فى هذه الهجمات ست دبابات !

ويوم ١٠ أكتوبر ، حاول العدو بهجوم ليلي الساعة الواحدة صباحا بعد تمهيد مدفعيته . وبعد معركة حرب نفسية أن يقوم بالاقتراب بدباباته ولكنه لا يستطيع . ويحاول ثانية أن يسترد النقطة القوية ولكنه يخفق أيضا وينسحب .

وتستمر محاولات العدو ..

وفى الساعة السادسة صباحا يوم ١٠ أكتوبر ينجح فى الاختراق من الجنوب بقوة مدرعة حوالى سرية دبابات بعد أن يترك فصيلة دبابات كقاعدة نيران .

ونجح العدو فى الاختراق بين لواءى مشاة ، وفتح نيرانه من الغرب فى اتجاه الشرق .. أى انه هاجم الموقع من الخلف . ولكن لم يكتشف العدو موقع فصيلة مختفيا لفراج عبارة عن ٣ مركبات مدرعة مع أسلحتها القوية المضادة للدبابات .. وفى الحال دمر له الموقع دبابتين ثم لاحق باقى الدبابات ليدمر له ٣ دبابات أخرى فى أثناء فرارها .

وترك العدو بعض دباباته سليمة ، وخسر بعض القادة من مجموعة عمليات شارون .

ومن بعدها لم يعاود الهجوم لاسترداد هذه النقطة . لقد علم تماما ان استرداد شبر واحد من الأرض فى أيدينا عملية صعبة ، بل مستحيلة بالنسبة له !!

الجيوش .. تمشي على بطونها :

كما يقول نابليون بونابرت « الجيوش تمشى على بطونها » .

لذلك فمنذ ليلة ٨/٩ أكتوبر بدأت أرتالنا الإدارية تحمل التعيينات والمياه وأمداد الذخيرة وبخاصة ذخيرة الدبابات ، والأسلحة المضادة للدبابات والمدفعية التى استهلكنا منها كميات كبيرة . أما ذخيرة الأسلحة العادية (البنادق والرشاشات) فقد كان استهلاكها محدودا جدا .. فلم نصادف العدو مترجلا الا نادرا بعد أن تدمر عربته المدرعة ، أو دبابته .

وأخذت الأرتال الادارية تتدفق عبر قناة السويس . حوالى ألف عربة كبيرة لورى للجيش الثانى محملة بأكداس التشوينات ليتم استعواض ما استهلكناه قبل أول ضوء .

ويقود ممدوح الأرتال الادارية للواء ومعه مدحت وسعيد .. ويقود الشهيد الرائد محمود أرتال الذخيرة وورشة اصلاح للأسلحة مع صلاح وابراهيم ، ويتم استعواض كافة احتياجات اللواء .

وتعود العربات الادارية محملة قبل الفجر بجرحانا .. وجرحى وأسرى العدو .

ويصاب فى هذه الليلة محمود ، وينقل الى المستشفى ويعين آخر بدلا منه وكنه يخرج من المستشفى قبل أن يتم شفاؤه ويعود يوم ١٢ أكتوبر الى اللواء ويعمل الى أن ينال شرف الشهادة فى غارة جوية يوم ٢٣ أكتوبر .

ويقوم الرائد المهندس رفيق باصلاح ونجدة العربات المتعطلة تحت نظر ونيران العدو .. ويصاب ويرفض الاخلاء ويستمر فى العمل .

عمليات يوم ٩ أكتوبر :

لم تكن حرب ٦ أكتوبر سهلة ، كانت المعـــركة ساخنة . لم تهدأ لحظة واحدة . قواتنا تتدفق على سيناء . كل يوم تحتل أرضا جديدة . وتحقق انتصارات جديدة . والعدو أيضا لم يهدأ لحظة واحدة . حاول أن يفيق من المفاجأة .. من الكارثة التى حلت به ..

وزادت ضراوة القتال ووحشيته . وحشـــد العدو مدرعاته لزيادة الهجمات المضادة ضد الفرق المشاة الخمسة المترجلة فى رءوس الجسور لالقائها فى القناة .. وركز هذه الهجمات ضد قطاع الفرقة ١٦ المشاة بقوة اللواء ٦٠٠ المدرع ، وكتيبة من اللواء ٤٦٠ المدرع من اتجاه طوسن / الدفرزوار .

وفى الوقت نفسه يقوم بهجمات مضادة بقوة كتيبة مدرعة فى اتجاه الفرقة الثانية والفرقة ١٨ المشاة وتوجيه هجمات مضادة ضعيفة ضد الجيش الثالث بقوة لواء مشاة عدا كتيبة .

وركز العدو هجمات قواته الجوية ضد تشكيلاتنا فى رءوس الجسور شرق القناة . كان يهدف بصفة خاصة لتدمير مدرعاتنا مع قصف جوى شديد على مدينة بور سعيد ، ومحاولة قصف بعض مطاراتنا مثل القطامية والمنصورة . وبلغ حجم مجهوده الجـــوى خلال هذا اليوم حوالى ٣٢٠ طلعة طائرة .

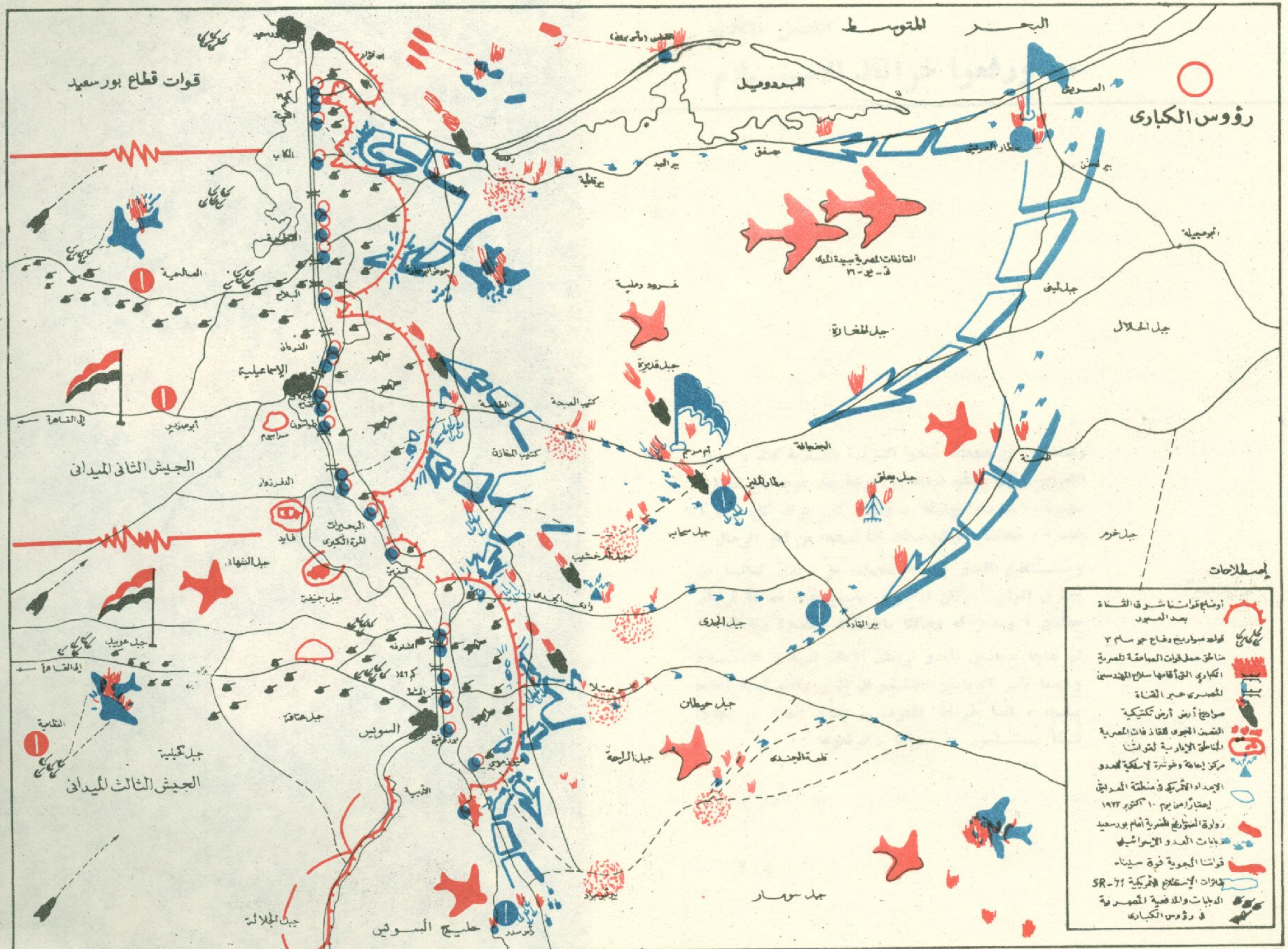
ولكن ومع اخفاق هجمات العدو المضادة فى هذا اليوم قام العدو فى نهاية اليوم باعادة تجميع اللواءين المدرعين لاستعواض خسائرهما وهذان اللواءان هما اللواء ٦٠٠ جنـــوب الاسماعيلية واللواء ٤٦٠ شرق الدفرزوار .

وأحس العدو بأن المعركة معركتنا .. واننا نطور هجومنا .

وبدأ استعدادا لمواجهة تطوير هجومنا يجهز هندسيا خط المضايق للدفاع شرق القناة بأكثر من ٣٠ كم ٠

تقول جريدة الأوبزرفر البريطانية :

« لقد انتزعت طبقة جـــديدة من الضباط المصريين احترام العالم ٠ هم مجموعة من الشباب الهادىء المثقف جدا ٠ والمحترف الذى يتمتع بالثقة الكاملة من رجاله ٠ منهم القادة ومنهم المخططون العسكريون ٠ وهم رجال غير معروفين ولكنهم يعرفون جيدا ماذا يريدون ٠ ويقومون بمهامهم فى تصميم » ٠



رؤوس الكبارى
البحر المتوسط
البردويل
العريش
مطار العريش
بير لحفن
رمانة
بير العبد
بالوظة
قوات قطاع بورسعيد
الصالحية
الإسماعيلية
إلى القاهرة
أبو صوير
الجيش الثانى الميدانى
الدفرسوار
فايد
البحيرات المرة الكبرى
كبريت
جبل الشهداء
جبل جنيفة
جبل عويبد
إلى القاهرة
جبل عتاقة
السويس
بور توفيق
الجيش الثالث الميدانى
جبل كحلية
خليج السويس
جبل الجلالة
القنطرة
الطاسة
الجفجافة
مطار المليز
جبل يعلق
جبل الحلال
جبل المغارة
جبل لبنى
أبو عجيلة
جبل خورم
جبل الجدى
جبل حيطان
جبل الراحة
قلعة الجندى
جبل سومار
عيون موسى
رأس سدر
المقاتلات المصرية فوق سيناء
مصطلحات
أوضاع قواتنا شرق القناة بعد العبور
قواعد صواريخ دفاع جو سام ٣
مناطق عمل قوات الصاعقة المصرية
الكبارى التى أقامها سلاح المهندسين المصرى عبر القناة
صواريخ أرض أرض تكتيكية
القصف الجوى للقاذفات المصرية
المناطق الإدارية لقواتنا
مركز إعاقة وشوشرة لاسلكية للعدو
الإمداد الأمريكى فى منطقة العريش اعتباراً من يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣
زوارق الصواريخ المصرية أمام بورسعيد
دبابات العدو الإسرائيلى
قواتنا الجوية فوق سيناء
طائرات الاستطلاع الأمريكية SR-71
الدبابات والمدفعية المصرية فى رؤوس الكبارى

الفصل الثالث

.. ورفعوا خرائط الاستسلام

وتحطمت كل هجمات العدو الشرسة الضاربة عند « حاجز الأمواج » كان يدفع قواته في موجة بعد موجة في محاولة مجنونة لاسترداد توازنه . ولكنه كان يرتد كل مرة . . خاسرا . محطما . ولكن سقط لنا شهداء من اغلى الرجال .

ويســـتطيع العدو بعد ٣ هجمات على احدى كتائبنا ان يخترق الموقع . ولكن الاختراق يصبح لقمة سائغة لرجال جائعين . ويدمر له رجالنا بالأسلحة القصيرة دباباته ..

ثم نفاجأ بدبابتين للعدو ترفعان الأعلام البيضاء للاستسلام وعندما نأسر الدبابتين نكتشف ان الذي رفعاه ليسا اعلاما بيضاء ، انما خرائط الحرب ـ جنود العدو لم يجدوا شيئا يستسلمون به سواها ، فرفعوها .. !

وتستمر هجمات العدو المضادة والمجنونة .. انه يحشد كل قواته فى محاولة لاستعادة توازنه ..

وتقوم حوالى ١٥٠ دبابة اسرائيلية مدعمة بالمشاة الميكانيكية بعد تمهيد من نيران المدفعية والطيران باجراء هجمات مضادة فى صورة سرايا دبابات مع مركبات مشاة مدرعة م ١١٣ .

تهاجم تارة بالمواجهة ، وتارة بالالتفاف . ثم يعمل العـــدو قاعدة نيران بجزء من قوته ، ويلتف بالجزء الآخر .. ويتسرب من الثغرات والفواصل ليهاجم القيادات .. أو ليهاجم الوحدات من الخلف .

وينتهى اليوم وتخفق كل الهجمات المضـــادة .. وتزداد خســـائره فيعيد تجميع اللواء المدرع ٦٠٠ وكتيبة دبابات اللواء ٤٦٠ لاستعواض خسائرهما .

ويبقى رأس جسر الفرقة ١٦ المشاة صاعدا .

وتتحطم كل محاولات العدو ..

وتتحطم ثقته فى نفسه ..

ويتحطم غروره وصلفه ..

وتتحطم صورته أمام العالم ..

وتبدأ الهجمات المضادة للعدو من الساعة السادسة صباح اليوم التالى فى مجموعات السرايا على النقطة ٥٧ ، وعلى اللواء ١٦ المشاة ، والثالث وعلى لواء النصر .. وتقوم كل كتيبة مشاة مترجلة بما معها من دعم من الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات بصد سريتين من دبابات العدو عدة مرات .

وتأتى كتيبة طنطاوى المشاة وتصد سريتى دبابات ، وتدمر ٤ دبابات ويرتد العدو فى ذعر .

ويشاهد طنطاوى ، ثلاثة جرحى اسرائيليين يشيرون الى دبابة لهم منسحبة ولكنها لا تتوقف .

وتتركهم وتهرب ..

لقد نسوا عقائدهم فى سبيل المحافظة على حياتهم ..!!!

ويصد فراج ٤ هجمات مضادة للعدو ويكبده فى هذا اليوم ما مجموعه ٨ دبابات ولكن فى أثناء صد احدى الهجمات المضادة يستشهد العميد شفيق مترى سدراك حامل وسام نجمة سيناء بطلقة مباشرة من العدو فى الساعة العاشرة صباحا .

ويتولى فراج قيادة اللواء حتى يصل رئيس الأركان .

وهكذا المشاة .. يسقط سيد .. ويقوم سيد !!

ويقوم العدو بالهجوم المضاد على كتيبة علم ثلاث مرات وينجح

فى اختراق الموقع الساعة الواحدة ظهرا . ويدمر الرجال دبابات العدو بالأسلحة القصيرة المضادة للدبابات والقنابل اليدوية المضادة للدروع .

وتحترق للعدو دبابتان .. ونأسر دبابتين سليمتين . لقد رفعت اعلاما بيضاء للاستسلام ثم يتضح انهم رفعوا خرائطهم وجعلوا منها اعلاما للاستسلام . أعلاما بيضاء يستسلمون بها ..

هذه هى قوات إسرائيل الخرافية !

وقاد عبد الوهاب الجداوى ، ضارب الأسلحة المضادة للدبابات دبابة الباتون م ٦٠ سليمة للخلف .

كيف ؟

كانت الدبابة دائرة .. دخلها . حاول قيادتها ونجح .. وأخذ وسام نوط الجمهورية .. وتكررت بعد ذلك قيادة جنود عاديين لنا لدبابات العدو .

واستشهد لنا بطل فى هذا اليوم هو النقيب الدمرداش قائد الأسلحة المضادة للدبابات عند علم ، بعد أن دمر دبابة .. وكان فى أثناء الاشتباك يتنقل بين الأسلحة مشجعا لأطقمها ..

وتخفق آخر هجمات العدو المضادة على علم الساعة الرابعة مساء .. ويقف العدو بدباباته بعيدا .. على خط الأفق .

وتصد كتيبة حسن هجمات مضادة متلاحقة لسرية دبابات

لغم بشرى آخر :

وتتكرر أمثلة للفداء .

يلقى العريف السيد الشحات نفسه تحت دبابة ومعه لغم . فيفجرها ويستشهد معها .

ويدمر العريف محمد سيد بقاذف ب ١٠ دبابة للعدو ويستشهد ، وهو يضرب الدبابة الثانية ٠

يصاب الجندى نجيب عوض الله ٠٠ فقد أطلق البازوكا ـ سلاح المخازن القديم ـ على دبابة ولكن الدانة تعمل « سكترمة » أى تنزلق فوق سطح الدبابة ولا تخترقها ٠٠ ويكتشفه طقم الدبابة ٠٠ فتناله طلقة من رشاشها ٠

عبد العاطى واخوانه قانصو الدبابات :

ويقوم عبد العاطى وبيومى مع احتياطى اللواء المضاد للدبابات باصطياد دبابات العدو من العمق ٠ يتنافس كل منهما على الصيد ٠ لقد تدربا وخاضا معركة الأيام الأولى ٠ ونجحا ٠

ان ثمن الصاروخ الواحد ٦٠٠ جنيه ورفع ثمنه أكثر ٠ وذلك بعد أن أكدنا له فاعليته فى تدمير الباتون ٠٠ وتأكد من حاجتنا اليه فرفع سعره ٠٠ هذه هى الحرب ، وتجارة الحرب ٠

ويدمر عبد العاطى حامل وسام نجمة سيناء فى هذا اليوم خمس دبابات فقط ٠ ولكنه يضرب منها عربة مدرعة بطريقة فريدة ٠٠ كانت ترافق دبابة ٠٠ وأصاب عبد العاطى الدبابة وبدأت فى الانفجار ٠٠ فهجر طاقم العربة المدرعة الاسرائيلى عربتهم ، وكانت واقفة خلف الدبابة ٠٠ وتركها عبد العاطى حتى عاد طاقم العربة اليها ظنوا انهم أصبحوا فى أمان ويطلق عبد العاطى صاروخا « لوب » مارا فوق الدبابة المصابة ٠٠ وساقطا على العربة المدرعة من أعلى ٠٠ ليدمرها بطاقمها تدميرا كاملا ٠ ان الصاروخ يرفع درجة الحرارة داخل الدبابة الى ألف درجة مئوية ٠

ويبرز بيومى على عبد العاطى فى هذا اليوم ان كلا منهما يتسابق للصيد ، فيصيب ١١ دبابة للعدو ٠٠ وفى كل مرة يصيب

هدفا يهتف من أعماقه « الله أكبر أصبتها ٠٠ » وفى آخر اليوم لم يجد صوته لكثرة الصيحات ٠ انبح صوته ٠٠

ولكنه يقدم لقطة نادرة من المعركة ٠٠ اكتشفته دبابة باتون، أطلقت فى اتجاهه طلقة شديدة الانفجار بالمدفع ١٠٥ مم ٠٠ واختفى بيومى داخل حفرته ووضع وجهه فى الرمال ٠٠ وأصابت الطلقة أسلاك الصاروخ المعد للضرب فانطلق فى اتجاه الدبابة التى تطلق عليه النيران ، لم يصبها ، ولكنه جعلها تفر فى ذعر ٠

وتصاب دبابات العدو من عدة جهات ٠٠ فكم دبابة للعدو أصيبت بعدة صواريخ وعدة أسلحة مضادة للدبابات فقط للتأكد من تدميرها تماما ٠

وتتوالى أمثلة البطولة .. بطولة الرجال الذين قدموا لمصر العطاء ٠٠ لآخر قطرة دم ٠

فيقوم الجندى بسيونى باطفاء مدفع مضاد للطائرات ٣٧ مم فى أثناء الاشتباك ، برغم انفجارات ذخيرة المدفع نفسه وينجح ٠٠ ويستشهد معه الجندى عبد الونيس ٠

ويأسر جندى ملاحظة المدفعية السيد على فردا متبقيا من طقم دبابة للعدو ٠٠ يلاحقه ثم يأسره ولا يقتله ٠٠ اننا نحارب بانسانية ٠

ويقوم السائق أبو عبيدة باقتحام نيران عربات تحترق نتيجة للقصف الجوى والمدفعى ويتمكن من انقاذ عربة محملة بالذخيرة تقف بين عربتين مشتعلتين ٠٠ ويشاهد أبطالنا على الضفة الشرقية دفاعنا الجوى يرد الطائرات الاسرائيلية ويسقطها ٠٠

وحدث أمر عجيب · طائرتان للعـــدو يصبان حممهما على قواتنا ، ينطلق صاروخ يصيب طائرة وتنفجر وتتطاير · ويدمر انفجارها الطائرة الأخرى ··

طائرتان بصاروخ واحد !!!

وتغطي أرض المعركة الدماء ، والدخان ، وألسنة اللهب المندلعة من الدبابات والمركبات المدمرة ·· فوق أرض سيناء ·

الباب السابع

وتدخلت الولايات المتحدة

الفصل الأول

عساف ياجورى

من بير حبيطة ــ لماسبيرو للاهرامات

ســــال صحفى الجنرال ديان : هل الأمريكيون على علم بمجريات الأمور ٠٠ ؟

ويجيب وزير الدفاع الاسرائيلى : لسـت متأكدا ولـكن سياستنا تقوم على ابلاغ الولايات المتحدة بأدق التفصيلات

وكانت الولايات المتحدة على علم فعلا بأدق تفصيلات الحرب والموقف الاسرائيلى المتدهور ٠

وبدات تتدخل فى حرب أكتوبر ابتداء من يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

وتدفقت المعدات الأمريكية الحديثة جوا وبحرا على اسرائيل منهــا طائرات الفانتوم ومعـدات التـداخل الالكترونى والصواريخ الشرايك جو/ارض والدبابات الباتون م ٦٠ ٠

بل وتجسست الأقمار الصناعية لصالح اسرائيل

وسقطت .. الدفرزوار :

ونقطة العدو فى الدفرزوار من النقط الحصينة جدا ، ولها أهميتها لوجودها على الطرف الشمالى للبحيرات المرة .. وهى عبارة عن نقطتين حصينتين بينهما مسافة حوالى ٥٠٠ متر ، وتوجد فى هذه المسافة نقطة مراقبة لهيئة الأمم المتحدة .

— كان هناك ساتر ترابى مرتفع بين النقطتين يشرف على قناة السويس وقد أزال العدو جزءا من هذا الساتر قبل الحرب بحوالى ٦ شهور .. وقد تم انشاء الجسر الرئيسى لثغرة العدو فى هذه المنطقة — ثم أنشأ العدو نقطة قوية أصغر على الساحل الشمالى الشرقى للبحيرات المرة على مسافة حوالى ٥ كم جنوب شرق الدفرزوار ، وسميناها « تل سلام » . ففكرنا فى الاستيلاء على موقع الدفرزوار . هاجمته قواتنا فى المرة الأولى بقيادة كمال يوم ٨ أكتوبر ولم ينجح الهجوم .. وتكرر الهجوم ليلة ٩/٨ وخلال يوم ٩ أكتوبر بالكامل . ولكن تخفق مدرعات اسرائيل

بالهجمات المضادة المتتالية فى فك حصار النقط القوية أو نجدتها ، أو حتى اخلاء من فيها .

وتسقط نقطة الدفرزوار القوية فى أيدينا بما فيها من أسلحة – ومعدات – ووثائق وبما فيها أيضا من قتلى – وجرحى – وأسرى !

– أما نقطة العدو القوية فى تل سلام فنتركها ولا نهاجمها لعدم أهميتها ، ويهجرها العدو ..

ويخلى المدنيين :

وبرغم الحرب وعنفها ، فقد ترك المدنيون فى قطاع الجيش الثانى دون اخلاء ضمن خطة الخداع .. ومع أول طلقة لنا ارتفعت زغاريت الفلاحات ، وأسرعن الى الأفران يجهزن الخبز الساخن يوزعنه على الجنود ... وتسابق الرجال منهم فى حمل الذخائر ومعاونة الجنود .. ويقوم ابراهيم على بجراره الزراعى فى توزيع المياه تارة أو تحمله ذخائر .. واعتبر نفسه مجندا واعتبر جراره ملكا للقوات المسلحة .. ويعلو حماس بعضهم فينزلون الى القوارب يجدفون بدل الجنود ..

ويشاهد الاسرائيليون من على بعد مناظر غريبة – جنود بالجلاليب .. كامل حسين ، وعبده ، والحجراوى وخفاجة – وغيرهم كثيرون فى الطريق للضفة الشرقية !!

لم يحدث هذا فى قطاعنا فقط .. حدث هذا التلاحم الرائع بين الفلاحين ورجال القوات المسلحة فى أكثر من قطاع – لقد تسابق الفلاحون الذين صمدوا طول الوقت على الضفة الغربية للقناة جيراننا – ورفضوا التهجير منذ ١٩٦٧ .. تسابق هؤلاء على طول الضفة الغربية يقدمون أول وجبة ساخنة يوم العبور

لاخوانهم رجال القوات المسلحة ـ بل نحروا الذبائح ـ وسمعت انه فى قطاع السويس الريفى ذبح الفلاحون ١٠ عجول فى أول يوم قتال ، واشتعلت الأفران فى كل بيت ليقدموا الوجبة الأولى الساخنة لاخوانهم رجال القوات المسلحة يوم ١٠ رمضان . وتسابقت البيوت لتقديم ما عندها .. بيت عم حامد على فارس ـ بيت أم صاصة ـ بيت الشيخ رجب .

بل ان عم حامد فارس الرجل الذى تجاوز الستين من عمره والذى قدم ابنه شهيدا فى حرب الاستنزاف ، وابنه الثانى مقاتل برتبة رائد .. هذا الرجل ركب دراجته وخرج يمر بها على أرضه . ويوصى باعداد سلال البلح فورا ، ثم أخذ يوصلها على دراجته الى أول معبر للجيش الثالث ، ليعبر البلح للرجال المتدفقين على القناة . !

ولا ينسى الاسرائيليون ذلك للفلاحين من أبناء الضفة الشرقية فينتقمون منهم برش أنواع من البودرة الكيماوية تجفف الأشجار ويتلف للحاج سيد خفاجة كمثال ١٥ فدان مانجو وبرتقال .. وتنبت بدلا منها أشجار العزة والكرامة ..

ثم تصدر التعليمات بترحيل المدنيين واخلائهم من قطاع القتال يوم ٩/١٠ أكتوبر على أن ينتهى ذلك وتوقف جميع التحركات المدنية والزيارات والقطارات والاتوبيسات من الساعة الثانية ظهر ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ .

من بير حبيطة .. الى الأهرام :

استدعى العقيد الاحتياط / عساف ياجورى من سلاح المدرعات الاسرائيلى مع التعبئة الشاملة لاسرائيل من يوم ٦ أكتوبر ٧٣ وتولى قيادة الفوج المدرع ١٩٠ ، وبدأ فى الاشتباك مع وحدات

المشاة المترجلة للفرقة ١٦ المشاة · وكانت تحت قيادته أكثر من ٦٠ دبابة بالاضافة الى المشاة الميكانيكية الراكبة مدرعات م ١١٣ الأمريكية ·· وتمركز فى منطقة جبل بير حبيطة استعدادا للهجوم ـ وابتداء من مســاء يوم ٨ بدأ عملياته فهاجم لواء عبد الحميد ، وفقد حوالى ٦ دبابات ·· وانسحب ليعيد تجميعه ، ثم هاجم فى الثغرة بين اللواءين ·· وكاد يصل الى مركز قيادة الفرقة وتصدى له احتياطى دبابات الفرقة والأسلحة المضادة للدبابات فدمرت له حوالى ٨ دبابات فينسحب ويعيد تجميعه ، ويهاجم لواء النصر فيدمر له أكثر من ١٢ دبابة ويتكرر انسحابه ـ ينسحب مرة أخـــرى لاعادة التجميع ويخفق فى الوصــول الى كبارى الفرقة ١٦ المشاة لتدميرها ·

وفى صباح يوم ٩/١٠ يهاجم الفرقة الثانية المشــاة بحوالى ٣٥ دبابة لتحقيق الهدف نفســه ، وهو الوصول الى القناة لتدمير الكبارى مع قطع وتدمير قوات رأس الكوبرى ·· ويصــــطدم هو نفسه برجال البطل العقيد الحديدى حامل وسام نجمة سيناء وتدور دباباته فى دائرة ، أشبه بالساقية تحاول طحن المشاة ·· ولكن تحترق دباباته ·· ويتوالى انفجـارها ·· وتصــــطدم الدبابات الاسرائيلية من الذعر بعضها ببعض لدرجة تتشابك فيها المواسير وتعجز عن الحركة فيترجل عساف ياجورى ومعه خمسة أفراد أسرى للواء حمدى بعد اصابة دبابته · ويسقط قائد الفوج أسيرا ·

ويصبح عساف فى الليلة نفسها نجما فى تليفزيون القاهرة بماسبيرو ·· ويفاجأ بمصر الحقيقية التى لم تصورها لهم الدعاية الاسرائيلية · فيطلب زيارة أسرة اسرائيلية فقيرة ومتوسطة وغنية على انفراد ·· ويلتقى بمن يريد ويمشى فى شوارع القـــاهرة الرئيسية ، ويزور الهرم وأبا الهول ·· وهكذا نعامل أسراهم ··

ويأتى .. ليل ١٠/٩ أكتوبر :

ويقوم المشاة بأستكمال رص الألغام المضادة للدبابات أمامهم - وحولهم - ويبلغ حجمها أمام قطاع لواء النصر أكثر من ثلاثة آلاف لغم .

وينتهى رجال كتائب أنابيب المياه من مد خط أنابيب للمياه من الضفة الغربية - للشرقية - ويروى المهندس سيف النصر - عطش المقاتلين الأشداء .

ومع الليل .. يبدأ المهندسون فى تجميع الكبارى للعمل فقد كنا نفك الكبارى نهارا ، ونجمعهـــا ليلا وتعبر مرة أخرى الأرتال الادارية بقيادة ممدوح شكرى ورفيق .. ويدخل الرائد البطل لطفى رئيس الأفراد الى المعركة - يمر على الوحـــدات فى أثنـــاء الاشتباكات - يلم بالموقف ويساهم فى كل الأعمال ثم يجـــرح ويرفض الاخلاء - ثم يجرح مرة أخرى فيضطر لقبول الاخلاء يوم ١٧/١٠/١٩٧٣ .

تصريحات .. مؤتمرات :

فى مساء اليوم نفسه يعقد موشيه ديان مؤتمرا صحفيا ..

وكانت المعارك ضد وحدات المشاة المترجلة (أو الصينية كما أسموها) قد بعثرت صفوف المدرعات الاسرائيلية وأحدثت بها خسائر كبيرة .

ويسأل صحفى ديان « هل الأمريكيون عـلى علم بمجريات الأمور ؟ » ويجيب وزير الدفاع الاسرائيلى :

- لست متأكدا - ولكن ســياستنا تقوم على ابلاغهم بأدق التفاصيل !!

ويقول ردا على مجموعة الأسئلة :

ستحاول اسرائيل زيادة الضغط على سوريا لاخراجها من المعركة اعتبارا من يوم ١٠/١٠ .

كانت هناك أمور غير متوقعة ـ ولم نستطع منع المصريين من بناء رءوس الجسور على القناة .. وكان اعتقادى اننا نستطيع تدميرها بالدبابات .. ولكن محاولة الاقتراب من القناة لتدمير رءوس الجسور . كان أمرا صعبا . وكلفنا الكثير . وقد سارت الأمور على غير ما نتوقع وتحتل قواتنا الآن خطا دفاعيا موازيا للقناة ..

وفى الليلة نفسها يدلى شارون بتصريح يقول فيه :

أعتقد ان حربنا قد أصابت الولايات المتحدة بشىء من خيبة الأمل ، لأننا لم ندمرهم أو حتى نجبرهم على التراجع .

هذا على الجانب الآخر ـ أما على جانبنا ـ فالصورة مختلفة تماما .

فى اليوم نفسه يرسل المشير أحمد اسماعيل الى اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ..

« لقد كان قتال الجميع خلال الأربعة أيام السابقة رائعا ـ لقنتم العدو درسا قاسيا .. وقد وصلتنا معلومات تؤكد أن خسائره فادحة .. » .

ويستمر القتال :

قتال بلا هوادة .. قتال كأنه الجحيم بالنسبة للعدو .. لا لحظة هدوء واحدة ويستمر شريط الذكريات أمامى لا يفارقنى لحظة واحدة . سواء فى رحلة العربة المدرعة ونحن نبحث عن طريق لأقرب مستشفى ميدانى .

الفصل الثاني

.. وتضيء أجساد الرجال !

ويستمر القتال فى الصحراء وتستمر العمليات شرسة لمدة اربعة ايام على التوالى (١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) اكتوبر .

وتضرب الطائرات والمدافع الاسرائيلية قنابل فوسفورية لتقطيع اسلاك نيران القهد ، لشل حركة عبد العاطى ، وبيومى وعبد الجابر .. ويصبح منظر الأبطال مضحكا .. ان اجسادهم تضيء بالفسفور .. شفاههم تضيء .. ويستمرون فى قسوتهم ..

ويستمر العدو فى انذحاره !

وتضطر الولايات المتحدة للتدخل لانقاذ اسرائيل .

عمليات الأيام من ١٠ ـ ١٣ أكتوبر

وتدخلت الولايات المتحدة ..

فقد كانت على علم بأدق التفاصيل كما قال ديان وكانت خيبة أملها كبيرة فى اسرائيل كما قال شارون ، ومن هنا بدأت تتدخل فى حرب أكتوبر من يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ وتدفقت الامـــدادات الأمريكية الحديثة من الطائرات الفانتوم ومعدات التداخل الالكترونى وصواريخ الشرايك جو / أرض المصنعة لضرب قواعد صواريخنا وراداراتنا والقنابل التليفزيونية والمنزلقة .. وأحدث الصواريخ المضادة للدبابات بل أحدث الدبابات ـ ويبدأ تداخل العدو بتأثير الكترونى على جميع أنواع أجهزتنا .

وتدفق هذا الامداد بحرا وجوا من الأسطول السابع الأمريكى ومن قواعد الولايات المتحدة فى حلف الأطلنطى ومن جنوب أفريقيا ، وعبر البحر الأحمر ـ ووصلت الدبابات أم ٦٠ المعدلة وهى أحدث الدبابات الأمريكية بالطائرات جديدة تماما الى مطار العريش ..

وتم أسر بعض هذه الدبابت ورقم عداد الكيلو يشـير الى أقل من ٢٠٠ كيلو وهى المسافة التى قطعتها من العريش الى الجبهة ــ واختل الاحتياطى الاستراتيجى للولايات المتحدة نتيجة استنزاف اسرائيل له ٠

وبالاضافة لهذا ساهمت القيادة العسكرية الأمريكية بتسخير معلومات الأقمار الصناعية لصالح اسرائيل ٠٠ بل خصصت طلعات لطائرات استطلاع أمريكيـة الصنع والقيادة لتطير على ارتفاعات شـاهقة فوق الجبهات العربيـة لاكتشاف أوضاعنا ٠٠ وخططنا وتعديل الخطة الاسرائيلية بل وضع الخطط المضادة لنا ٠٠ وأذيع منها طلعة مشهورة لاستطلاع جوى أمريكى يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

صحوة ٠٠ الميت !

وحتى تحافظ اسرائيل على توازنها قامت باستدعاء جميع الضباط المحالين للتقاعد من وظائفهم ٠٠ حتى لو كانوا وزراء ٠٠ تركوا وزاراتهم والتحقوا بالقوات المسلحة ليساهموا فى رفع المعنويات أساسا على أنهم قادة سبق أن انتصروا فى الحـروب الماضية ٠٠ ولمعاونة القادة الجدد الذين أخفقوا عند أول مرة يقاتل فيها الجندى المصرى فعلا ٠

وانتظارا للامداد الأمريكى ٠٠ وبعد الاخفاق على قناة السويس تحول العدو الى سوريا يضغط عليها بكل قواه حتى يخرجـها من المعركة ٠٠ ونجح فى ايقاف الهجوم السورى .وبدأ يرده الى خط البداية ٠٠ ثم بدأ يتجاوز خط البداية ٠٠ الى دمشق ٠

وترغم خسائر العدو الكبيرة فى المعدات والأفراد على جبهة القناة القيادة الاسرائيلية الى سحب اللواءات المدرعة الأربعة أرقام

(٧ — ٦٠٠ — ٢١٧ — ٤٠١) لاستعواض خسائرهم فى قتال الأيام الأربعة الأولى من .. الامداد الأمريكى .

ويصبح حشد العدو فى سيناء ٨ لواءات مدرعة (حوالى ثمانمائة دبابة آ وثلاثة لواءات مشاة ميكانيكية (أكثر من ألف مركبة مدرعة) ولواءى مشاة عادى .

وابتداء من صباح يوم ١٠ أكتوبر يستمر العدو فى شغل قواتنا بالمدفعية .. بالطيران وبهجمات مضادة بالمدرعات خلال الأيام من ١٠ — ١٣ أكتوبر لاجهاد قواتنا مع الاستمرار فى بناء احتياطيات أخرى استراتيجية فى العمق استعدادا للتحول للهجوم المضاد — والحصول على المبادأة بعد تصفية الموقف فى سوريا .

اليد .. الطولى :

ويتناقص حجم المجهود الجوى الاسرائيلى على الجبهة المصرية بعد يوم ١٠ أكتوبر فقد كان عدد الطلعات الجوية يوم ١٠ أكتوبر حوالى ٤٥٠ طلعة / طائرة — ٩٥٪ منهم نهارا .

وتناقص المجهود الجوى الاسرائيلى يوم ١١ ليكون حوالى ١٨٠ طلعة منهم ٨٠٪ نهارا .

ويصل يوم ١٢/١٠ ليكون حوالى ٢٥٠ طلعة / طائرة منهم ٨٠٪ نهارا .

ويتناقص يوم ١٣ ليكون حوالى ١٧٠ طلعة / طائرة منهم حواق ٧٥٪ نهارا .

ويتركز مجهود العدو الجوى خلال هذه الأيام على قواتنا شرق القناة .. وعلى بور سعيد .. ويهاجم بعض مطاراتنا المتقدمة

وراداراتنا منها قويسـنا وبلطيم ٠ وأبو حماد والصالحية ـ والزعفرانة ٠

ويكشف العدو عبور فرقنا المدرعة والميكانيكية يوم ١٣ أكتوبر ويستعد لمواجهة هجومها شرق القناة ٠٠ فيجهز مواقع هندسية ويدعمها بموانع ألغام وأسلحة قوية مضادة للدبابات ٠٠ ويجهز جميع لواءاته المدرعة لاحتلال خطوط صد ٠٠ وكمائن مضادة للدبابات ٠٠ كما تستعد قواته الجوية للاشتراك بتأثير في المعركة ٠٠ وبخاصة عندما تخرج مدرعاتنا خارج المرمى المؤثر للتجميع الرئيسى لوحدات الصواريخ أرض / جو ٠

ويزداد نشاط مجموعات استطلاع وتخريب العدو التى قام بابرارها غرب قناة السويس بطائرات الهليكوبتر ٠

وظهر ٠٠ الصديق !!

وعلى الجانب العربى نسمع من وكالات الأنباء ٠٠ وبخاصة الوكالات الغربية والتى يتحكم فيها النفوذ الصهيونى العالمى ٠٠ عن جسر جوى أقامه الاتحاد السوفييتى لامداد مصر بالأسلحة وان الطائرات العملاقة السوفييتية تمر عبر يوغسلافيا الى مصر وفى مقابل هذا ٠٠ تحشد الولايات المتحدة وتمد اسرائيل بأكثر مما أعلنت عنه وكالات الأنباء .. انه قد وصل الى مصر !!

وبهذا تصبح عملية الامداد معركة اعلامية من ناحية ٠٠ وحشد وامداد وتعويض لاسرائيل عن كل ما يرد فى بياناتنا العسكرية من الولايات المتحدة ٠٠ ومن هنا خلت بياناتنا العسكرية من خسائر العدو أو قللت منها جدا ـ واحتفظنا بسرية خسائر اسرائيل حتى لا نعطيها الحق فى المطالبة بالتعويض ٠

وظهر الأخ العربى الحقيقى .. فى شخص الملك فيصل يتزعم الدول الاسلامية ، والدول المنتجة للبترول فيقطع البترول ويشارك فى تنفيذ القرار التاريخى العربى الذى هز العالم بأسره .. مجموعة الدول المنتجة للبترول فترتفع أسعار البترول عالميا وتضغط دول العالم على الولايات المتحدة .

ويؤدى الرئيس بومدين دوره فى صمت .. يضع كل ثقل الجزائر فى المعركة بل يوقف خطة التنمية هناك لصالح المعركة ويرسل لنا سلاح الجزائر ودباباته .. ثم يطير الى الاتحاد السوفييتى يدفع فى صمت ثمن السلاح المنتظر . انه يعلم جيدا انها معركة المصير للعرب جميعا ..

ويسجل التاريخ لملك المغرب وشعب المغرب تأييده وتدعيمه للمعركة بالمتطوعين وبالسلاح .

وتساهم الكويت بأموالها وبجزء من قواتها تشترك فى المعركة .

ويتكاتف السودان والبحرين والامارات ونرى على القناة وحدة عربية حقيقية نشاهد فيها الجندى السودانى والكويتى والمغربى والجزائرى والفلسطينى يقاتلون جميعا بجوار شقيقهم المصرى .. ويستشهدون معه ويختلط الدم العربى فى وحدة رائعة على ضفاف قناة السويس .. !

وتقوم يوغوسلافيا الصديقة بدعم موقف مصر وامدادها فى حدود طاقاتها وامكانياتها .

وبرغم صراخ أوربا لقطع البترول عن بعض الدول .. ومن ارتفاع أسعاره فان العالم بدأ فى احترامنا مرة أخرى .. فقد أثبتنا

أن هناك وحدة عربية حقيقية ، وأننا مقاتلون نستطيع استخلاص حقنا ، وتمضى المعركة بكل القسوة .. بكل الضراوة .. وبكل الايمان فى استخلاص الحق العربى كاملا .

عمليات يوم ١٠ أكتوبر :

(ويستمر شريط الذكريات . طويلا . حافلا . مليئا بأيام مجيدة للعسكرية المصرية وللأمة العربية) .

ويستمر طيران اسرائيل ومدفعيته فى اشغال واجهاد قواتنا البرية فى رءوس الكبارى نهارا ، وليلا ويقوم بهجمات مضادة فى أول ضوء على أجناب فرق المشاة وفى الثغرات بين الوحدات كما يوجه هجمة مضادة بلواء مشاة ميكانيكى مدعم بدبابات الى الفرقة الثانية مشاة الساعة الحادية عشرة صباحا وتخفق ويستمر طيرانه فى جذب الأنظار فى اتجاه قطاع بور سعيد .

وتقوم الفرقة ١٦ المشاة باستكمال تجهيزها الهندسى ورص الألغام بها . كما يتم حشد الفرقة ٢١ المدرعة بها استعدادا لاستئناف الهجوم .

ويقوم اللواء المشاة اليمين واللواء الأوسط باعادة تنظيم أوضاعهما .. مع صد وتدمير هجمات العدو الجوية ، واسكات مدفعيته . ونيران دباباته على المدى البعيد .. وتنتهى فى هذا اليوم معارك النقطة ٥٧ .. وتنتقل قيادة اللواء الأوسط الى الطالية .

وتمتد هجمات العدو المضادة على الفرقة الثانية المشاة فتشمل مواجهة لواء النصر الملاصق لها فيهاجم الساعة الحادية عشرة صباحا

كتائب النسق الأول .. وتتمكن كتيبة علم من تدمير ٣ دبابات باتون وتتمكن كتيبة حسن من تدمير دبابتين .. وتخترق بعض الدبابات ويظهر أبطال جدد .. ويسقط مزيد من الشهداء .. وتحدث أشياء غريبة وطريفة تستحق التسجيل :

الساعة العاشرة صباحا تمر دبابة باتون فوق حفرة برميلية بها النقيب ثروت وتنهال فوقه الرمال . وتلاحقها النيران فتدمرها .. ويصيح عامل اللاسلكي «على فودة» قائد السرية كان هنا..!! ويسرع يحفر فى نفس المكان ويفاجأ بثروت يخرج دون أن يصاب بخدش واحد .. واستأنف القتال .

ويطلق محمود السيد صاروخ فهد على دبابة اسرائيلية ويشعر به قائد الدبابة . ويحاول أن يهرب .. ويفتح أقصى سرعة ، مع المناورة ، ويلاحقه محمود . بالصاروخ مصمما على اللحاق به .. حتى يدمره .

وتضرب الطائرات والمدافع الاسرائيلية قنابل فوسفورية .. لتقطيع أسلاك ادارة نيران الفهد لوقف وابطال مفعول الرجال الأشداء ، عبد العاطى ، وبيومى ، وعبد الجابر .. ويصبح منظر الأبطال مضحكا . ان أجسادهم مضيئة .. وأيديهم مضيئة .. بل شفاههم أصبحت مضيئة .

وأسأل مبروك سائق الامداد فى الخطوط الخلفية هل رأيت دبابات العدو ؟ . ويجيب فقط أعرف أنها بدون صوت .. رأيتها مأسورة .. يقودها مصريون .

ويتدخل القدر فتصاب دبابة اسرائيلية بصاروخين (فهد) من ثقب واحد .. فقد أطلق بكر صاروخا على الدبابة .. وظن محمود أنه لن يصيبها ، فأطلق صاروخا آخر .. وتتبع صاروخ بكر ..

ليدخل الصاروخان بعضهما وراء بعض من ثقب واحد •• واشتعل الجحيم مرتين •

ويصاب مكرم سائق الدبابة بطلقتين من دبابتين للعدو •• وتبقى دبابته سليمة •• وتدمر دبابات العدو ويصاب بشظايا فى أماكن حساسة فى ذراعه – فى حنجرته – فى عموده الفقرى – وفوق حاجبه الأيسر •• ولكنه يشفى ويعود للمعركة •

طيارو مصر •• الأبطال :

وبالاضافة الى دفاعنا الجوى العتيد •• يضيف أبطالنا •• نسورنا الجويون أروع قصص •• البطولة •• والفداء •

فيقوم الرائد طيار وفاء حامل وسام نجمة سيناء من الطبقة الأولى فى معركة واحدة بطائرة ميج ٢١ باسقاط ٣ طائرات للعدو •• واحدة فانتوم واثنتان ميراج •• وهو ما يعتبر اعجازا عسكريا ويعود الى قاعدته الجوية سليما •

ويقوم النقيب طيار سليمان باسقاط أربع طائرات للعدو فى معارك متفرقة •• ثم يقلع من مطاره فى أثناء غارة جوية للعدو مخالفا الأسس •• لسلامته •• وينجح فى اسقاط طائرة للعدو •• ثم يستشهد •• ومئات وعشرات بعده من طيارينا •• يذودون عن سمائنا •

ويقول الصحفى •• دور ميلتون :

ان القوات الجوية العربية قد ظهرت على مستوى عال •• وبصورة لم تكن متوقعة حيث أظهر الطيارون العرب أنهم لا يفتقرون الى الجسارة •• ان مفاجأة المعركة هى عجز الطيران الاسرائيلى عن

التفوق الذى كانت الولايات المتحدة والقيـادة الاسرائيلية تأخـذه كأمر مسلم به ٠

ويضيف أبا ايبان :

لقد كان هناك احساس بأن طيارينا يستطيعون الانتصار فى المعركة حتى بدون طائرات ٠٠٠ وكانت النتيجة اننا عشنا ٦ سنوات فى عالم غير واقعى ٠

الفصل الثالث

من أنت ٠٠ !؟
٠٠ أنا قائدك الجديد ٠٠

يصل القائد الجديد للواء النصر الى ارض المعركة فجاة لتسلم القيادة ٠٠ يعبر كوبرى الفرقة مترجلا بعد منتصف الليل ٠ ولا يتمكن من الوصول الى قيادة الفرقة المتقدم ٠ وينتظر فوق الساتر الترابى على الضفة الشرقية منتظر اول ضوء ٠

وبعد ذلك يصل الى مركز القيادة المتقدم ، فيجد الجميع يصدون هجوما مضادا ٠ ويحاول أن يكلم احد القادة وهو منهمك فى ادارة المعركة ٠

وشخط فيه الضابط ٠ يكرر المحاولة ٠ فيامره بالسكوت ٠ ويستمر مع رجاله فى صد هجوم دبابات العدو وتدميرها ٠ ويستدير الضابط اليه ويسأل : من أنت ؟! ويرد العقيد اركان حرب ابراهيم : أنا قائدك الجديد !

٣ – من منشية البكرى .. الى كثيب الخيل :

« وحدث تغيير . جديد فى قيادة لواء النصر » ..

ويستدعى مدير شئون الضباط فى منشية البكرى العقيد أركان حرب ابراهيم المدرس بكلية أركان حرب الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ٩ أكتوبر ، ويطلب منه التوجه فورا لاستلام قيادة لواء النصر فى الجبهة .

ويمر العقيد عادل فى سلسلة طويلة .. فالطرق عليها تحركات عسكرية كبيرة ليلا .. ونهارا ورجال الشرطة العسكرية يوقفون كل شخص للتأكد من شخصيته .. ويمر على قيادة الجيش أولا ثم يصل ليلا الى الفرقة .. ويقابل رئيس أفرادها .. ثم يعبر كوبرى الفرقة مترجلا بعد منتصف الليل .. ويحاول عبثا الوصول الى قيادة الفرقة المتقدم .. وينتظر فوق الساتر الترابى على الضفة الشرقية منتظرا ظهور الفجر .. وأول ضوء .

ـ ويصل الى العميد عبد ربه فى الساعة السابعة صباح يوم ١٠ أكتوبر ويجده هو ورجاله منهمكين فى صد دبابات العدو واسكات مدفعيته ·· ويجد العقيد الجوهرى مصابا فى رأسه ويرفض الاخلاء·· وبجواره بطل المدفعية العميد أبو غزالة يدير بنفسه النيران ·

ويقوم العميد عبد ربه بتلقينه ويشرح له الموقف والخطط فى مكتب قائد الفرقة ·· فى حفرة رملية برميلية وهم وقوف وأصوات ضرب المدفعية والطيران لا تنقطع لا تتوقف لحظة ·· لاتهدأ ولكن الشرح يستمر ·

ـ ويصل العقيد ابراهيم ـ الى الطالية مركز قيادة اللواء ويقابل هناك نصر ·· ونادر ·· ويحكيان له كيف استردا الموقع ويشاهد آثار المعركة وبقايا دبابات العدو ··

ويصحب العقيد أحد المرشدين ·· الى مركز القيادة المتقدم فى أم كثيب على مسافة ١٥ كم من القناة ·· فيصل فى الساعة الحادية عشرة صباحا فى أثناء صد الهجوم المضاد فيحاول أن يكلم المليجى ·· وهو منهمك فى ادارة المعركة ·/· « كلام باللاسلكى ·· بالتليفون تحريك للاحتياطيات ·· قصفة نيران مدفعية هنا » ·

ويشخط فيه المليجى طالبا منه السكوت ·

ـ ويقوم عبد البارى ـ ومدحت ـ والمليجى ـ بالاشراف على صد هجوم دبابات العدو ·· وتدميره ·

ـ ويستدير المليجى للعقيد ابراهيم وسأله « أنت مين ؟ ويبتسم ابراهيم ويقول له أنا قائدك الجديد ·· ! وبسرعة يحاول عبد البارى والمليجى أن يضعاه فى الصورة ويشرحا له الموقف وتهدأ المعركة ·· يومين ·· حتى يتفهم ابراهيم القائد الجديد الموقف ·· واللواء ·

عمليات الأيام الثلاثة (١١ ـ ١٢ ـ ١٣) أكتوبر ٠

قامت اسرائيل خلال هذه الأيام بالضغط على سوريا مع حشد خمسة لواءات مدرعة ولواء مشاة ميكانيكى ولواء مظلات محمول على عربات مدرعة م ١١٣ فى سيناء استعدادا للهجوم ٠

ووجهت القوات الاسرائيلية عدة هجمات مضادة على مستويات صغيرة منها :

(أ) دفع كتيبة دبابات من صدر الحيطان فى اتجاه وادى سدر فوقعت فى كمين لقوات الابرار الجوى المصرية ٠ أحدث بها خسائر كبيرة ٠٠

(ب) وجهت هجمات مضادة بقوة سرايا مشاة ميكانيكية وسرايا دبابات الى الفرقة ١٨ المشاة والفرقة الثانية المشاة يومى ١١ ، ١٢ أكتوبر ٠

(ج) وجهت هجمات مضادة فى نقط اتصال فوق الجيش الثالث بسرايا دبابات ٠٠ وكتيبة دبابات فى اتجاه النقطة القوية فى كبريت بمعاونة المدفعية والطيران ٠٠

(د) واكتفى فى اتجاه مجهوده الرئيسى فى قطاع الفرقة ١٦ المشاة باجهاد القوات بضربها بالمدفعية ١٧٥ م (أبو قفة) ٠٠ والطيران والدبابات من المرامى البعيدة فى الوقت نفسه الذى كان يعيد فيه تجميع قواته الضاربة للهجوم ـ ويجمع المعلومات من جميع عناصر الاستطلاع بما فيها المصادر الأمريكية ٠

ويقوم لواء النصر مع الفرقة ١٦ المشاة باعادة تنظيم قواته ٠٠ وبصد هجمات العدو المحدودة وتستمر البطولات ٠٠ قصص غريبة خارقة لبطولة المقاتل المصرى ٠٠

القناص مجدى سعد من كتيبة بشر يأسر فردا متبقيا من عربة مدرعة للعدو أشفق عليه لأنه .. شاب صغير ..

ويخرج صفوت بطل الاســـتطلاع ثمانى دوريات متتالية .. بعضها يستمر يوما . وبعضها يستمر ساعات .. ثم تخرج دوريات الاستطلاع بقيادة صف ضابط .. أحيانا .

وتخرج دورياتنا الى المواقع الجديدة للعدو .. تنفذ من ألغامها . تأسر أفراده ثم تحضر وثائق هامة وألغاما جديدة .

ـ ولأن فى العمر بقية تسقط قنبلة ألف رطل أمام العميد عبد ربه وهو راكب عربة جيب يقودها العميد بكير وخلفهما مسعود .. وتنحرف العربة بشــــدة .. ويتحطم زجاج العربة الجانبى المقابل للموجة الانفجارية . ويصيح مسعود (٢٣ متر يافنـــدم) وينزل ويقيس المســـافة منذ انحرفت العربة فيجدها فعـــلا ٢٣ مترا .. والمفروض هنا أن الموجة الانفجارية تدمر أى شىء يقابلها ولكن لم يحدث لهم شىء .. !

ـ ويقود الجندى عبد الله عدلى .. سائق البلدوزر .. دبابة أخرى للعدو ويتمكن من قيادتها .. بعد أسرها سليمة ..

ـ وتقوم كتيبتنا مشاة من لواء شفيق بعد هجوم ليلى صامت ليلة ١١/١٢ بالاستيلاء على النقطتين ٤٢ ـ ٥٧ ، وكثيب أبو طربوس .

ويستمر قصف طيران .. ومدفعية العدو على الفرقة ١٦ المشاة ليلا .. ونهارا .. بلا توقف .. !

الفصل الرابع

تخفيف الضغط على سوريا ٠٠!

تدهور الموقف على الجبهة السورية ، برغم استبسال القوات المسلحة السورية ٠ وكاد تطوير الهجوم الاسرائيلى الضاغط بكل ثقله على سوريا أن يسيطر على الطريق الى دمشق ٠

وحتى هذا الوقت كانت الجبهة المصرية محتفظة بتماسكها متوازنة واحتفظت قيادتها باحتياطى ضخم وقوى من الدبابات والمشاة الميكانيكية انتظارا لاستنفاد احتياطيات العدو الاستراتيجية ٠ ثم تنتقل بعد ذلك لعمليات هجومية متحركة ـ تدمر فيها الا أن القيادة المصرية قررت دفع الجزء الأكبر من احتياطاتها مبكرا حتى تجذب الثقل الاسرائيلى من على الخطوط السورية ـ فى اتجاه الجبهة المصرية ٠

عمليات يوم ١٤ أكتوبر :

تدهور الموقف على الجبهة السورية ..

وكان الامداد الأمريكى العاجل يصل الى اسرائيل بحيث يعوضها عن كافة خسائرها ويمدها بأحدث ما أنتجته ترسانة سلاح الولايات المتحدة .. بل وصل الأمر الى امدادها بالدبابات بأطقمها أو الطائرات بطياريها .. على حين لايصلنا الا بعض قطع غيار .. وامداد بالطائرات لا يحسم المعركة .. هذا في الوقت الذى كانت الخسائر تتزايد فيه فى الجانبين نتيجة لعنف القتال الذى شهدته سيناء لأول مرة .

ـ وبرغم علم القيادة المصرية بالقاعدة الاستراتيجية التى تحدد أن من يدفع احتياطيه الاستراتيجي قبل خصمه فانه يكون مهــددا بفقدان أهم مبادىء الحرب وهو « المبادأة » أى القدرة على الاستمرار فى الهجوم واجبار العدو على التحرك لمقابلة أعماله ..

ـ الا أن القيادة المصرية قررت دفع الجزء الأكبر من احتياطيها



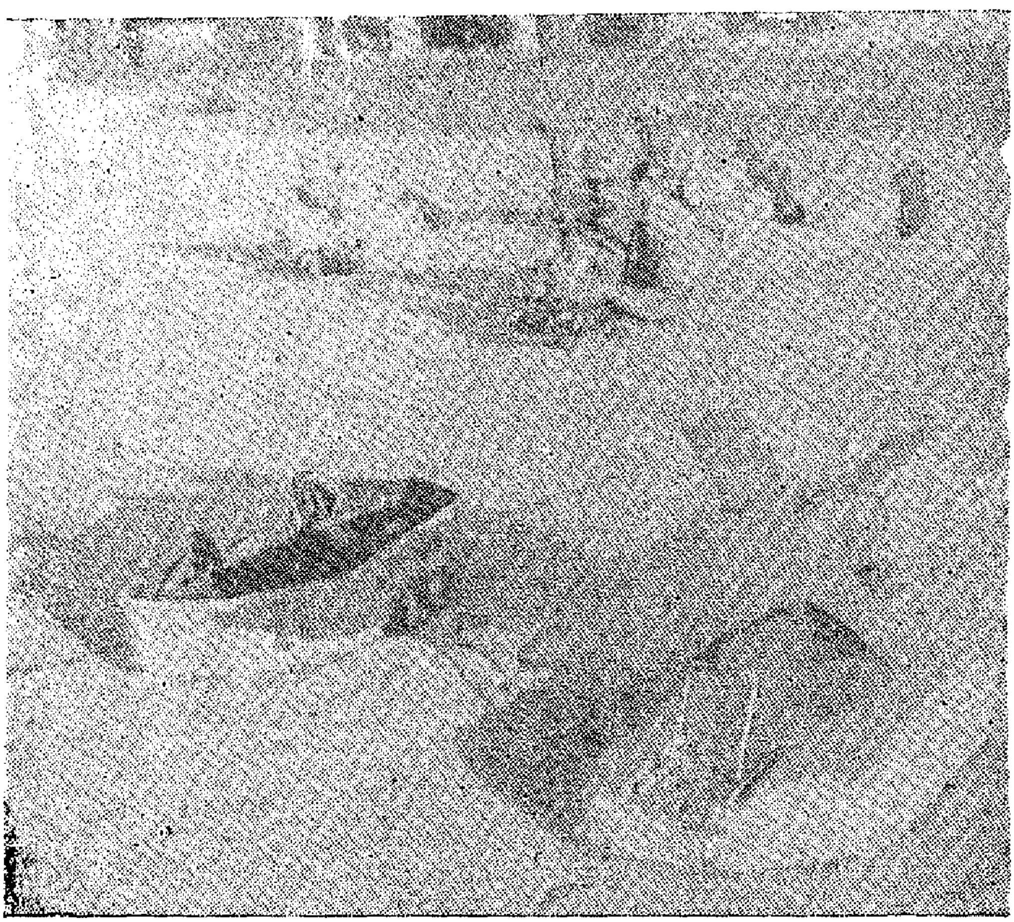
الصاروخ س س ١١ (فرنسي) محمول هنا على عربة نصف جنزير وهو مضاد للدبابات



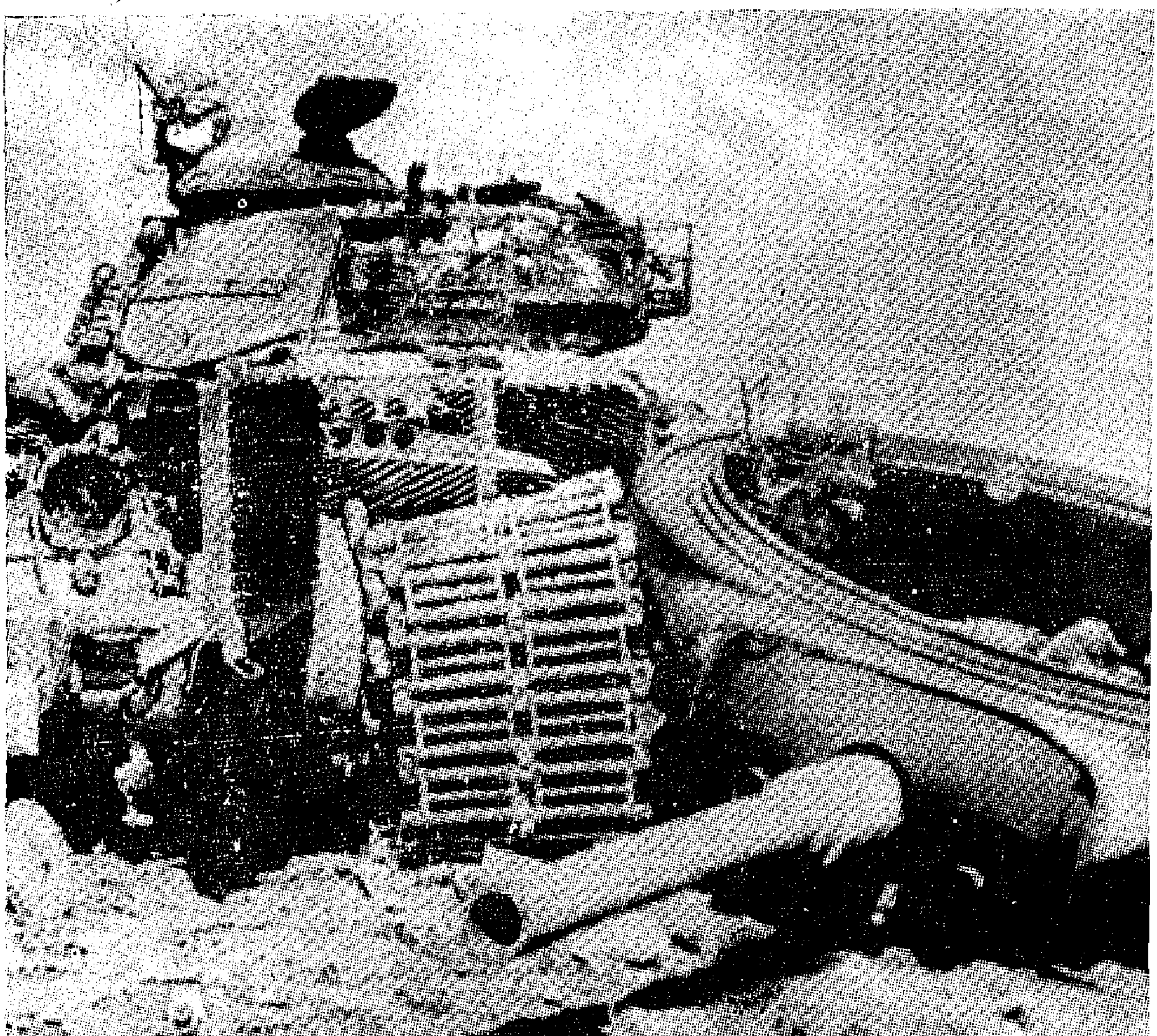
الصاروخ تاو (أمريكي) تم امداد اسرائيل به خلال حرب ١٩٧٣
ويعمل من على الأرض أو مركبة م ١١٣ أو هليوكبتر



بيومى ـ عبد العاطى وعلى صدره وسام نجمة سيناء ـ متولى ـ ٣ رجال دمروا حوالى ٥٠ دبابة للعدو . هؤلاء هم بعض الملائكة الذين وهبنا الله اياهم .



عبد العاطى ـ قانص الدبابات ـ فى وضع الاستعداد للضرب بالصاروخ الفهد



سأل الجنرال بلوك الاسرائيلي القائد ممدوح .. هل كانت معركة المدرعات الاسرائيلية قاسية على المشاة .. ؟

مبكرا وفى وقت لا يحسم المعركة حتى تخفف الضغط عن سوريا وتجتذب الاحتياطيات الاسرائيلية فى اتجاه الجبهة المصرية ٠

الخطة المصرية ٠٠ العاجلة :

وكانت الخطة العسكرية المصرية تركز على :

أن يقوم الجيش الثالث ، والجيش الثاني بدفع مفارز قوية من الدبابات والمشاة الميكانيكية من رءوس شواطىء فرق المشاة الخمس المترجلة من فجر يوم ١٤ أكتوبر بعد :

ـ قصفة جوية ضد الأهداف الهامة فى سيناء وبعد تمهيد مدفعى لمدة ١٥ دقيقة بأكثر من ٥٠٠ مدفع من أنواع مختلفة .

ثم ضربة صواريخ أرض / أرض متوسطة المدى ضد مراكز الاعاقة الالكترونية ٠٠ ومراكز القيادة والسيطرة ثم يبدأ الهجوم المصرى الساعة السادسة والنصف صباحا على النحو التالى :

(أ) يدفع الجيش الثالث مفرزتين :

الأولى بقوة لواء مدرع مدعم بكتيبة مشاة ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا الجبلى ٠

والثانية بقوة لواء ميكانيكى فى اتجاه ممر الجدى الجبلى .

(ب) ويدفع الجيش الثانى الفرقة ٢١ المدرعة عدا لواء بقوة لواءين مدرعين فى اتجاه الطاسة ، واللواء المدرع فى اتجاه المحور الشمالى ٠

وكانت الأهداف الرئيسية من هذا القرار هى :

١ ـ تخفيف الضغط عن سوريا واجتذاب الاحتياطيات الاسرائيلية ٠

٢ ـ تدمير جزء كبير من الاحتياطيات التعبوية الاسرائيلية ٠

٣ ـ الوصول الى المخارج الغربية لخط المضايق فى سيناء على بعد من ٣٠ الى ٤٠ كم من القناة وبالتالى حرمان العدو من المناورة على المحور العرضى غرب المضايق الذى يناور عليه باحتياطياته لتوجيه هجماته المضادة ضد رءوس الشواطىء ٠

مخاطر الخطة المصرية :

ولكن كان لهذه الخطة المصرية عدة مخاطر تتركز فى :

أولا : الخروج من تحت سقف الدفاع الجوى غرب القناة وتعرض احتياطياتنا المدرعة لتأثير الطيران الاسرائيلى ٠

ثانيا : عدم اشتراك المشاة فى هذه المرحلة ، وبقاؤهم فى رءوس الكبارى على الضفة الشرقية ضمانا لاتزان القوات المسلحة ٠٠ وبالتالى عدم تطهير الأرض من الكمائن ٠٠ كمائن الصواريخ المضادة للدبابات٠ والدبابات والألغام ٠

ثالثا : عدم اكتمال معلومات الاستطلاع عن العدو ـ والأرض ـ وتجهيزات العدو الهندسية الأخيرة التى أعدها لملاقاة الهجمة المضادة٠

كما أن توقيت بدء الهجوم كان فى وقت تكون الشمس فيه فى اتجاه قواتنا ، بزاوية تجعل من الصعب رؤية العدو واستخدام أجهزة التنشين بصورة سليمة ٠

خطة الدفاع الاسرائيلية :

وكانت خطة الدفاع الاسرائيلية تعتمد على :

(أ) تجهيز خطوط دفاعية ـ مجهزة هندسيا أمامها حقول ألغام

وتعتمد أساسا على مواقع أسحلة مضادة للدبابات قوية « صواريخ اس/اس/١١ » •• وصـــواريخ أمريكية وكمائن دبابات فى حفر مجهزة •• مع وجود احتياطيات دبابات قوية للمناورة بها فى اتجاه هجومنا بعد ايقافه وهو نوع من الدفاع ــ الامريكى ــ يسمى الدفاع المتحرك الذى يدفع العدو بعد اجتذابه الى أرض تسمى « أرض القتل» لتدميره •

(ب) تجهيز بعض الطائرات الهليوكبتر الاسرائيلية بصواريخ « اس/اس/١١ » لتدمير مدرعاتنا من الجو •

(جـ) تجهيز قاذفاته المقاتلة الفانتوم والاسكاى هوك ••• والمقاتلات الميراج بصواريخ لاصقة وقنابل ضد الدرع •

(د) شعرت القيادة الاسرائيلية بنية هجومنا •• وتحققت منها ووضعت الخطة المضادة •• ورفعت درجة استعداد قواتها فى جبهة سيناء اعتبارا من الساعة ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليلة ١٣/١٤ أكتوبر •• أى كانت على استعداد قبل بدء هجومنا بسبع ساعات وتم دفع الصواريخ المضادة للدبابات أمام الفرقة ١٦ المشاة فجر يوم ١٤/١٠ •

(هـ) كان عدد الدبابات الاسرائيلية حوالى تســعمائة دبابة بالاضافة للصواريخ المضادة للدبابات ، والطائرات والمدفعية فى مقابل حوالى ثلاثمائة دبابة لنا عند التطوير للهجوم أى أن المقارنة كانت لصالح العدو •• ثلاثة الى واحد • فقط فى الدبابات •• وهى نسبة لاتسمح بالهجوم •••

بالاضـــافة الى الصواريخ الاسرائيلية المضادة للدبابات التى استطاع بها المشاة المصريون ايقاف الهجمات المضادة الاسرائيلية الأولى دون أن يكون معهم دبابات •

(و) خطط العدو نيران المدفعية الثقيلة ١٧٥ مم بعيدة المدى (حوالى ٣٢ كيلو مترا) على مواقع صواريخنا المضـــادة للطائرات لاسكاتها عند بدء هجومنا •

سير المعركة •• الهجوم :

بعد ضربة الطيران المصرى الساعة السادسة والربع صباحا ، وتمهيد المدفعية لمدة خمس عشرة دقيقة وضربة الصواريخ أرض /أرض متوسطة المدى •• اندفعت المفارز المدرعة المصرية وقد ووجهت بمقاومة عنيفة جدا من العدو •

اشترك فيها طيرانه ومدفعيته وصواريخه المضادة للدبابات ـ وبالدبابات •• وكانت الخسائر كبيرة فى الجانبين •• وبرغم مقاومة العدو ••

وبرغم الخسائر الفادحة ، فقد استمرت قواتنا فى الاستبسال والاصرار على التقدم ، واكتساب الأرض ، وتدمير العدو وكان قادتنا كالعادة على رأس القوات •• واستشهد اثنان من قادة ألويتنا المدرعة فى هذا اليوم •

ـ وتقوم خلال هذا اليوم معارك جوية رهيبة تشترك فيها ٦٠ طائرة ميج ٢١ ، مع حوالى ٧٠ ــ ٨٠ طائرة فانتوم وميراج للعـــدو يسقط فيهـــا حـــوالى ١٥ طائرة فانتوم ويسقط لنا ٩ طائرات ميج ٢١ •

وقد تأكـدت القيـادة المصرية فى نهاية اليوم عـدم جدوى الاستمرار فى الهجوم •• كما ان المعلومات توفرت عن تحريك العدو لأغلب احتياطياته فى هذا اليوم فى اتجاه الجبهة المصرية •• وبهذا زال الخطر عن الجبهة السورية •• وهو ما كان التخطيط المصرى يهدف اليه أساسا •

بلغ حجم مجهود العدو الجوى على الجبهة المصرية فى هذا اليوم حوالى ثلاثمائة طلعة خصص منها مائتين وعشرين طلعة /طائرة لمهاجمة وحداتنا المدرعة · شرق القناة ·· كما هاجم مطارات الصالحية ـ طنطا ـ المنصورة ·

ـ بنجاح العدو فى ايقاف هجومنا فى هذا اليوم تمسكت قواتنا بالخطوط الجديدة المكتسبة وتم سحب وحداتنا المدرعة مرة أخرى الى داخل رءوس الشواطىء لاعادة التجميع ·

نظرا للخسائر الكبيرة فى الجانبين نتيجة معركة الدبابات الرهيبة ؛ وبالنسبة للامداد العاجل الأمريكى للجانب الاسرائيلى ؛ وتأخر الامداد لمصر وصغر حجمه ؛ فقد انتقلت المبادأة فى نهاية هذا اليوم بصورة مؤقتة للجانب الأمريكى ـ أقصد ·· الاسرائيلى ·· !

ـ واعتبارا من ليلة ١٦/١٥ أكتوبر بدأت اسرائيل تنفيذ ممارسة المبادأة أو العمل الهجومى ·· بدفع عناصر ـ ومفارز للضفة الغربية لقناة السويس ·· مع التركيز الرهيب بكل امكانيات اسرائيل على فرقة واحدة فقط ، هى الفرقة ١٦ المشاة ·· لازالتها وتدميرها ·· لتأمين عملية عبور قناة السويس من الشرق للغرب ··

فقد قررت اسرائيل تنفيذ الثغرة مهما كلفتها من تضحيات ، لأنها الجزء الباقى لها لمحاولة استعادة هيبتها اعلاميا ونفسيا ·· !

الفصل الخامس

معركة الدبابات الرهيبة ..!

زاد حشد اسرائيل فى سيناء .. بعد تخفيف ضغطه عن سوريا وبدأ فى الاستعداد للتسلل الى الضفة الغربية لقناة السويس .

وركز هجماته المضادة على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ المشاة لازاحتها شمالا فى اتجاه الاسماعيلية .. ودارت معارك رهيبة للدبابات .

ويسبق التسلل مجموعات استطلاع .. وتخريب صغيرة للعدو دفعها فى قوارب مطاط وبطاريات الهيلوكبتر ثم تسلل خلفهم فى الظلام مجموعة قتال اسرائيلية صغيرة عبرت القناة فى منطقة الدفرزوار شمال البحيرات المرة .

ويبدأ المهندسون الاسرائيليون فى فتح الثغرات فى الساتر الترابى على الضفة الغربية تحت ستر نيران الطيران والمدفعية .

التمسك برءوس الكبارى ·· والتسلل الاسرائيلى

عمليات يوم ١٥ أكتوبر :

زاد حشـــد العدو فى سيناء ·· ودفع خلال ليلة ١٤/١٥ على المحور الأوسط الى منطقة الطاسة اللواء المدرع رقم ٤٢١ ولواء مظلات محمول على عربات مدرعة بر مائية م ١١٣ ··

أتم العدو استعواض خسائره من المعدات والذخائر خلال يوم ١٥ أكتوبر وقام بأعمال صيانة واصلاح لمعداته بعد المعركة الرهيبة للدبابات وبدأ فى اعادة تجميع قواته ·· ودفع خلال اليوم بعض معدات العبور على المحور الأوسط ·

ركز العدو هجماته المضادة اعتبارا من صباح اليوم على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ المشاة المصرية شرق القناة ·· وأعاد احتلال نقطته القوية « تل ســـلام » التى كان قد هجرها ·· ثم احتل النقطتين

القويتين فى الدفرزوار شرق القناة .. والتى دمرتها قواتنا قبل اخلائها .. وتمت الهجمات المضادة كالآتى :

هاجمت كتيبة دبابات اسرائيلية (أكثر من ثلاثين دبابة) كتيبة مشاة بقيادة المقدم البطل احمد اسماعيل ـ الذى ظل يصد هجمات مضادة متلاحقة لمدة ٩ أيام متصلة وقد صد الهجوم المضاد بعد أن دمر للعدو أكثر من ١٠ دبابات .

ـ ويشغل العدو قواتنا شرق القناة ويجيدها بهجمات مضادة قتالية فى مجموعات سرايا دبابات مدعمة بالمشاة الميكانيكية على طول المواجهة مع تدعيمها بنيران مدفعية وطيران .. ويمكن صد جميع هذه الهجمات وتدمير أعداد منها .

فيستمر العدو فى التركيز ـ بمدفعيته وطيرانه طول اليوم لاجهاد قواتنا فى الضفة الشرقية .. ويحاول مهاجمة بعض مطاراتنا ـ وراداراتنا ـ ويهاجم مدينة بور سعيد جوا .

واعتبارا من الساعة العاشرة مساء يوم ١٥ أكتوبر يركز العدو هجماته المضادة على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ المشاة لازاحتها شمالا فى اتجاه الاسماعيلية ويرتكز فى هجومه على النقطة القوية « تل سلام » وتتحرك أرتال مدرعاته للحشد فى المنطقة طوال الليل .. وتلاحقها نيران المدفعية المصرية .

ـ وتتسلل مجموعة قتال اسرائيلية صغيرة فى ظلام الليل تحت ستر أعمال قتال القوات الاسرائيلية مع الفرقة ١٦ المشاة وتعبر قناة السويس فى منطقة شمال البحيرات المرة والدفرزوار بالتسلسل الآتى :

أ ـ تم دفع أفراد ومجموعات متسللين ومخربين بطائرات

الهليوكبتر اعتبارا من يوم ٨ أكتوبر ٧٣ عندما بدأت القيادة الاسرائيلية تستعيد توازنها ٠

٢ ـ تم دفع مجموعات استطلاع فى قوارب مطاط فى الليلة السابقة للهجوم ٠

٣ ـ تم ابرار سريتى مظلات محملة على طائرات هيليوكوبتر ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ٠

٤ ـ تم عبور سرية مظلات محملة على عربات مدرعة برمائية م ١١٣ عند اتصال البحيرات المرة مع قناة السويس ثم عبور ٥ دبابات من اللواء ٤٢١ المدرع الاسرائيلى ٠

٥ ـ تحت حماية وستر مجموعة التسلل بدأ المهندسون الاسرائيليون فى فتح الثغرات فى الساتر الترابى على الضفة الغربية للقناة ٠٠ والشرقية فى مكان متوسط بين نقطتى الدفرزوار القويتين ٠

ـ تأخر وصول المعلومات عن ابرار مجموعة التسلل الى القيادة المصرية ٠٠ ولم يتم التأكد منها الا صباح يوم ١٦ أكتوبر ٧٣ فبدأت المدفعية المصرية فى قصفها ٠ كما بدأت هجمات مدرعة محدودة تمكن العدو من صدها ٠

عمليات يوم ١٦ أكتوبر :

ركز العدو هجماته المضادة لليوم الثانى ضد الفرقة ١٦ المشاة مع شغل باقى قواتنا شرق القناة وتثبيت القوات الاسرائيلية على الجبهة السورية مع الاستمرار فى الاحتفاظ بالخطوط المكتسبة ٠

ـ ويصل حجم المجهود الجوى الاسرائيلى فى قطاع الفرقة ١٦ المشاة فى هذا اليوم حوالى ١٣٠ طلعة /طائرة ويستمر الدعم الأمريكى

وتتم القوات الاسرائيلية خلال هذا اليوم استعواض خسائرها وتقوم حوالى ٨٠ دبابة من اللواء ١٤ المدرع الاسرائيلى مدعمة بالمشـــاة الميكانيكية بعد قصف طويل بالمدفعية والطيران بالهجوم على لواء مشاة من الفرقة ١٦ ويمكن للعدو بعد معارك مريرة وخسائر فادحة فى دباباته من ازاحة اللواء المصرى شمالا ٠

ـ وتبدأ مجموعة التســلل الاسرائيلية مهاجمة بعض قواعد الصــواريخ أرض / جو غرب القناة من أول ضــوء يوم ١٦ أكتوبر لفتح ثغرة فى دفاعنا الجوى وفى مهاجمة القواعد الادارية ٠٠ وارباك الخطوط الخلفية لقواتنا حيث تقل كثافة الدفاع ٠

ـ وتحت ستر هذه الأعمال القتالية تبدأ طلائع مجموعة العمليات رقم ٤٥ بقيادة الجنرال اريك شارون المشكلة من :

٣ لواءات مدرعة أرقام ١٤ ، ٦٠٠ ، ٤٢١

لواء مظلى محمول على عربات مدرعة م ١١٣ ٠

ـ وتبدأ هذه المجموعة فى العبور خلف مجموعة التسلل ، على معديات حاملات دبابات برمائية ٠٠ ثم على الكبـــارى التى أمكن للمهندسين الاسرائيليين اقامتها اعتبـارا من ليلة ١٧/١٦ أكتوبر ويستمر عبورها عدة لبال ٠

ـ وتستمر اسرائيل فى شغل كل المواجهة المصرية شرق القناة مع الضغط بتركيز على الفرقة ١٦ المشاة ٠

ـ وفى ليلة ١٧/١٦ يحاول تشكيل بحرى اسرائيلى بالتعاون مع طائراته الهليوكبتر مهاجمة قاعدة فنية لنا على الساحل الشمالى ولكنه يقع فى كمين بحرى لقواتنا يغرق له قطعتين ٠٠ ويفر باقى التشكيل فى منتصف الليل دون أن يحقق مهمته ٠

ويصل حجم الدبابت القائمة بالهجوم المضاد على الفرقة ١٦ المشاة فى نهاية هـــذا اليوم مائة وعشر دبابات مدعمة بالمشـــاة الميكانيكية ، وتسترها الصـــواريخ « اس/اس/١١ » والمدفعية ، ويعاونها الطيران ‥ ويتبادل الطرفان الهجمات المضادة ـ ويتقاذفان قرية الجلاء على الضفة الشرقية والتى بنيناها ســـنة ١٩٦٦ لتعمير سيناء فتشاهد القرية الخالية علو وانحسار موجة الهجمات المضادة الاسرائيلية فى هذا اليوم عدة مرات ․

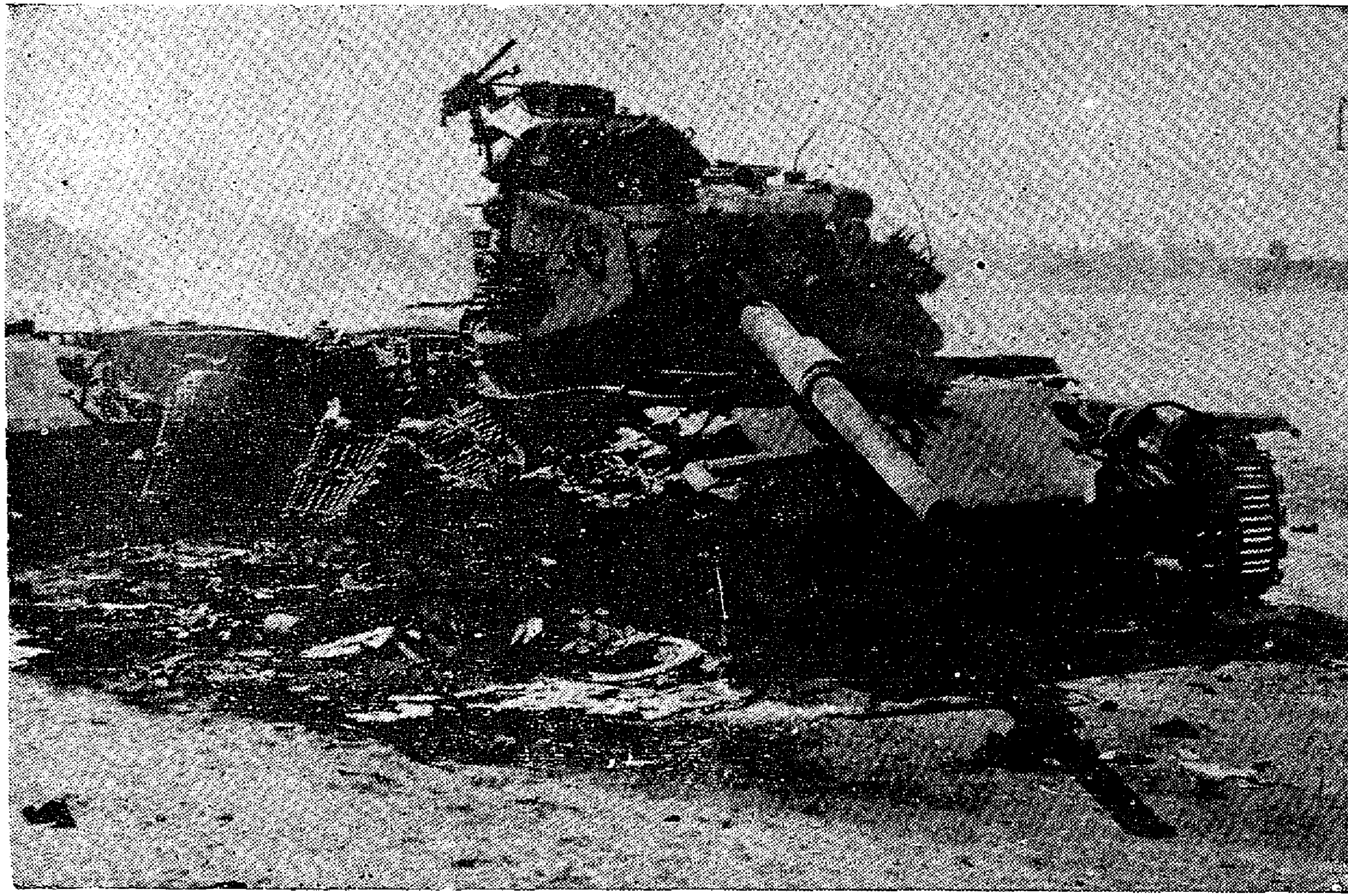
ـ ويدمر للعدو فى هذا المكان وفى هذا اليوم :

(٢٧) سبع وعشرون دبابة وثمانى طائرات ‥

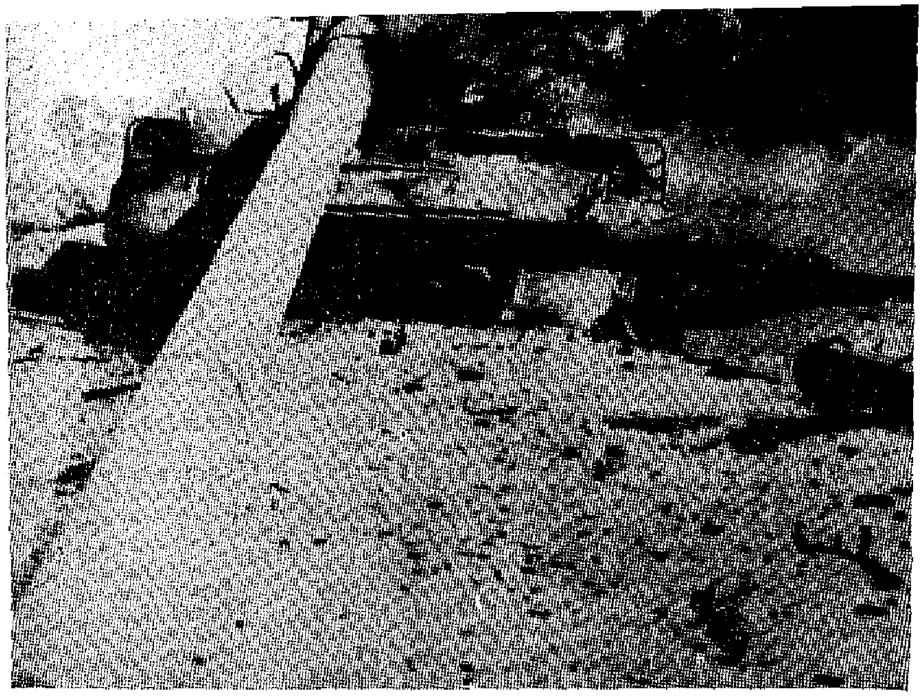
ـ وتخفق الهجمات المضادة للعدو الاسرائيلى ولكنه يستمر فى الضغط متقبلا الخسائر لأن الاخفاق معناه ضـياع عملية التســـلل بكاملها ‥ فتســـتمر مدفعيته ويســـتمر طيرانه ‥ طوال الليل فى قصف الفرقة ١٦ المشاة ، ويستمر اللواء ٤٢١ المدرع الاسرائيلى فى التدفق ‥ والعبور غربا ․



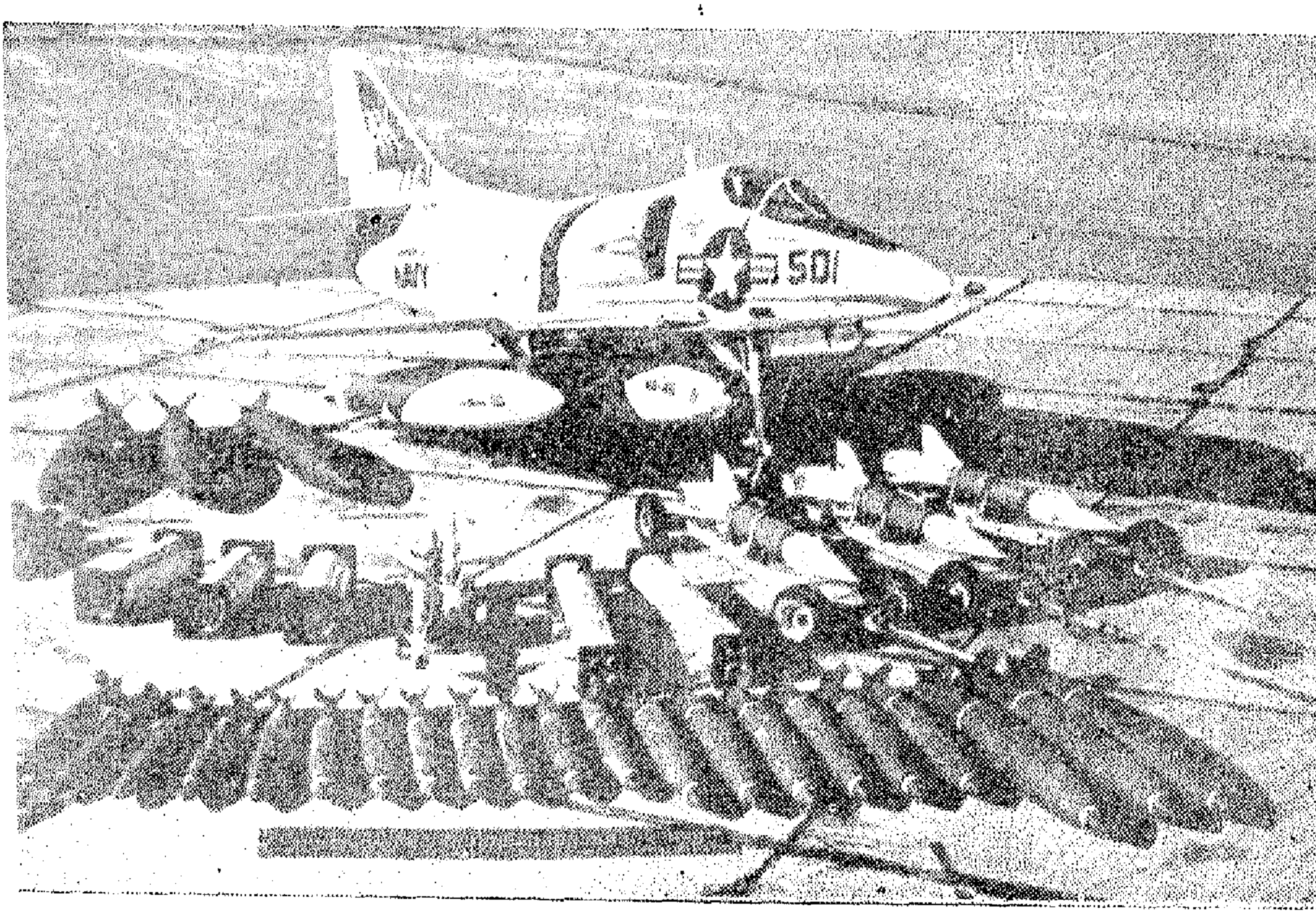
دبابة باتون أمريكية .. نقلت جوا الى العريش .. وتحطمت وعداد الكيلو يشير الى ٢٠٠



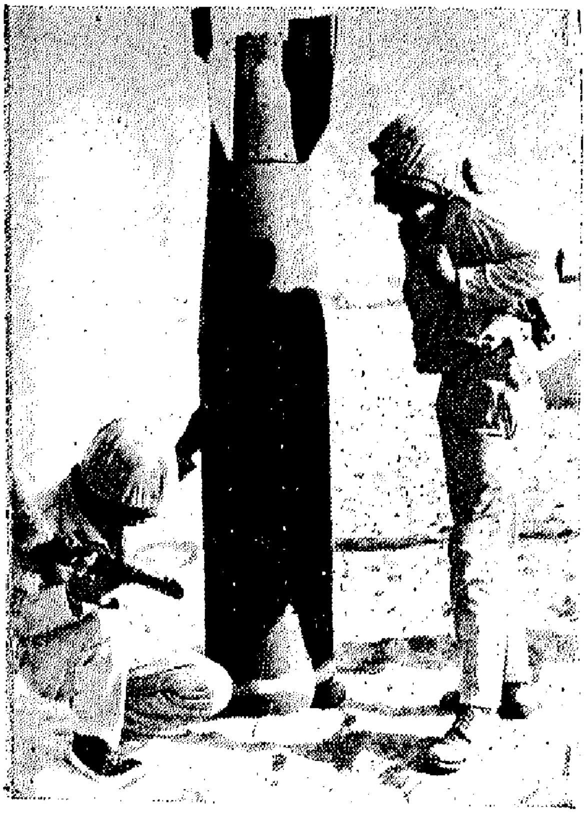
دبابة اسرائيلية ‥ تحطمت فى الثغرة غرب القناة



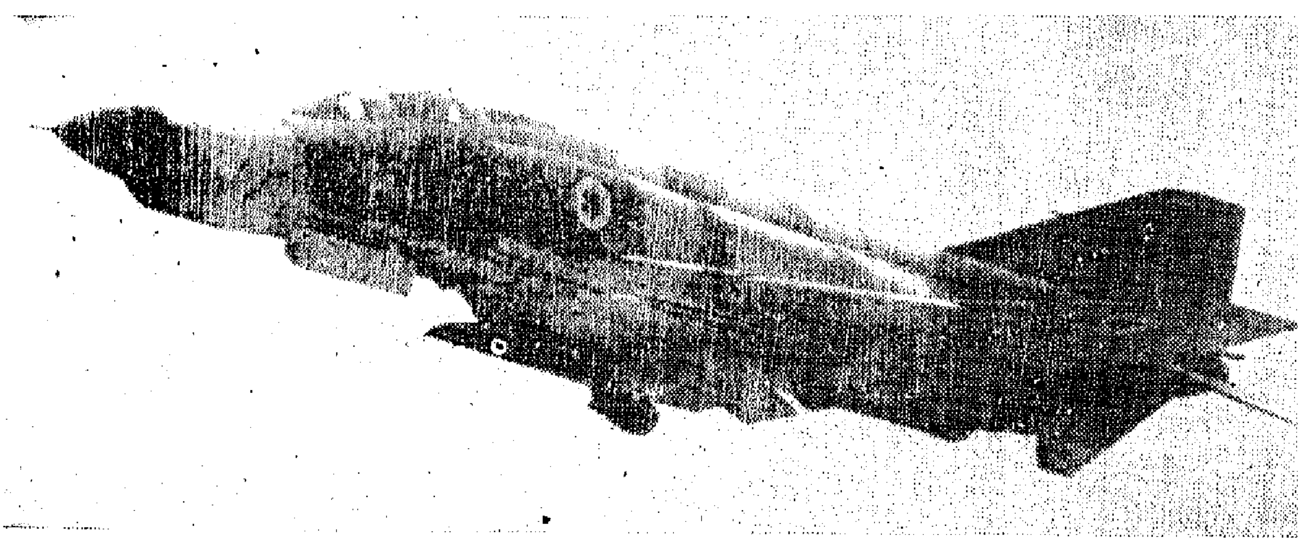
أحدث المدافع الأمريكية عيار ١٧٥ مم - ذاتي الحركة مثل الدبابة - يمكنه اطلاق ذخيرة ذرية - مداه ٣٢ كم - لماذا يشتعل ..؟



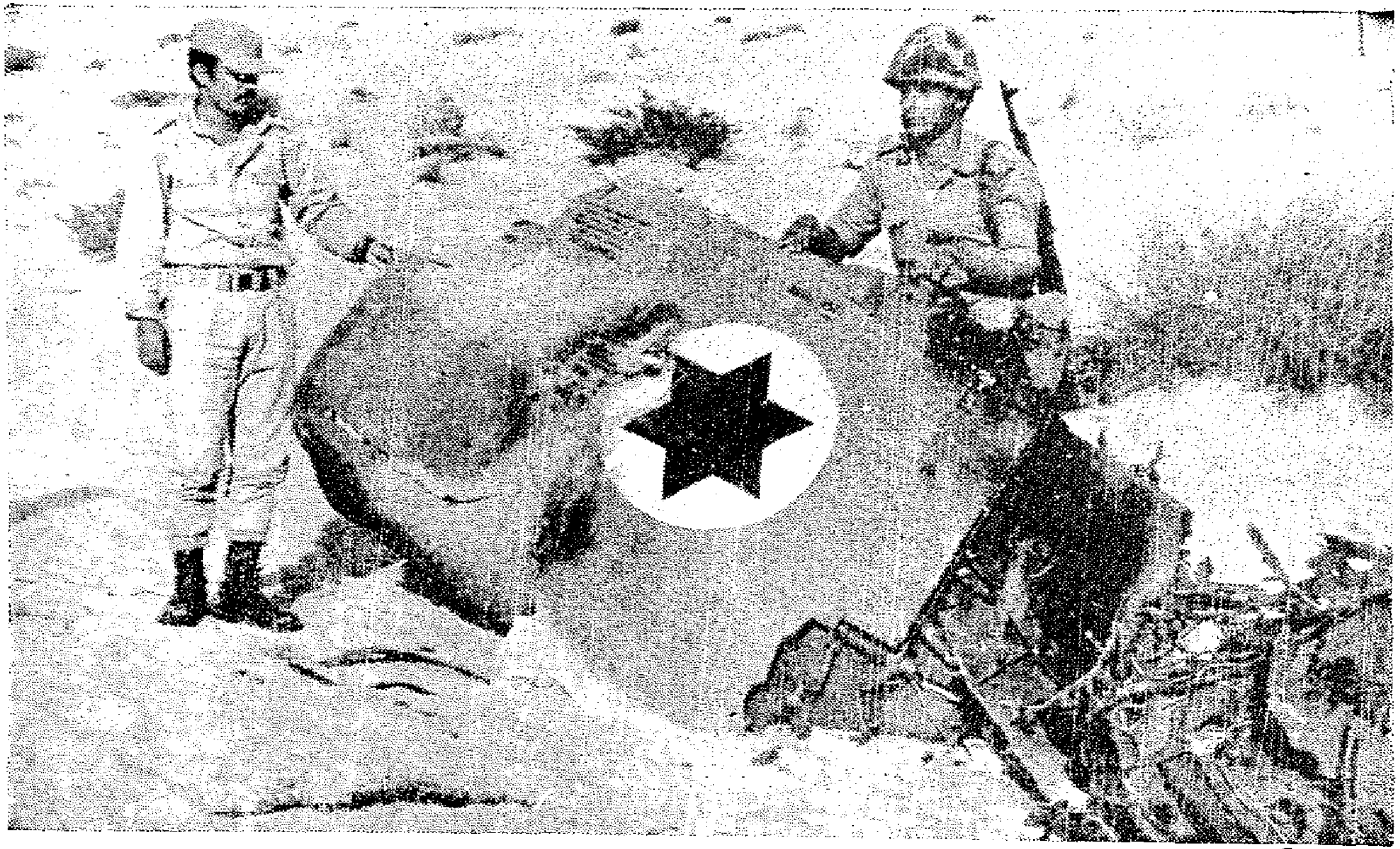
اسكاى هوك - طائرة أمريكية قاذفة هجوم أرض - أقصى سرعة ١٠٩٦ كم/ساعة تحمل ١٨ قنبلة زنة ٢٥٠ رطلا أو صواريخ جو/ارض



القت الطائرات الاسرائيلية قنابل من مختلف الأنواع على قواتنا .. ولم تنفجر



الطائرة الفانتوم الأمريكية ـ طائرة قاذفة مقاتلة لجميع الأجواء ـ أقصى سرعة ٢٥٠٠ كم/الساعة ـ أقصى مدى لعملهـــا ١٦٠٠ كم تحمل ٢٤ قنبلة زنة ٢٥٠ رطلا ـ صواريخ جو/جو ـ صواريخ جو/أرض



وأسقط طيارونا الأبطال .. ورجال دفاعنا الجوى نجمة داود الى الأرض .

الباب الثامن

... الثغرة

أو التسلل الإسرائيلي غرب القناة

الفصل الأول

الوكالات : المصريون يحاربون ٠٠
الجهاز العسكرى الأمريكى

وتصل لاسرائيل أعداد كبيرة من العتاد الأمريكى
وتكشف وكالات الأنباء الأمريكية من واشنطن عن اسرار
السلاح الأمريكى الجديد لاسرائيل فتقول :

ان أمريكا سلمت اسرائيل بعض الأسلحة والمعدات
الألكترونية على جانب كبير من السرية ، لم تسلمها
لأية دولة من دول حلف شمال الأطلنطى ٠

وتقول الوكالات ان معنى هذا أن القوات المصرية تحارب
بالفعل الجهاز العسكرى الأمريكى ٠

وتقول الوكالات ان خسائر اسرائيل بلغت حدا يفوق
بكثير ما ذكرته اسرائيل ، وذكرته التقديرات الأمريكية
وبرغم ذلك يستمر العدو فى دعم قواته ٠٠ فى الثغرة
ومع صباح يوم ١٧ اكتوبر يكون للعدو غرب القناة
كتيبتا دبابات من اللواء ٤٢١ المدرع وكتيبتان مظلات
محمولة على عربات مدرعة م ١١٣ برمائية ٠٠

عمليات يوم ١٧ أكتوبر :

.. وتتوالى الأحداث الساخنة .. ويستمر هجوم العدو بكل امكانياته لانجاح خطته .. وتدور معارك رهيبة .. لم تشهد سيناء لها مثيلا من قبل .. !

ـ يستمر العدو في تركيز هجماته المضادة على الفرقة ١٦ المشاة هجمات ليلية ونهارية .. ويحشد لذلك حوالى ٢٥٠ دبابة مركزا مجهوده الرئيسى على الجانب الأيمن ..

ـ فيهاجم اللواء ١٤ المدرع الاسرائيلى عدا كتيبة الساعة الثانية ليلا يوم ١٧ أكتوبر لواء عبد الحميد المشـــاة ولواء شفيق المشـــاة لاختراقهم والوصول الى كتيبة دبابات اسرائيلية محاصرة داخل رأس كوبرى الفرقة .. ويخفق الهجوم المضاد ويضطر الى سحب هذا اللواء بعيدا جنوب تل سلام بحوالى ٦ كم لاستعواض خسائره ..

ـ ومن أول ضوء يبدأ قصف المدفعية والطيران على الفرقة ويبدأ

فى مهاجمة الفرقة ١٦ المشــاة من الساعة السادسة صباحا بقوات جديدة (طازجة) .

حوالى ٤٠ دبابة من اللواء ٤٦٠ المدرع الاسرائيلى تهجم فى الفاصل بين لواء عبد الحميد ، ولواء شفيق المشاة .

ثم يهجم بحوالى مائة دبابة من اللواء ٦٠٠ الاسرائيلى مدعمة بالمشــاة الميكانيكية بجوار القنــاة من اتجاه الدفرزوار فى اتجــاه الشمال ..

وينجح بعد معارك رهيبة ، وخسائر فادحة فى تحقيق الاتصال بكتيبة دبابات اللواء ١٤ المدرع الاسرائيلى المحاصرة وفى ازاحة الفرقة ١٦ المشاة شمالا ٤ كيلومترات وفى تأمين جزء من الساتر الترابى على الضفة الشرقية ، ويتمسك العدو به لتأمين عبــور المجموعة ٤٥ قتال الى الضفة الغربية ..

ـ ومع صباح يوم ١٧ أكتوبر الساعة العاشرة صباحا يكون للعدو غرب القناة : كتيبتا دبابات من اللواء ٤٢١ المدرع .

كتيبتا مظلات محمولة على عربات مدرعة م ١١٣ برمائية .

ـ ويستمر تركيز المجهود الجوى المعادى على الفرقة ١٦ المشاة ويصل حجم المجهود الجوى على القطاع الأوسط ١٣٨ طلعة / طائرة . ويهاجم العدو جوا مطار القطامية قرب السويس .. محاولا منع قواتنا الجوية من استخدامه .

ـ ويصرح مراسل صحفى من اسرائيل « كانت الخسائر كبيرة ولم يحدث قط أن فقد الجيش الاسرائيلى مثل هذه الأعداد من القتلى والجرحى .. وطوال الساعات الرهيبة كان القسم الطبى الاسرائيلى يعمل بدون توقف وبأكثر من طاقته وكان الأطبــاء العســكريون يقومون بالعمليات الجراحية الدقيقة على ضوء البطاريات الكهربية

وهناك عشرات من الجرحى يدينون بحياتهم الى عمليات الاخلاء السريعة بالهليكوبتر وكافة الوسائل ·· »

وتذيع الأسوشييتدبرس من واشنطن :

ــ صرح مصدر مطلع بريطاني في وزارة الدفاع بانه قد وصل الى اسرائيل أعداد كبيرة من القوات الأمريكية خلال الأسبوع الماضي وهم مشتركون حاليا في القتال ·· وان أمريكا سلمت اسرائيل أخيرا بعض الأسلحة والمعدات الالكترونية على جانب كبير من السرية ·· لم تسلمها الى أية دولة من حلف الأطلنطي ·

ــ وان معنى هذا أن القوات المصرية تحارب بالفعل الجهاز العسكرى الأمريكي وأن خسائر اسرائيل بلغت حدا يفوق بكثير ماذكرته اسرائيل ·· وذكرته التقديرات الأمريكية ·

ــ ويتم الامداد الأمريكي جوا بطائرات جالاكس الأمريكية الضخمة جدا لتحميل المعدات الثقيلة ·/· وتستقبل الموانى الاسرائيلية سفنا أمريكية ·· واسرائيلية ــ مايعوضها ويزيد على خسائرها في المعدات · والدخائر ·

ونجحت الثغرة :

ــ وبرغم أن اسرائيل دفعت ثمنا فادحا الا أنها استطاعت ان تحقق خطة التسلل والانتشار غرب قناة السويس ...

اسباب نجاح تسلل اسرائيل غرب القناة :

(أ) اختيار العدو منطقة مفصل الجيش الثاني والجيش الثالث حيث تقل كثافة القوات وارتكازه على البحيرات المرة لتأمين جانبه الأيسر ·

(ب) تحـــديد نقطة عبـــوره فى منطقة الدفرزوار القـــوية ، ومطار الدفرزوار المهجور وكان قد تم اخلاء هذه المنطقة تقريبا فى أثناء اعـــادة التجميع عدا بعض الوحدات الاداريـــة وبعض قواعد الصواريخ وعناصر خفيفة للتأمين .

(جـ) نجاحه فى تدمير بعض قواعد الصواريخ وبالتالى امكنه فتح ثغرة فى دفاعنا الجوى تنفذ منها طائراته .

(د) تأخر وصـــول المعلومات التى وردت عن عبور مجمـــوعة عمليات التســـلل الصغيرة . وبالتالى عدم اتخـــاذ اجراءات كافية لتدميرها فى المراحل الأولى .

(هـ) صعوبة عمل عناصر الاستطلاع فى منطقة التســـلل وعدم امكانها متابعة عملية العبور الاسرائيلى .. والانتشـــار غربا نظرا لطبيعة المنطقة .

(و) ضعف الهجمات المضادة ، وقصفات نيران المدفعية التى وجهت ضـــد مجمـــوعة التســـلل فى البـــداية أدى الى نجاحهـــا واستمرارها .

— وفى هـــذا اليوم ١٧ أكتوبر تولى اللواء عبد المنعم خليل قيادة الجيش الثانى الميدانى بدلا من اللواء ســـعد الدين مأمـــون لمرضه .

راس كوبرى اسرائيل

عمليات يوم ١٨ أكتوبر :

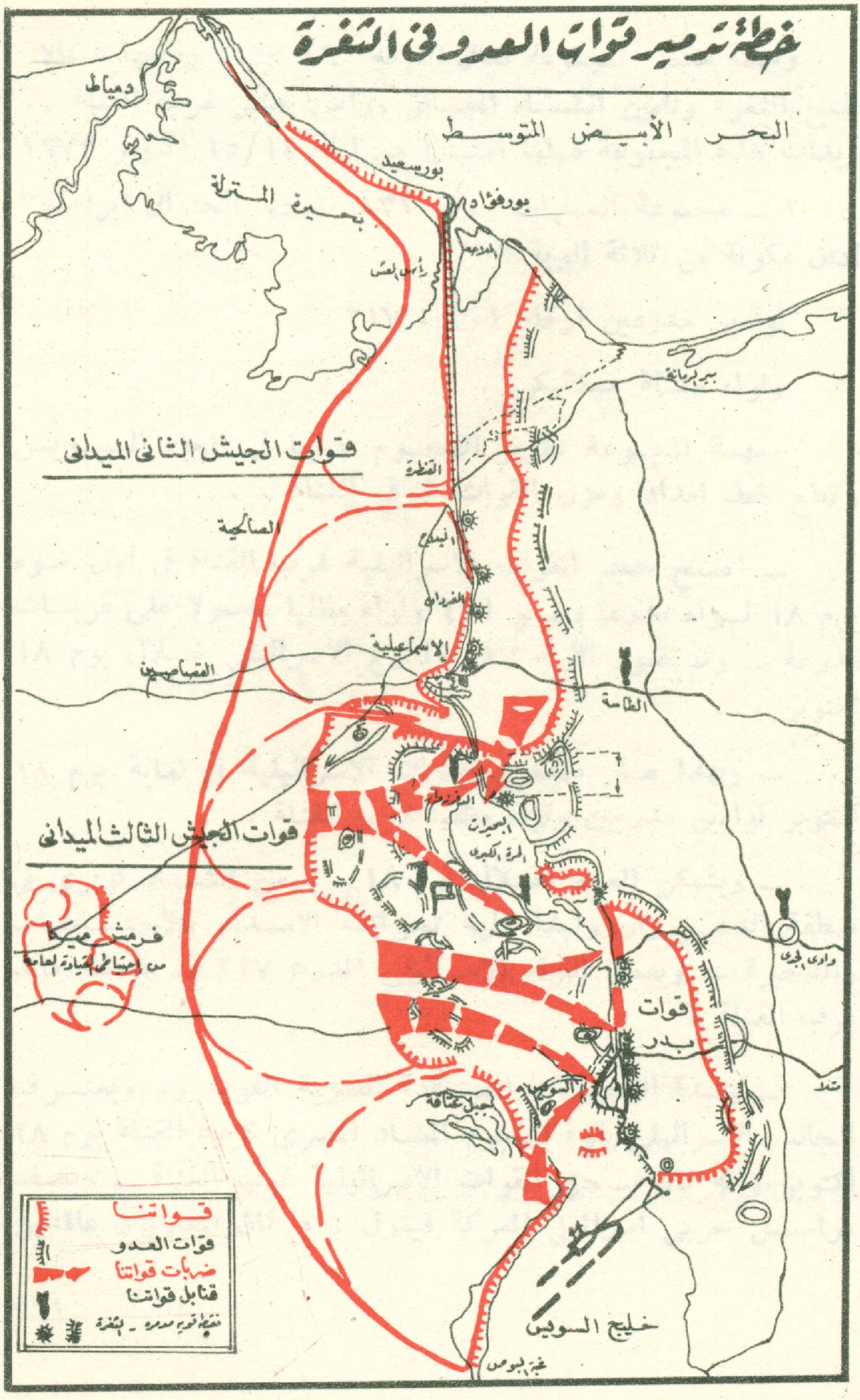
استمر الضغط على الفرقة ١٦ المشــاة شرق القناة طوال هذا اليوم بالهجمات المضادة ـ بضربات الطيران والمدفعيــة .. مع استمرار العبور غربا لانشاء رأس جسر اسرائيلى غرب القناة .

ـ وشكل العدو مجموعة عمليات رقم ٢٥٢ بقيادة الجنرال كالمان ماجن الذى حل مكان جنرال ماندلر بعد مقتله ـ وتكونت المجموعة من خمسة لواءات :

منها لواءان مدرعان (٧ ـ ٥٠٠) ولواءان مشاة ميكانيكى، ولواء مشاه عادي ومهمة هذه المجموعة هي تثبيت القوات المصرية فى رءوس كبارى الفرق والقيام بالهجمات المضادة عليها .

ـ وشكل العدو مجموعتى عمليات أخرى لمصلحة فتح الثغرة فى الدفاع وانشاء رأس كوبرى غرب القناة وتطوير الهجوم منه غربا .. وهى :

١ ـ مجمــوعة العمليات رقم ٤٥ بقيــادة الجنــرال اريل شــارون ومكونة من ثلاثة ألوية مدرعة أرقام ١٤ ـ ٦٠٠ ـ ٤٢١ ولواء مظلى محمول على مركبات مدرعة برمائية م ١١٣ .



خطة تدمير قوات العدو في الثغرة
البحر الأبيض المتوسط
دمياط
بورسعيد
بورفؤاد
بحيرة المنزلة
قوات الجيش الثاني الميداني
القنطرة
الصالحية
الإسماعيلية
القصاصين
الطاسة
قوات الجيش الثالث الميداني
قوات
بدر
خليج السويس
قواتنا
قوات العدو
ضربات قواتنا
قنابل قواتنا

ومهمة هذه المجموعة قتال الفرقة ١٦ المشاة ودفعها شمالا لفتح الثغرة وتأمين انشاء المعابر ورأس جسر غرب القناة .. وبدأت هذه المجموعة عملها اعتبارا من ليلة ١٤/١٥ اكتوبر ١٩٧٣

٢ ـ مجموعة العمليات رقم ١٣١ بقيادة الجنرال ابراهام آدان مكونة من ثلاثة ألوية :

لواءين مدرعين أرقام ٤٠١ ، ٢١٧

ولواء مشاة ميكانيكى .

ومهمة المجموعة تطوير الهجوم جنوبا فى اتجاه السويس وقطع خط امداد وعزل القوات شرق القناة .

ـ اصبح حجم القوات الاسرائيلية غرب القناة فى أول ضوء يوم ١٨ لواء مدرعا رقم ٤٢١ ولواء مظليا محمولا على عربات مدرعة ـ وتم عبور اللواء ٢١٧ المدرع الاسرائيلى خلال يوم ١٨ أكتوبر ...

ـ وبهذا صار مجموع القوات الاسرائيلية فى نهاية يوم ١٨ أكتوبر لواءين مدرعين ولواء مظليا غرب القناة .

ـ ويتمكن العدو خلال يوم ١٨/١٠ من انشاء كوبرى فى منطقة الدفرزوار وتبدأ عليه تحركات الامداد بالاحتياطيات والذخيرة ـ ويعمل اللواء الاسرائيلى المدرع ٢١٧ فى منطقة فايد غرب القناة .

ـ وتبدأ الهجمات المضادة المصرية القوية .. ويعترف الجانب الاسرائيلى بقوة الهجوم المضاد المصرى غرب القناة يوم ١٨ اكتوبر وانه كاد يسحق القوات الاسرائيلية غرب القناة ـ ويصف مراسل حربى اسرائيلى المعركة فيقول : « كان المصريون عاقدين

العزم فى اصرار على تصفية راس الجسر غرب القناة .. وكانت الصواريخ والقنابل والنابالم تنهال علينا ــ وكان أفضل شيء أن يظل الانسان فى مخبئه .. ويصلى ... » .

ــ ويعمل العدو بأسلوب الانتشـــار بسرايا مختلطة دبابات ومشاة ميكانيكية ــ تحدد لها أهداف ضعيفة .. فتقترب منهـا متجنبة المقاومات .. مهاجمة الوحدات الادارية . وقواعد الصواريخ . وتحاول التمسك بمفارق الطرق والهيئات الحيوية .

عمليات يومى ١٩ ، ٢٠ أكتوبر :

ويستمر ضغط العدو بحوالى مائة وخمسـين دبابة من اللواء ٦٠٠ واللواء ١٤ المدرع على الفرقة ١٦ المشاة ليؤمن المعابر التى انشأها فى منطقة الدفرزوار .

ويتابع العدو تدفقه عبر القناة . ويزداد حجم العـــدو غرب القناة .

ففى صـــباح ١٩ أكتوبر يصـبح له ٣ ألوية مدرعة ــ لواء مشاة ميكانيكى ــ لواء مظلى .

وفى صـــباح ٢٠ أكتوبر يصبح له ٤ ألوية مدرعة بدلا من ثلاثة .

ــ ويركز العدو هجماته الجوية لمعاونة اعمال قتال قــواته البرية غرب القناة .

على حين توالى قواتنا الجوية ــ ومدفعيتنا ضرب القــوات الاسرائيلية غرب القناة ..

وتستمر الهجمات المضادة المصرية عليها تلاحقهـا وتندفع مجموعات الصاعقة والمظلات المصرية داخل منطقة انتشار القوات الاسرائيلية تتصـيدها .. ويتكبد العـدو خسـائر رهيبـة .. رهيبة .. !

ـ ويتم تدمير المعديات .. ويدمر له الجسر عدة مرات ولكن العدو يتحمل هذه الخسـائر فى مقابل اثبات وجوده فى الضـفة الغربية حفاظا على الروح المعنوية داخـل قواته المسـلحة وكحركة اعلامية .. وكوسـيلة يضـغط بها فى المفاوضـات السياسـية القادمة .

الفرقة البطلة ١٦ المشاة :

وتصمد الفرقة ١٦ المشاة لكل هجمـات دبابات العدو .. ومدفعيته وطيرانه .. ويستولى العدو على بعض الهيئات الحيوية فى الضفة الغربية ويطلق النيران من الخلف عليها .. ولا تستسلم .. أو تتراجع .. بل يقاتل رجالها بشراسة رتبقى حتى النهاية شوكة ورأس حربة موجهة لتدمير قوات العدو شرق القنـاة .. وتتوالى البطولات ..

ـ يقوم جنود عديدون بجمع كرات لم تنفجر (قنابل البلى) الشديدة الانفجار والقائها بعيدا عن أماكنهم . ولايهجرون مدافعهم خوفا من انفجارها الزمنى .

ـ ويسقط المقاتل محمود جلال طائرة اسكاى هوك بصاروخ صغير من الكتف سام ٧ .

ـ ويهاجم الشـهيد عبد الونيس مرابض ٣ دبابات للعـدو بقنبلة يدوية مضادة للدبابات فيدمر واحـدة .. ويستشهد من الثانية .

ــ ويصاب بعض من الضباط والجنود .. ويرفضون الاخلاء او ترك المعركة كثيرون ــ عبد الله فحيل ــ الملازم فتحى اسماعيل .. وكثيرون غيرهما .

ــ وتتحرك عربات الامــداد الادارى للواء النصر ليــلا .. وتدخل خطأ فى حقل الغام مضادة للدبابات للفرقة الثانية المشاة ... وتحدث المعجزة ولا تنفجر فيها الألغــام ، ويتمكنون فى أول ضوء من سحب عرباتهم بعيدا عن الألغام ..

الفصل الثانى

داورية الفجر
وفطور شهى لفصيلة مصرية ٠٠ !

لقى العدو مقاومة عنيفة وضارية ٠ وسقط لنا شهداء ٠٠ وينتقم العدو من الفلاحين والمدنيين على الضفة الغربية ـ يجمعهم كأسرى ، ليساوم بهم على طيارى الفانتوم الأسرى عندنا ٠٠

وكان العدو يترك دباباته ليلا ولا يعود اليها الا مع ضوء النهار خوفا من العمليات ضده ٠٠ وبعد منتصف احدى الليالى يشاهد اثنان من رجالنا ٣ دبابات وعربة مجنزرة ـ يخرجان لها فى اول ضوء ٠٠ ويجمعان فى بطانية كل ما بداخلها من اسلحة ـ ووثائق ـ وسجاير ومعلبات ـ ثم يتلفون كل ما بداخل الدبابة ٠٠ ويخرجان وهما يهرجان ويضحكان ـ ويفر من امامهما جنود العدو ٠٠

وعاد سمير وعمر ، ليقدما للفصيلة مصرية وجبة افطار شهية على حساب كوهين ٠٠

ـ لم تهـدأ قوات العدو فى الضفة الغربية لحظة واحـدة ـ لقد لاقى العدو مقاومات عنيفة ودمرت له العديد من المعدات وقتل له الكثير فقد كانت عمليته ارتجالية .. ولم تكن ثمرة تفكير واع عميق ..

وتتجلى بطولات مجموعات فدائية عديدة بقيت داخل رأس جسر العـــدو .. ولم يكتشفها أو يدمرها ... وأعلن عن الكثير منها بعد انسحاب اسرائيل من المنطقة .. واستشهد لنا أبطال وعلى رأسهم أخى البطل الشهيد / العميد ابراهيم الرفاعى بطل الصاعقة فى بور سعيد ١٩٥٦ ـ فى عمليات الاستنزاف فى معركة أكتوبر ١٩٧٣ .

ويصف الجنرال الاسرائيـلى ابراهام آدان قائـد مجمـوعة العمليات رقم ١٣١ غرب القناة خسائرهم « على أحـــد التـــلال الصغيرة رب القنـــاة شاهدت العديد من نقالات الجرحى والقتلى وكان الانســـان اذا مارفع الغطـــاء يرى أحـــذية حمراء وخضراء

وسوداء وفى الطرف الآخر من النقالة شعور شقراء أو شهباء أو سوداء وكنت أشعر بخوف مميت من أن ارفع هذه الأغطية فقد كان تحت كل منها صديق لى » .

ـ وينتقم العدو من الفلاحين والمدنيين ويجمعهم كأسرى ويساوم بهم بدل طيارى الفانتوم الأسرى .. ويكسر أشجار المانجو والفواكه ، ويرش مواده الكيماوية لازالة الأشجار .

عمليات يوم ٢١ ، ٢٢ أكتوبر :

يستمر العدو فى محاولة أزالة راس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة وتتوالى هجماته المضادة وضرب مدفعيته وطيرانه ـ ويركز العدو هجماته المضادة شرق القناة لاسترداد نقطه القوية فى الطالية والنقطة ٥٧ ولكنه يخفق وتزداد خسائره .

معركة الطالية الثالثة :

١ ـ يهاجم العدو بعد تمهيد نيرانى عنيف بنيران المدفعية والطيران لفترة طويلة بقوة كبيرة من الدبابات من الجانب الأيمن للفرقة ١٦ المشاة ... ويصل حجم العدو من هذا الاتجاه حوالى ٦٠/٧٠ دبابة مدعمة بالمشاة الميكانيكية والصواريخ س س ١١ محاولا تصفية رأس الجسر للفرقة ، وتأمين قواته من الغرب والوصول الى مشارف مدينة الاسماعيلية من الشرق .. ويمكن ايقاف العدو بعد تدمير ٥ دبابات وعربة س س ١١ ، فيتمركز على مسافة أكثر من ثلاثة كيلو مترات حتى يكون خارج مدى صواريخنا المضادة الدبابات .

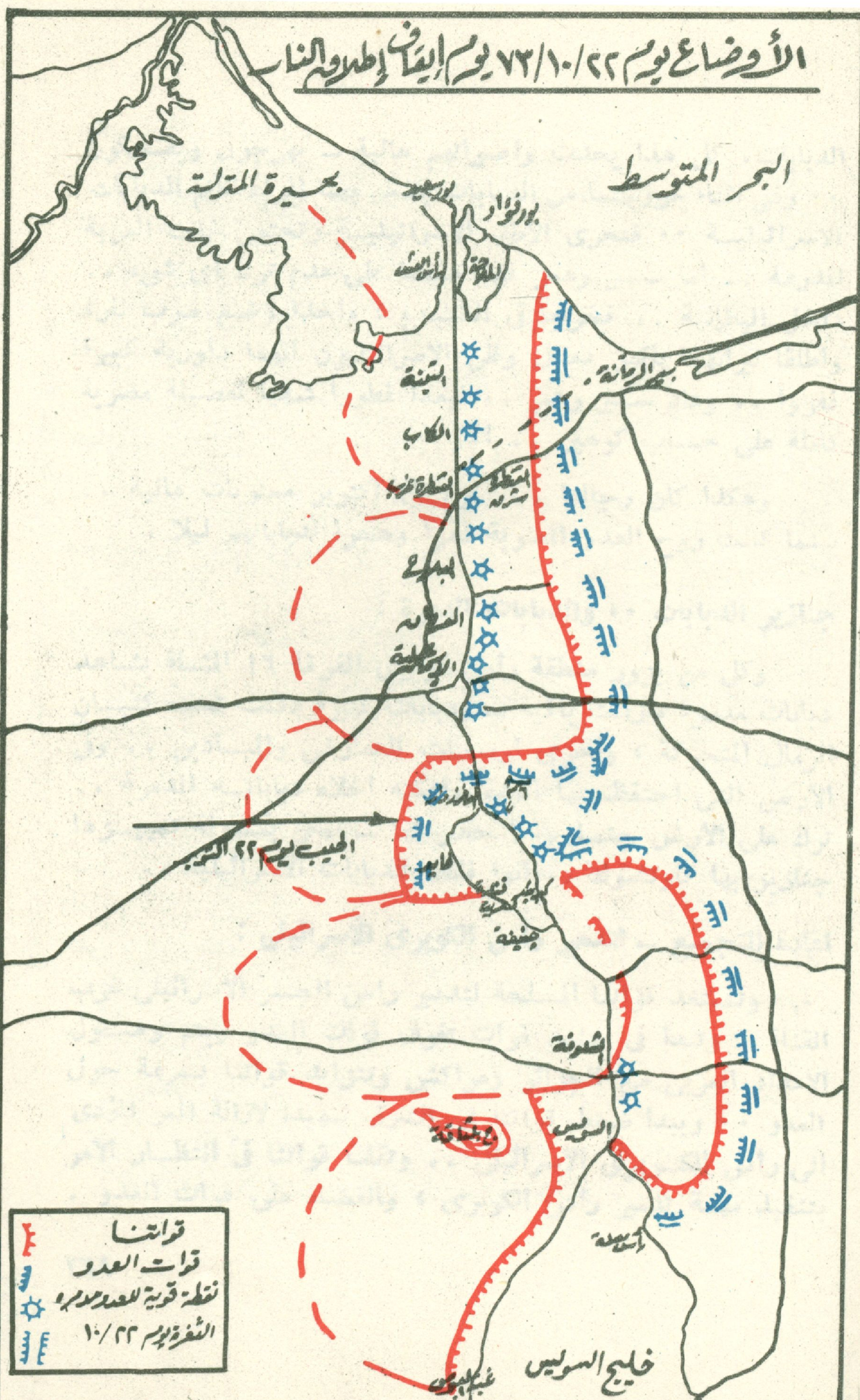
٢ ـ ويلتف العدو بكتيبة دبابات وينجح فى اختراق كتيبة مجاورة للقناة ويندفع بسرعة لمهاجمة نقطة الطالية القوية من

الغرب مع مهاجمتها من الجنوب فى الوقت نفسه .. وتستطيع سرية دبابات للعدو التسلل الى داخل رأس كوبرى الفرقة وتصل الى الطالية من اتجاه الخلف ـ اتجاه اقتراب قواتنا ... ويقوم قائد الكتيبة المشاة فراج .. باطلاق نيران بندقية آلية على سرية الدبابات المعادية ليلفت اليها انتباه قواتنا فتشتبك معها كل الأسلحة المضادة للدبابات وعلى رأسها مركبات الـ بمب المدرعة من مواقع مخفاة . ويتم تدمير سرية دبابات كاملة (١١ دبابة) منها ٣ دبابات تركها العدو سليمة وبعض الأسرى .. وتسرع القوة الرئيسية بالفرار بعيدا بمجرد تدمير سرية الدبابات .. وهكذا كان باستمرار قتال العدو : تجنب المقاومة الجدية والخسائر .

داورية .. الفجر ... !

كانت مقاومتناللعدو الاسرائيلى عنيفة ـ وقد أصيبت قواته بالذعر ـ فكانت تهجر دباباتها ليلا .. ولا تعود لها الا نهارا .. وترك العدو بعض الدبابات المعطلة أمام قواتنا ، وتعود رجالنا الخروج فى دوريات ... الى دبابات العدو .. ينظفونها من أسلحتها ومعداتها ـ وكل ما فيها ـ ثم يعودون ...

ـ وقبل آخر ضوء يوم ١٠/٢١ يشاهد البطلان سمير السلاوى ـ وعمر بيومى وكلاهما دمر عدة دبابات للعدو ومنحا نوط الشجاعة من الدرجة الأولى ـ يشاهدان دبابة سليمة للعدو على خط السماء شرق القناة فى منطقة أبو وقفة .. ويقرران الخروج لها فى أول ضوء ، ويأتى الفجر مع ضباب كثيف .. ويضلان الطريق .. ثم يشاهدأن شبح ٣ دبابات وعربة مجنزرة ويعتقدان انها جميعا معطلة فيدخل كل منهم دبابة ، وفى بطانية يجمع كل منها الأسلحة ، والمعلبات الشهية وحتى جراكن المياه والسجاير والوثائق ـ والخرائط .. ثم يتلفون كل ما بداخل



الأوضاع يوم ٢٢/١٠/٧٣ يوم إيقاف إطلاق النار
البحر المتوسط
بحيرة المنزلة
بورسعيد
بورفؤاد
بير الرمانة
التينة
الكاب
القنطرة غرب
القنطرة شرق
الإسماعيلية
الدفرسوار
الجيب يوم ٢٢ أكتوبر
فايد
جنيفة
الشلوفة
السويس
خليج السويس
قواتنا
قوات العدو
نقطة قوية للعدو مدمرة
الثغرة يوم ٢٢/١٠

الدبابات . كل هذا يحدث واصواتهم عالية ــ يهرجون ويضحكون .. وفى اثناء خروجهما من الدبابات يشعر بهما أفراد أطقم الدبابات الاسرائيليــة .. فتجرى الأطقم الاسرائيليــة وتحتمى خلف العربة المدرعة .. أما سمير وعمر فقد صمما على عدم ترك أى شيء .. داخل البطانية .. فخرجا فى الضباب ، وأخذا وضع ضرب نار، واطلقا نيرانهما بأكبر معدل وظن الاسرائيليون انهما داورية كبيرة ففروا .. وعاد سمير وعمر .. ليعدا فطورا شهيا لفصيلة مصرية كاملة على حســاب كوهين .. !!

وهكذا كان رجالنا ... يوم ٢٢ أكتوبر معنويات عالية .. بينما كانت روح العدو المعنوية ذعرا وهجرا لدباباتهم ليلا .

جنازير الدبابات .. والدبابات المدمرة :

وكل من يزور منطقة رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة يشاهد دبابات مدمرة مازالت باقية ــ ودبابات كثيرة دفنت تحت كثبــان الرمال المتحركة ، وأخرى أرســلت للمعارض والميــادين .. وفى الأرض التى احتفظ بها العدو وأمكنه اخلاء دباباتــه المدمرة .. ترك على الأرض جنــازير لا حصر لها ــ يمكن بسهولة تمييــزها جنازير بها كاوتشوك .. انها فقط للدبابات الاسرائيلية ..

اعادة التجميع ــ لتدمير راس الكوبرى الاسرائيلى :

وتستعد قواتنا المسلحة لتدمير راس الجسر الاسرائيلى غرب القناة ــ وتبدأ فى حشد قوات تفوق قوات العدو ويتم وصــول الامداد العربى من الجزائر ومراكش وتتزايد قواتنا بسرعة حول العدو .. ويبدأ ضغط قواتنا فى الشرق تمهيدا لازالة الممر المؤدى الى راس الكــوبرى الاسرائيلى .. وتقف قواتنا فى انتظــار الأمر بتنفيذ مهمة تدمير رأس الكوبرى ، والقضاء على قوات العدو .

وقف اطلاق النيران :

وتصل حوالى الساعة السادسة والنصف صباحا يوم ٢٢ اكتوبر الى الفرقة ١٦ المشاة أوامر من القائد العام للقوات المسلحة .. « يتم وقف اطلاق النيران في الساعة السادسة واثنين وخمسين دقيقة يوم ٢٢ اكتوبر اذا التزم العدو بوقف اطلاق النار وتستمر القوات فى حالة الاستعداد الكامل فى أماكنها » .

عمليات من ٢٣ ــ ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ :

وتقبل مصر واسرائيل وقف اطلاق النيران .. وتتسلل مجموعات سرايا دبابات ومشاة ميكانيكية إسرائيلية متجنبة قتال قواتنا وتنتشر في حيز واسع جدا أكبر من حجمها لمجرد اثبات وجودها حتى يكون وضعها مؤثرا فى اية اتفاقية بعد ذلك .

ويحاول العدو أن يستولى على مدينة السويس الباسلة فتباد القوة الاسرائيلية التى دخلتها .. فتلتف من حولها الدبابات الاسرائيلية وتتوقف .. ويتوقف اطلاق النيران .

وتستمر مصر فى حشد قوات ضاربة وصلت أكثر من ضعف حجم العدو فى الغرب .. ويتم اعداد خطة التدمير .. وتستمر المفاوضات ، ويستمر الاستعداد لازالة القوات الاسرائيلية من الغرب ويتوقف البدء على اشارة من الرئيس أنور السادات اذا تعثرت المفاوضات ، ويشعر العدو بجدية الموقف المصرى وخطورة موقفه ويتم الاتفاق المبدئى .. ويبدأ العدو فى الانسحاب شرقا .

وهنا يبرز سؤال : لماذا انسحبت اسرائيل .. من الغرب وبسرعة ؟

والاجابة أن هذه العملية ــ عملية الثغرة كانت :



لأول مرة .. يترك الاسرائيليون أسراهم فى المعركة مع أول قتال حقيقى



ويسمح لهم باستخراج جثث قتلاهم ويحضر مع الحاخامات أطقم فيها الطيار فيها رجل المدرعات وفيها قائد الوحدة التي هزمت يشاهد فى حسرة كيف تدمرت معداته وكيف قتل رجاله .

عملية غير عسكرية أساسا ــ بل هى عملية اعلامية ــ تدخل ضمن الحرب النفسية ــ فقد ادت الى :

١ ــ اجتذاب أغلب الاحتياطيات الاسرائيلية بعيدا عن سوريا وهو هدف القيادة المصرية وقد تحقق .

٢ ــ طول خطوط امداده عن قواعد الخلفيــة وقد وصلت اكثر من ٣٠٠ كيلو متر .

٣ ــ تعاظم القوات المصرية المحاصرة لرأس الجسر الاسرائيلى وتفوقها من حيث المقارنة التى أصبحت تسمح لها بالهجوم وتدمير القوات الاسرائيلية غرب القناة .

٤ ــ تزايد الخسائر الاسرائيلية نتيجة للمقاومة المســتمرة غرب القناة ــ وللقصف المدفعى ــ والقصــف الجوى المســتمر للقوات الاسرائيليــة .. مع رتق الثقب الذى حــدث فى دفــاعنا الجوى ــ وتقليل تأثير المجهود الجوى الاسرائيلى .

الباب التاسع

عودة إلى العربة المدرعة
ورحلة البحث عن طريق

الفصل الأول

شريط حافل طويل ..

وتبقى اشياء لابد من تسجيلها .. كيف حققنا المفاجأة .. كيف هجمنا لاول مرة ..؟

واتخيل منظر الجنرال الاسرائيلى « بلوك بعد المعركة .. لقد حضر مع الحاخامات للبحث عن جثث قتلاهم التى تركوها لأول مرة فى القتال .

ويسأل الجنرال الاسرائيلى قائد كتيبة من لواء النصر « .. هل كان قتال المشـــاة مع الدبابات الاسرائيلية صعبا .. ؟ ولا يرد القائد المصرى .. يقوده فى صمت الى دبابة باتون امريكية قريبة وقد طار برجها من هول الانفجار ويقول له » لقد احتفظت بموقعى .. واصبحت دباباتك هكذا .. وحضرت مع الحاخامات تطلب جثتهم .. فهل تحتاج الى اجابة أبلغ .. ؟

ـ بوقف اطلاق النار وانسحاب العدو الاسرائيلى بعد ذلك من الضفة الغربية ، شرقا الى سيناء .. تكون هذه الجولة مع اسرائيل قد انتهت ..

واقول هذه الجولة لأن حربنا مع اسرائيل مستمرة ، طالما ان هناك شبرا واحدا من الأرض المصرية او الأرض العربية لم يحرر .. هذا التزامنا .. وهذه مسئوليتنا التاريخية . ! ..

وتبقى أشياء لابد من تسجيلها.. مثلا كيف حققنا المفاجأة، وأخذنا زمام المبادرة لأول مرة فى حربنا مع اسرائيل ؟ .. كيف . ؟ ..

وما هى الدروس المستفادة من حرب اكتوبر ؟ ..

وامثلة اخرى سريعة ومتلاحقة ..

ولا يتوقف شريط الذكريات ...

انه طويل .. طويل .. عميق ... عميق ....

بدأ مع رحلة الليل ، فى العربة المدرعة ، وبداخلها السائق والمساعد عبد الرسول ــ وانا راقد على الكرسى الخلفى للسيارة وساقى التى طارت فى الهواء بجانبى موضوعة ، لاتزال بداخل الحذاء تبحث عن طريق يوصلنا لأقرب مستشفى ميدانى ..

يستمر الشريط ــ فى رحلة الليل .. داخل العربة المدرعة .. وفى المستشفيات .. وداخل غرف العمليات والانعاش .. هنا وفى الخارج .

واجد نفسى احيانا قادرا على التسجيل .. كأن الأحداث أراها أمامى .. حية . نابضة .. بكل تفاصيلها وأدق أبعادها .. وأجد نفسى احيانا اخرى قلقا . متوترا . القلم فى يدى والورق أمامى ، ولكن لاعطاء .

ــ حقيقى الشريط يتحرك معى .. واحيانا تكون حركته سريعة . واضحة كالبرق . ربما لا يستطيع قلمى أن يلاحقه . واحيانا اخرى تكون حركة الشريط بطيئة . قلقة . تجعلنى الهث وانا جالس فى مكانى .. اعرق دون ان اسجل شيئا ..

ــ أجد نفسى احيانا فى الجبهة .. اعود الى رجالى فى لواء النصر ، بكل الفرحة ، وكل الثقة .. ولكن بقدم واحدة .. أسير مستندا على رجالى فوق الرمال التى سطرنا فوقها بالدم الغالى أنصع صفحات العسكرية المصرية وأمجدها فى تاريخها الحديث ..

واجد نفسى مرة اخرى على بعد آلاف الأميال من بلدى . فى المانيا الغربية .

ولكن فى كل الأحوال يتحرك شريط الذكريات معى .. ذكريات فترة من حياة مصر .. وحياتى .. انه نبضى الحقيقى أحس به فوق صفحات الأوراق المتناثرة ..

كيف حققنا المفاجأة ... ؟

ويتساءل الكثيرون .. هنا وفى الخارج : كيف حققنا المفاجأة ؟

ـ اننا مجتمع مفتوح . ومع ذلك استطعنا أن نتخذ القرار . وننفذ العبور . ونقتحم قناة السويس ونحطم خط بارليف ، ونحطم معه الأنف الاسرائيلى المتغطرس ، ونظرية الأمن الاسرائيلى .. ونرفع رأس المقاتل المصرى .. والأمة العربية ...

ـ لقد فوجئت اسرائيل ...

بل فوجىء العالم ...

وفوجىء العرب . وفوجىء المصريون . بل فوجئت نسبة كبيرة من قواتنا المسلحة بالحرب .. بالقرار التاريخى .. بالشرارة ..

... فكيف تحققت هذه المفاجأة . . !؟

لقد تضافرت عدة عوامل علمية عديدة ومدروسة فى احراز المفاجأة . وأهم هذه العوامل :

أولا ـ السرية والأمن :

توافرت السرية على كل المستويات ... وفى جميع مراحل الاعداد للمعركة :

توافرت السرية فى اتخاذ القرار للحرب على مستوى الرئيس السادات والأسد

توافرت فى التخطيط للمعركة على كل المستويات .

توافرت حتى فى الجندى الذى عرف ساعة الصفر قبل الهجوم بثلاث ساعات .

توافرت حتى فى المدنيين والفلاحين والعمال والمهندسين فى شركات القطاع العام المشتركين فى التجهيز الهندسى وأمكنهم رؤية معدات العبور الضخمة قبل الهجوم بثلاثة أيام .

توافرت السرية والأمن فى :

ـ عملية التجهيز الهندسى الضخمة التى سبقت الهجوم والتى كادت تكشف ليس فقط نية الهجوم بل تفاصيل الخطة نفسها .

ـ عملية التحركات الضخمة والفتح التعبوى .. واعادة التجميع للهجوم التى تمت فى عدة شهور على مستوى القوات المسلحة ، وقبلها بمدة تتراوح بين ٣ ، ٤ أيام على مستوى فرق الأنساق الأولى .

ـ بسفر المستشارين السوفييت وعدم اشتراك أجانب فى التخطيط .

ثانيا ـ الخداع :

أمكن للقيادة المصرية خداع القيادة الاسرائيلية عن نية هجومنا .. وعن حجم العمل الذى يمكننا تنفيذه بالآتى :

١ ـ اقناع اسرائيل بضعف القيادة السياسية المصرية عن اتخاذ القرار أو ادارة الصراع المحسوب بكفاءة .

٢ ـ اقناع اسرائيل بتفوقها على العرب مجتمعين فى النواحى العسكرية ـ فى حجم القوات ـ فى التكنولوجيا ـ وفى الصناعات التى تخدم المعركة .

٣ ـ تكرار عمليات حشد ورفع درجة استعداد القوات المصرية دون بدء قتال فعلى كان يصاحبها عادة تهديدات رسمية من مصر ببدء الحرب ، وكانت اسرائيل تواجهها برفع درجة استعداد قواتها المسلحة واعلان التعبئة الأمر الذى كان يؤثر على النواحى الاقتصادية وسير الحياة العامة فى اسرائيل ، وتكررت عمليات الحشد واصدار التهديدات بالحرب دون بدء قتال فعلى نعودها العدو وأصبح يواجهها برفع درجة استعداد قواته فى سيناء دون اجراء تعبئة أو حشد .

٤ ـ اقناع اسرائيل أن العرب غير قادرين على اقتحام القناة وتدمير خط بارليف ، ومواجهة الطيران الاسرائيلى ، والدبابات الاسرائيلية فى الصحراء المكشوفة ...

٥ ـ تم خداع اسرائيل عن طريق ما وصل من المراسلين الأجانب من معلومات زائفة عن ضعف الجيش المصرى والفساد فى مصر فبعضهم يقول :

(أ) الجيش المصرى لديه ذخائر لاتكفى قتال أسبوع .

(ب) مصر ليست عاجزة فقط عن الهجوم .. ولكنها أيضا غير قادرة على الدفاع بعد مغادرة المستشارين السوفيت لها .

(جـ) المستشارون السوفييت أخذوا جزءا لا يستهان به من الأسلحة ، وخربوا جزءا آخر .

(د) المقاتل المصرى ضعيف .. عاجز عن القتال ولا يمكنه استخدام الأسلحة المتطورة .

٦ ـ اشاعة زيارة المشير احمد اسماعيل لرومانيا يوم ٨ اكتوبر ٧٣ .

٧ ــ السماح للضباط والجنود بالحج خلال عام ١٩٧٣ .. واستلام أجور السفر منهم فعلا .

٨ ــ اجتماع الدكتور كيسنجر مع الدكتور الزيات وزير خارجيتنا فى هذا الوقت ـ صباح يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وتناول الحديث مبادرة كيسنجر التى كان ينوى التقدم بها بعد انتخابات اسرائيل يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ .. وانتهت المقابلة ..

واستقبل كيسنجر مكالمة تليفونية ببدء القتال بعد ساعات قليلة من انتهاء المقابلة .

٩ ــ هذا بالاضافة الى ان وسائل الاعلام كلها : اذاعة ــ تليفزيون ــ صحافة .. بل مجلس الشعب والوزارات .. كانت كلها تتكلم عن مشروعات .. لا علاقة لها اطلاقا بالحرب .

١٠ ــ بالاضافة الى تسريح ثلاث دفعات من خيرة جنود القوات المسلحة قبل المعركة بشهور قلائل ..

ثالثا ــ اختيار يوم الهجوم :

١ ــ اختير يوم الهجوم يوم عيد الغفران فى اسرائيل وهو يوم يتوجهون فيه للمعابد أو النزهة خارج مساكنهم وتتعطل فيه الاذاعة ووسائل المواصلات ·· وبالتالى تنعدم وسائل اذاعة رفع درجات التعبئة والاستعداد .. وجمع الجنود الاحتياط بسرعة .

٢ ــ وحتى وحدات الجيش العاملة .. والوحدات المحتلة لنقط العدو القوية تكون أقل استعدادا نفسيا للقتال فى هذا اليوم .

رابعا ــ ساعة الصفر :

كان العدو مقتنعا نتيجة لتدريباتنا المستمرة أننا سنقتحم القناة مع الغروب ، أو ليلا ... واكدنا له ذلك بكل الوسائل وفوجئ باقتحام القناة ... ظهرا ... في عز النهار .. !

وليس حقيقيا أننا غيرنا ساعة الصفر فقد تم الهجوم طبقا للتخطيط .

خامسا ــ عوامل أخرى ساعدت على تحقيق المفاجأة :

ــ الثقة المفرطة والزهو الذى أصاب القيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية بعد عمليات ١٩٦٧ لدرجة استهتارها بقيمة القدرات العسكرية المصرية ــ وكان نتيجة ذلك أن المخابرات الاسرائيلية أساءت تحليل وتقدير المعلومات فقدرت :

١ ــ أن حشد القوات المصرية لأسباب سياسية أو داخلية .

٢ ــ ان الحشد السورى يدخل نطاق المشاركة المعنوية لأهداف سياسية .

٣ ــ أن الأعمال القتالية الممكنة لا تزيد على حرب استنزاف فى صورة مفارز قتال ، أو دوريات وكمائن أو قصفة نيران مدفعية .

٤ ــ اقتناع اسرائيل أن الوحدة العربية خرافة .

سادسا ــ وبرغم كل ذلك شك العدو فى وجود نوايا هجومية لقواتنا من صباح يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ــ وان كان لم يقدر تقديرا سليما حجم قواتنا ــ ومواجهة عملها وعن المهام القتالية لها :

وبدأ اعتبارا من يوم ٥ أكتوبر الاجراءات التالية :

١ ــ اجراء التعبئة الجزئية فى اسرائيل .

٢ ــ الفتح التعبوى مبتدئا بالجبهة السورية ثم المصرية .

٣ ــ استكمال مرتبات نقطه الحصينة فى خط بارليف .

٤ ــ احتلال مرابض المدفعية .

٥ ــ رفع درجة استعداد قواته الاحتياطية فى سيناء واستكمالها .

٦ ــ اغلاق الأجواء الاسرائيلية للطيران المدنى .

٧ ــ منع الحركة على الجسورىين شرق الأردن .. واسرائيل .

ــ وكاد العدو يكتشف بتأكيد نية هجومنا لاسرائيل عند ترحيل عائلات الخبراء والمستشارين السوفييت من سوريا .. والمتبقين فى مصر يوم ٥ أكتوبر ٧٣ .

ــ ولكننا رغم ذلك حققنا المفاجأة التى أذهلت اسرائيل . والعالم كله معها .. !

الدروس المستفادة وخبرة القتال :

١ ــ نجحت ضربتنا الأولى وكبدنا اسرائيل خسائر فادحة واقتحمنا القناة ، وسقط خط بارليف فى ساعات بسبب تحقيقنا المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية .. ويمكن تشبيه أهميتها بأن طفلا يمكنه قتل رجل نائم .. وان كانت المفاجأة لم تقلل من ضراوة القتال ، وان قللت من خسائرنا .

٢ ـ الفرد هو أساس نجاح المعركة قائدا وجنديا .. والمعركة تنتهى الى فرد يواجه فردا آخر وينتصر أكثرهما تدريبا واعدادا واصرارا على القتال .

٣ ـ المبادأة والعمل الهجومى .. والحركة والمناورة أساس النجاح فى المعارك الصحراوية وهذا يتطلب معدات ميكانيكية .. وقادة لهم خفة حركة ذهنية تسبق تحرك معداتهم .

٤ ـ المعركة تحتاج الى تفوق علمى ويستخدم فيها معدات الكترونية وفنية معقدة ، وتتطلب امكانيات صناعية قادرة على انتاج الأسلحة المتطورة . وصيانة وتطوير الأسلحة والمعدات التى يتم شراؤها ..

ـ أى أن تقدم الدولة علميا وصناعيا هو أساس المعركة القادمة .

٥ ـ كانت اسرائيل حتى بداية الحرب متفوقة فى الاعلام والحرب النفسية ووصلت فى الحرب النفسية الى اقناع أغلبية العرب والمصريين والعالم بأنها تعلم كل شىء .. وقادرة على سحق العرب ...

ـ واستمر ذلك الى أن حقق العرب المفاجأة. فاقتنع العرب والعالم بأنها لا تعلم كل شىء وعجزت عن تدمير رؤوس الكبارى.. وازالتها .. فاقتنع العالم بأن امكانياتها محدودة ، بالرغم من كل الدعم الأمريكى والغربى لها..

٦ ـ المعركة عمل متكامل تشترك فيه القوات البرية بكاملها من مشاة ومدفعية ودبابات وقوات خاصة ومهندسين واشارة وامداد وتموين .. وباقى التخصصات وتحميها جميعا وحدات الدفاع الجوى بالتعاون مع الطيران .. والقوات البحرية ... وهو ما نسميه معركة الأسلحة المشتركة ..

٧ ـ فى كل معركة تبرز أسلحة على حساب أسلحة أخرى .. وقد برز فى هذه المعركة .

(أ) دور الصواريخ المضادة للطائرات .. على حساب طائرات العدو وأمكنها أن ترفو الوقاية للقوات البرية فى غيبة قواتنا الجوية فى مراحل متعددة من المعركة .

(ب) برز دور المشاة المترجلة على حساب الدبابة بفضل تسليحها القوى المضاد للدبابات ودعمها بالصواريخ المضادة للدبابات ، وأمكن للمشاة المترجلة أن تصد هجمات مضادة لدبابات ومدرعات العدو دون اشتراك دباباتنا .

ـ وبهذا تحطمت قاعدة عسكرية تقول أن عدو الطائرة / الطائرة .

ـ وعدو الدبابة هو / الدبابة .

ـ وبدأ العالم العسكرى يبحث فى احياء المشاة مرة أخرى على ضوء نتائج معركتنا .

وقد أشاد العدو باستمرار بقتال فرق المشاة الخمس المصرية التى اقتحمت القناة مترجلة ، وحققت المفاجأة واستولت على رءوس الكبارى وتمسكت بها بقوة حتى النهاية .

٨ ـ الكفاءة النوعية مطلوبة قبل التفوق العددى .. فدبابة بها :

(أ) معدات رؤية ليلية .. ومعدات تنشين ليلية .

(ب) اجهزة تنشين حديثة .. كأشعة الليزر مثلا تصحح المسافة الى أقرب جزء من المتر .

(جـ) ذخيرة .. اكثر يسمح لها بالاشتباك فترة طويلة ووقود

يسمح لها بالسير مسافة أكبر • وامكانيات تسمح براحة الطاقم وبالتالى يعملون من داخلها ساعات أكثر .

ـ هذه الدبابة هى خير من دبابة لاتتوافر فيها هذه الشروط .

ـ وعلى سبيل المثال يمكن لدبابة بها جهاز تنشين حديث يسمح بتقدير المسافة بدقة أن تدمر عددا من ٢ الى ٣ دبابات معادية لا يتوافر لها هذا الجهاز وتكون اصابة الدبابة الأولى مسألة حظ لأنه يكفي أن تسقط الطلقة بعيدا عنها أقل من متر لكى تنجو .

هذه الكفاءة النوعية مطلوبة فى المعدات ـ وفى الفرد ...

والمطلوب هو الفرد المثقف المدرب ـ العقائدى ـ المقتنع بمعركته .

٩ ـ برزت اهمية السرية والخداع وهما أساس المفاجاة التى تحققت والسرية يجب توافرهاعلى مستوى كل الشعب وليس على مستوى المخططين والمنفذين للعمليات العسكرية فقط .

وعلى سبيل المثال يمكن للقادة والضباط الأصاغر والجنود بل المدنيين الملاصقين للقيادات الوصول الى استنتاجات سليمة عن نوايانا وهنا يجب أن يكونوا أمناء .. ويحافظوا على سرية استنتاجاتهم .

ـ وان نطبق باستمرار مبدأ المعلومات على قدر الحاجة •

وبالنسبة للخداع على مستوياته المختلفة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية فان المنفذ فى أغلب الأحيان لا يعلم أنه ينفذ عملا خداعيا حتى لا يفتر اهتمامه بالعمل .

١٠ ـ أهمية الامداد للمعركة •• وقد نجح جهاز الامداد فى

قواتنا المسلحة بفروعه العديدة فى تغطية جميع المطالب فى مرحلة الاعداد للمعركة .. وفى مرحلة القتال شرق وغرب القناة .

١١ — القتال يستمر ليلا نهارا .. ويجب أن تتوافر امكانيات ملاحية الى أجهزة رؤية ليلية الى أجهزة تنشين ٠٠ الى أجهزة اضاءة ووسائل اضاءة مختلفة تدخل فيها دانات المدفعية ٠٠ الى أجهزة رادار للافراد والمعدات لمسافات مختلفة ٠٠٠

أى يكون لدينا القدرة على الاستمرار ليلا فى القتال بل قلب ظلام قطاع المعركة الى نهار تتضح فيه الرؤية لأسلحتنا المشتركة .

١٢ — خبرة القتال :

تكونت مدينا خبرة قتال أحرزناها بالدم ٠٠ وأذكر أننى عملت فى تنظيمات لمختلف الجيوش منها النظام الانجليزى .. ثم النظام الألمانى — ثم النظام السوفييتى ٠٠ وبحثت فى كل منها عن خبرة القتال أستفيد بها .. ولكننى وجدت طلاسم باستمرار .. اليوم أجد أننى أملك هذه الخبرة .. وأن بعض هذه الأسئلة التى بحثت عنها أصبحت ساذجة بجوار خبراتنا التى تكونت .. ويجب أن نحتفظ بسريتها وننميها بأبحاثنا فى كل المجالات .

حصاد ... النصر

أكاديمية عسكرية ٠٠ عالمية :

وتزورنا أكثر من ٦٠ بعثة عسكرية .. تدرس ارض المعركة والمعارك التى دارت عليها .. تتعلم خبراتنا العديدة .. كيف حققنا المعجزة ٠٠

ـ وأتذكر أخي الرائد جاسم ـ الكويتي حضر لتوديعي قبل حرب أكتوبر وعلمت أنه ذاهب ليدرس في كلية أركان حرب الأردن .. وفهمت من سياق الحديث انه بعد نكسة ١٩٦٧ لم تعد مصر المكان الذى يتطلع اليه الدارس العسكرى.. وتنتهى معركة ١٩٧٣ ويتطلع الينا الغرب والشرق ، للاستفادة من خبراتنا القتالية .. لقد حاربنا الحرب كلهابأحدث الأسلحة الالكترونية والعلمية .. هل هناك خبرة أكثر من ذلك ؟

خريف .. اسرائيل :

الخسائر ٢٨ الفا :

وتتضارب أرقام خسائر اسرائيل .. وتعلن كل يوم رقما جديدا يتزايد باستمرار ، فيعلنون آخر الأمر أن عدد القتلى ٤ آلاف ، والجرحى ٨ آلاف وتتكلم المصادر الأمريكية والمعاهد الاستراتيجية العالمية .. فتقدر خسائرهم بحوالى ٨ آلاف قتيل وعشرين الف جريح ..

ـ ويشبه أحد قادتنا المحللين موقف خسائر اسرائيل (تخيل حى شبرا فيه هذه الخسائر . ما الموقف الجنائزى الذى يكون فيه .. ؟ » فاسرائيل اقل من ثلاثة ملايين اسرائيل وشبرا أكثر من مليونى نسمة ، ولهذا فلم تنج أسرة فى اسرائيل من قتيل او جريح ..

حاخامات .. وجثث :

وترك الاسرائيليون لأول مرة على أرض المعركة قتلاهم .. جرحاهم معداتهم مدمرة ـ وسليمة ـ وحطموا كل التقاليد العسكرية التى حافظوا عليها منذ انشاء اسرائيل .. ونسمع لهم

بالتنقيب عن الجثث أقصد عن بقايا الجثث وعظامها .. لأن الدين الاسرائيلى كما يقولون لا يسمح بالوراثة ، أو زواج الأرملة الا اذا ظهرت الجثة لاثبات الوفاة .. ونسمح للجانهم بالحضور .

- ويحضر مع الحاخامات الجنرال بلوك .. ويأخذ الحاخامات فى لبس قفازات لكل جثة ولكل قطعة عظام ويضعونها فى أكياس من النايلون . ويصلون عليها ثم يجمعون العظام فى مكان واحد .. ثم يصلون عليها صلاة جماعية ويعثرون على بعض قتلاهم ولا يعثرون على أكثرهم ..

- ويسأل الجنرال بلوك .. (قائد كتيبة مشاة مصرى) : هل قتال المشاة مع الدبابات الاسرائيلية كان صعبا .. ؟ .

- ولا يجيبه القائد المصرى .

- يقوده الى دبابة باتون أمريكية وقد طار برجها من هول انفجارها .. ويقول له « لقد احتفظت بموقعى هنا .. وأصبحت دباباتك هكذا - وحضرت لتنقب عن جثثهم .. فهل تحتاج الى اجابة أبلغ » ؟ .

- ويصمت الجنرال الاسرائيلى .. ويمضى ...

- ويتغنى الشعب الاسرائيلى بأغان جديدة تتكلم عن السلام والأمن الزائفين .. وحياة مهددة .. وملل وتعب ودماء .. !!!

ويقول الضابط الاسرائيلى اسحق « اننى فى السادسة والعشرين من عمرى وعندى طفلان وليس عندى مسكن - السلام والأمن .. انهما بلا شك شىء رائع ، ولكن حياتى أغلى عندى من كلماتكم - لست أبله وحينما أحارب أريد أن أعرف بالضبط لماذا أحارب ؟ اذا كان من أجل السلام فأوضحوا هل هو سلام يدوم حتى يبلغ ابنى سن التجنيد ليخوض الحرب من أجل السلام ... ؟

الفصل الثانى

نعم •• رأيت الملائكة

تناثرت القصص عن الملائكة التى قاتلت فى صفوفنا ،
وسمعت من يدعى أن فلانا رآها •• !
ثم ينقل عنه آخر فيقسم أنه شاهدها بعينيه •• !
وسألنى الكثيرون بعد المعركة •• وأجبت ••
وسألت جميع رجالى بعد ذلك •• واجابونى ولصالح مصر
•• لصالح المعركة القادمة اجيب
نعم رأيت الملائكة •• !
ولكن كيف •• ومن هم •• ؟

سؤال تردد كثيرا أمامنا فى أثناء المعارك وبعدها : هل رأيتم الملائكة .. ؟ ..

هل كانت تقاتل معكم بلباس أبيض ؟ أقول بصدق اننى لم أر الملائكة ...

وكيف نراها والله سبحانه وتعالى يقول : **وجنودا لم تروها** .. !

وقد سألت جميع القادة والجنود الذين قاتلوا معى : هل رأوا الملائكة ؟ وكانت اجابتهم جميعا واحدة « لم نرى » .

ــ فى الواقع أن العمل الجدى العلمى، والايمان بالله وبالوطن وبحقنا الكامل ، والاعداد الجيد للمعركة . والتصميم على القتال .. وكل هذا كان سبيلنا الى النصر .

وبهذا نجحنا فى تحطيم العدو . ودمر لهم لوائى « لواء النصر » وحده الكثير من الدبابات !

ولكن الملائكة كانوا معنا فى صـورة أخرى ـ كـان المـلائكة يحاربون معنا فى صورة عبد العاطى وبيومى ، الذين دمروا للعدو أرقاما خرافية من دباباته ومدرعاته فى صور الرجال الذين قاموا بأعمال خارقة . فى صورة العريف عمر من كتيبة حسن الذى دمر فى دقائق دبابة وعربة مدرعة للعدو بسلاح صغير مضاد للدبابات أربيجيه ونال نوط الشجاعة العسكرية .

ـ رايت الملائكة فى صورة البطل الملازم أول السعودى الذى يقفز فوق الدبابة الاسرائيلية ويفتح فتحة البرج فيقاومه قـائد الدبابة فيجذب غطاء فتحـة بـرج الدبابة بيده اليمنى ، ويجذب تيلة القنبلة بأسنانه معرضا نفسه للتدمير ـ ويدمر طاقم الدبابة بالكامل وينال نوط الجمهورية ...

ـ رايت الملائكة فى الشهيد بطل نجمة سيناء سعيد خطاب، الذى استشهد مع ٤ ألغام ، وهو يدمر دبابات للعدو .

ـ رايت الملائكة فى شياطين عبد الجابر الذين دمروا الكثير من دبابات العدو .. وجعل قـادتهم يصرخون : لا تقتـربوا من القناة .. !

رأيت من هؤلاء المـــلائكة كثيرين .. استشــهد منهم من استشهد . وجرح منهم من جرح وعاد منهم من عاد هـؤلاء هم الملائكة الذين كانوا يحاربون معنـا . رجـال نفـخ الله فى قلوبهم الشـجاعة وزرع فيهم الايمان .. فكانـوا للمعركة .. وارتفعـوا ببطولاتهم لمستوى (الملائكة) لمستوى الصديقين والشـهداء .. وحسن أولئك رفيقا ... ! .

ـ وسقط لنا رجال أعزاء ، شهداء وجرحى ..

شاهدت الملائكة يقاتلون ، كما كان الصديقون والمســلمون الأوائل يقاتلون فى معارك بدر ـ وأحد ـ والخندق ـ واليرموك .

شــــاهدتهم يجرحون فى أثناء المعارك ويرفضون الاخلاء ، ويستمرون فى مواقعهم يؤدون واجب الرجال · والذين تضطرهم اصاباتهم للخروج ، يعودون فى أقرب وقت ، متلهفين على القتــال تماما كما كان المسلمون الأوائل حول الرسول صلى الله عليه وسلم ــ وخلفائه الراشدين ، يقاتلون ، حتى لو فقد الواحد منهم يدا أو ساقا .

شاهدت رجالنا يلقون بأنفســهم ، بدافع من ايمــان قوى ، يطلبون « النصر أو الاستشهاد » · اننى هنــا أحيى كل من أدى واجبه مخلصا من أجل وحدة الأمة العربية · أحيى أبطالنا الجرحى أو الذين كتبت لهم الشهادة . فكل أدى واجبه ..

اننا لن ننساهم أبدا ...

لن ننسى شهداءنا الأبرار ، الأبطال من جميع الرتب ·

لن ننسى أبدا هؤلاء الملائكة .



العطف والرعاية يتلقاهما أسير اسرائيلى جريح من يد مصرية



الدكتـور فوزى مصطفى ـ بطل طبى ـ رعى
كثيرا من الجرحى . تولى عـلاجى وأجرى لى
العديـد من العمليـات ـ وبنفس الروح ونفس
العناية يعالج جرحى اسرائيل

الفصل الثالث

وعدت الى سيناء بساق واحدة

واعلو فوق الألم ..

ـ اعتبر أننى ولدت من جديد .. ولكن بساق واحدة .

ـ وافاجأ بأننى حصلت على نجمة سيناء من الطبقة الأولى .. وان اسمى هو أول اسم فى القوات المسلحة .

ـ ويقيم رجال لواء النصر نصبا تذكاريا فى مكان اصابتى

ـ واقرر زيارة رجالى أبطال لواء النصر . وتتم الزيارة ومعى أولادى وسط جو عاصف ورياح ثائرة .. و .. ويصفو الجو بعد وصولى .

واتنقل بين المواقع بساق واحدة ..

لم احتج اطلاقا لعكاز أستند عليه ..

فقد كان معى آلاف الرجال أستند اليهم مطمئنا .

وتنتهى رحلة شريط الذكريات بعد هذا المشوار الطويل المضنى .

رحلة تبدأ من رأس العش فى منتصف ١٩٦٧ وتنتهى عند رأس الكوبرى فى سيناء فى أكتوبر ١٩٧٤ . رحلة عمرها الزمنى ٧ سنوات .

وأعود الى رحلتى أنا ..

رحلة العربة المدرعة التى تسرع ليلا من داخل سيناء غربا الى قناة السويس . رحلة تبدأ من عند النقطة ١٢١ على عمق ١٩ كليو مترا شرقى القناة ولاتنتهى .. انها « رحلة الساق المعلقة » التى خرجت تبحث عن طريق لأقرب مستشفى مبدانى ثم دخلت غرف عمليات ومستشفيات ، ومراكز علاج متعددة ، فى مصر وفى خارج مصر .

كانت الرحلة داخل العربة المدرعة . وبداخل العربة ٣ أشخاص . السائق والمساعد عبد الرسول . وأنا القائد الجريح

الراقد على ظهرى على المقعد الخلفى . ساقى اليمنى تنزف بغزارة وباقى الساق التى طارت فى الهواء بعد اصابتها موضوعة بجانبى، معلقة ولا تزال بداخل فردة الحذاء .

كان المساعد يمسك بساقى التى تنزف بغزارة ، يحاول ايقاف النزيف . وأنا راقد على ظهرى . وجهى للسماء كأنما أعد نجوم الليل . وأفيق من تأملاتى على اهتزاز العربة بعنف وهى تمر فوق الكثبان الرملية المتحركة .. وعلى سؤال السائق : أين نتجه ؟

وتمضى العربة المدرعة تبحث عن طريق فوق الأرض ..

بينما أرقد أنا ـ القائد الجريح الراقد على المقعد الخلفى ـ ابحث عن طريق آخر طريق الى السماء . فقد كان يحز فى نفسى أن أترك المعركة التى عشت عمرى كله أنتظرها واتوق اليها .. أترك المعركة قبل أن تنتهى . لقد وهبنى الله نعمة التضحية من أجل بلدى عندما طارت ساقى فى الهواء بعد اصابة مباشرة من طلقة دبابة ...

ولكنى كنت اتوق لشىء آخر .. اما أن أواصل القتال ، واما أن أستشهد فى المعركة .

وفى هذه اللحظات بالذات كنت صادقا مع نفسى فى طلب الشهادة .. لم اكن أعرف مدى اصابتى تماما . ولكن كلما كانت العربة المدرعة تسرع بعيدة عن أرض المعارك ، كنت أتمنى أكثر أن تفيض روحى هنا . أن تكتب لى الشهادة هنا . أن أدفن فى سيناء ، لا أن أروى فقط بدمائى ، جزءا من ترابها ..

ولكن للعمر بقية ! ...

ونفاجأ بالعربة المدرعة تجد لها طريقا فوق الرمال . وتقف أمام كوبرى الفرقة قبل منتصف الليل بقليل .. كأنمـا توجهها بوصلة الهية لا تخطىء لحظة .

كيف وصلنا . كيف قطعنا كل هذه الكيلو مترات ليلا دون أن نضل . انه الالهام من الله سبحانه وتعالى .. وأتذكر قولنا نحن العسكريين «ان الطلقة تخرج من المصنع وعليهااسم صاحبها الذى ستصيبه » وهذه الطلقة التى أصابتنى خرجت من مصنعها فى زمن ما . فى بلد ما . مكتوب عليها اسمى ولكن للعمر بقية ..

ونعبر الجسر من الشرق الى الغرب . وتقابلنـا عربة اسعاف مجهزة . وتعود العربة المدرعة الى داخل سيناء . الى لواء النصر . واجد نفسى بعد قليل داخل مستشـفى ميدانى محصـن تحت الأرض .

ويحملوننى فى الظلام على نقالة . وأفاجأ بعد لحظات بالضوء المبهر ، داخل غرفة عمليات مجهزة . والأطباء مستعدون بلباسهم الأبيض . معقمون . ملثمون . وأتعرف على اثنين من الأطباء سبق أن عملا معى ، هما الدكتور رفيق ، والدكتور خيرت .

وهنا ــ أثناء الفحص ــ حدث شىء هـزنى بعنف . لقـد فوجئت بعدد من الأطباء العاملين فى المستشفى يتسابقون الى يدى يقبلونها . وسحبت يدى بسرعة متاثرا بهذه العواطف .. اننى لم أفعل سوى الواجب . واجبى كقائد وجندى فى المعركة ..

وتجرى لى أولى العمليـات الجراحيـة فى المستشفى الميدانى العملية الأولى فى سلسلة من العمليات الجراحية . ويتقرر أخلائى بسرعة من مستشفى الجيش الثانى . وعلى باب المستشفى يصدر قرار جديد بأن أتابع رحلة الاخـلاء مع القطـار الطبى المتجه الى القاهرة .

هنا أبدأ أعلم أن جراحتى خطرة • ولكن لا أنهار ••

وفى القطار يعود شريط الذكريات يفرض نفسه • أفكر فى رجالى • فى لوائى • فى لواء النصر • وفى المعركة الضاربة التى يخوضها الرجال بدونى • وأشاهدهم يتحركون — لصد الهجمات المضادة التى لم تهدأ لحظة واحدة منذ اقتحامنا قناة السويس • كل رجل فى موقعه • كل بطل يؤدى واجبه • وأشعر « بالمواجع » مرة ثانية • أشعر بالحزن العميق — لا لأننى اصبت وأخليت من المعركة — ولكن لأننى أصبت وطارت ساقى فى الهواء والمعركة لا تزال مستمرة والحرب لم تنته •

وأسفت مرة أخرى لأننى لم أستشهد • بعد كل ما فعلته لم استشهد • وأتذكر قول القائد المسلم خالد بن الوليد أنه بعد كل المعارك التى خاضها • والحروب التى قاد جيوش المسلمين فيها •• ما فى جسدى شبر الا وفيه طعنة رمح أو ضربة سيف •• وها أنذا أموت على فراش الموت • فلا نامت أعين الجبناء ••

وأفيق من تأملاتى ••

لقد وصل القطار الطبى الى القاهرة • ثم تنقلنى عربة • اسعاف الى احدى مستشفيات القاهرة • ويقع هنا حادث بالصدفة • تتعطل عربة الاسعاف فى الطريق • وتقف فى منطقة تمركز اللواء الميكانيكى الذى كنت اعمل رئيسا لأركانه • وأفاجأ بضباط اللواء وجنوده يلتفون حولى ، فى مظاهرة حماسية ، تنسينى ما أنا فيه ويقدمون كل شىء عندهم يصلح لأن يكون هدية عرفان • ويقسمون على الثأر لى ••

ثم تمضى عربة الاسعاف ، ونصل الى مستشفى المعادى • كل شىء هنا مجهز لأكبر العمليات الجراحية • ويلتف الأطباء حولى •

الدكاترة فوزى مصطفى • حسين عبد الفتاح • ومصطفى المنيلاوى • وبعد الكشف العاجل • أقرأ على وجوههم وأحس بأننى لست وحدى •• ان مصر بخير ••

وأدخل غرفة العمليات بمستشفى المعادى •

وتمضى الأيام فى المستشفى • وتتوالى العمليات الجراحية • ويبذل الدكتوران فوزى مصطفى وحسين عبد الفتاح جهودا خارقة لانقاذى من التلوث الذى أصاب ساقى من الرمال •

وأبقى باسما عالى المعنويات ••

وأعلو فوق الألم ••

أعتبر أننى ولدت من جديد ، ولكن بساق واحدة •

ويقف أخى الدكتور مصطفى المنيلاوى • لا ليعالجنى فقط وانما ليعلمنى كيف أحبو • كيف أخطو من جديد وأفاجئه فى مكتبه رابطا ساقه اليمنى ، يجرى التجارب على نفسه يتحرك بخطوة واحدة على قدم واحدة • يحجل •

وأحاول أنا أيضا أن أسير • أنسى اننى أصبحت بساق واحدة • وأبدأ فى المشى • ولكنى أقع •• وبدلا من الألم أضحك وأبتسم ••

وأعلو فوق الألم • أجمع الجرحى فى مستشفى المعادى فى فريق كرة قدم وهمى وألعب ساعد أيمن الفريق ونتبادل النكات والضحكات ••

فى هذه الأثناء يزورنى المشير/أحمد اسماعيل في المستشفى • كان ••• القائد العام للقوات المسلحة قد سمع عنى • وفوجئت بأنه يعلم عنى الكثير ••• أكثر مما أتوقع •

وتجمعنا جلسة عائلية ضاحكة · ثم يصدر المشير قرارا بتعييني مسئولا عن الروح المعنوية لجرحى القوات المسلحة ·

وأقبل القرار باسما ، سعيدا بهذا المنصب المشرف ·

وأحس بالحب من حولى · من كل الناس ·

يزورنى جيران وعمال وموظفون · ويزورنى بوابون وفلاحون وجنود وضباط ، ويزورنى رجال سبق أن خدموا معى منذ فترة طويلة ، ثم تركوا القوات المسلحة ، يزورونني وكل منهم يحمل شعورا وديا ·

وغير الزيارات · تصلني وسائل كثيرة · من مصر ومن أصدقاء في الخارج ·

وأحس بأنني لست وحدى ·· ان مصر بخير ··

فأنا لا أستطيع أن أنسى منظر الجندى عبد النبى · لقد أصيب ببتر فى ساقيه · كان يعالج فى مستشفى آخر ·

حالته أصعب منى بكثير · ولكنه ظل يسأل عنى كل من يقابله · حتى علم من مندوب اللواء الذى ذهب اليه فى المستشفى ليسلمه راتبه بمكانى · وفى الحال أخذ « تاكسى » · وحضر الى مستشفى المعادى · وفوجئت به أمامى فى حالة يرثى لها · لن أنسى هذا الرجل ·

هذه الزيارات والرسائل أوسمة أعتز بها ·· فى قلبى ·

عندهم ·· تحقيق فى السقوط

وعندنا ·· تكريم للأبطال

وفى هذه الفترة تشكل السلطات الاسرائيلية لجانا فى أسباب الهزيمة ··· ولمحاولة معرفة كيف تمكنت القوات المسلحة

المصرية من تحقيق المفاجأة ، واقتحام قناة السويس . وبدأت اللجان تبحث هزيمة الجيش الذى لايقهر .. الجيش الأسطورة الذى دمر له على الجبهة المصرية وحدها أكثر من ألف دبابة . ومائتا طائرة .. وفقد ٤ ألاف قتيل ، و ١٨ ألف جريح ، وكيف تركوا لأول مرة قتلاهم وجرحاهم فى أرض المعركة .

وتختفى وجوه عن المسرح الاسرائيلى .. مسرح السياسة ومسرح العسكرية .. يسقط كبار ، وينتهى قادة .

يذهب الجنرال دافيد اليعازر رئيس أركان القوات الاسرائيلية وتغوص وراءه فى وحل الهزيمة أقدام جولدا مائير رئيسة الوزراء، وموشى ديان وزير الدفاع . وتختفى وجوه بالتدريج من واجهة اسرائيل ..

ويعبر ايجال آلون نائب رئيسة وزراء اسرائيل عن هذه الفترة فيقول فى التليفزيون الاسرائيلى : لقد انتهى العصر الذى كنا نبالغ فيه فى ثقتنا بأنفسنا ، وقد أظهر العرب استبسالا وشجاعة وصمودا . وأحرزوا انتصارا عسكريا وسياسيا . ونجحوا فى كسر جمود الموقف وينبغى أن نتعلم كيف نحترم العرب ..

ان هذا هو الفرق بين هذه الحرب ، وحرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ ..

كانت التحقيقات تدور فى اسرائيل الممزقة بالهزيمة ، حول أسباب الهزيمة ، أو النكسة التى حاقت بهم فى حرب أكتوبر ..

وكانت مصر تكرم أبطالها . رجالها .. الذين حققوا بارادتهم ما كان يبدو مستحيلا . والذى أصبح معجزة بأى مقياس عسكرى ..

كان قائد مصر الرئيس/محمد أنور السادات يكرم أبطال أكتوبر فى جلسة تاريخية فى مجلس الشعب ·

الشهداء منهم والأحياء ··

ويظهر تقييم القوات المسلحة ··

وأفاجأ بأننى حصلت على نجمة سيناء من الطبقة الأولى · وأن اسمى هو أول اسم فى القوات المسلحة ·

مصر كم أنت عظيمة ··· لا تنسى أبدا أبناءك ··

نصب تذكارى فى قلب سيناء ··

ويقيم لواء النصر نصبا تذكاريا فى مكان اصابتى فى قلب سيناء ·· ويزور الموقع الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة أركان القوات المسلحة · ويلتقى برجالى · رجال لواء النصر · ويشاهد دبابات العدو المدمرة ·

ويفاجأ الفريق الجمسى برجالى يسألونه عنى · ويقص عليهم الفريق كل ما يعرفه عنى وأخبار علاجى ثم يسألنى بعد عودته من الجبهة · ماذا فعلت لرجالك حتى يحبوك بهذه الصورة ؟

وأجيبه : كنت قاسيا فى تدريبى معهم ، وفى المحافظة على معداتى · والدا فى معاملتهم أعددتهم جيدا للمعركة ، فلم تفاجئهم المعركة بشىء ··

وكانوا ·· كما كان كل رجال قواتنا المسلحة دائما ، رجالا فداء لمصر ··

وأعود الى سيناء :

وأقرر أن أزور سيناء .. أن أعود الى الجبهة ، الى الأرض التى رويناها بدمائنا . الى الرجال الذين عشت معهم أشرف وأحلى أيام حياتى ..

وجاءت الزيارة فى يوم عاصف .. الرياح ثائرة . ويطلبون منى تأجيـــل الزيارة ، ولكننى أرفض . لابد أن تتم الزيارة فى موعدها . وأصطحب معى ولداى علاء وعماد . ونعبر الجسر الى سيناء الجسر نفسه الذى عبرته فى العربة المدرعة وأنا راقد على ظهـــرى فى المقعد الخلفى ، وساقى تنزف بغزارة . وباقى الساق مسندة بجانبى وبها فردة الحذاء ..

وبمجرد وصولنا للشرق ، تهدأ الرياح ، ويصفو الجو ..

وأتنقل بين المواقع التى شهدت أياما مجيدة للعسكرية المصرية . اتنقل بساق واحدة ، ولم أحتج اطلاقا الى عكاز أســـتند عليه . فقد كان معى آلاف الرجال أستند اليهم مطمئنا .

وأطلب من رجالى أخذ صـــورة مع الدبابة الاسرائيلية التى أصابتنى . اننى أعرفها جيدا ، أتذكر شكلها كأنما كان الحادث منذ لحظات .. ماسورة مدفعها منثنية عند البرج . ولكنى لا أجد من الدبابة الا بقايا حطام . وماسورة سوداء كانت لمدفع ملقاة فى وسطها . كانت هذه بقايا الدبابة . وعلمت أن رجالى نفذوا تعليماتى الأخيرة التى اصدرتها لهم وأنا راقد فوق رمال سيناء بعد اصابتى مباشرة : « من يحبنى يأخذ بثأرى » ..

وأخذ الرجال بثأرى تماما ..

واجتمع بأبطال لواء النصر . وأقول لهم : لقد حضرت خصيصا لأقول لكم اننى حصلت على نجمة سيناء تكريما لكم جميعا . لكل

ابطال لواء النصر ، الذى يحمله ثلاثة أبطال رغم ندرته الشديدة فى القوات المسلحة ..

وتنتهى زيارتى لسيناء . الموقع الذى خضنا فيه أشرف معاركنا . وأسأل أبنائى فى أثناء العودة : ما الذى تأثرتم به فى هذه الرحلة ؟

ويقول ابنى الكبير علاء (١٦ سنة) لحظة عبورنا على الجسر من الغرب الى الشرق : كم زرتك قبل الحرب . وكنت أقف على الضفة الغربية أتطلع الى سيناء . وأسأل نفسى متى نعود ؟

وها قد عدنا يا أبى ..

ويقول ابنى الصغير عماد (١٣ سنة) : لقد تأثرت بحب ضباطك وجنودك لك . وتجمعهم حولك فى كل مكان ، واعتزازهم القوى بك ..

وعند عودتنا للبيت ، نقابل نحن الثلاثة بثورة غاضبة من ابنتى عزة (١٨ سنة) . ونسمعها تقول : يا ليتنى كنت ولدا علشان كنت قدرت أروح الجبهة معاك ..

انهم جزء من مستقبل مصر .. وأملها .

وزرت ألمانيا الغربية :

ـ ويتوافد على مصر المراسلون والصحفيون من جميع الجنسيات يزورون أرض المعركة ويقابلون القادة والأبطال .. يتفهمون كيف حدثت المعجزة .. وأقابل العديد منهم .. ومنهم التليفزيون الألمانى الغربى ويسألوننى « هل يمكنك العمل بساق واحدة » ؟.

ـ وأكلمهم عن تطور صناعة الأطراف وعن امكانيات السير ..

بل والرقص بقدم واحدة ·· ولا يصدقون ·· وأتحرك أكثر من نصف ساعة بساق واحدة ·· ثم أكلمهم بعد ذلك عن القائد الذى هزم الدنيا بساق خشبية ، من فوق حصان ·· ويصورون ·· ويشاهد العالم ··

ـ ويتقرر سفرى الى الخارج بألمانيا الغربية ·· ويوجه سفيرها الدعوة باسم حكومته لعلاجى هناك وأعتذر ، فالدعوة شخصية ولا أستطيع قبولها ·· وأشعر باهتمام السفارة كلها بى قبل سفرى ·· وبعد عودتى ··

ـ وأصل الى ألمانيا فأشعر بانسانيتهم ·· واحترامهم لمصاب الحرب وأقابل بعض مصابى الحرب الأخيرة من الألمان ·· رفضوا عمل أطراف ويمشون بعصيهم ينظرون بتعال الى الشعب ، والشعب يبجلهم ويحترمهم فقد ضحوا من أجله ··

ـ وأستكمل دراسة اللغة الألمانية وأمارسها هناك وأقابل صحفيين ألمانا ريشتركون معى فى سلسلة صحفية يتكلمون فيها عن المعركة ، وعن مصر الحديثة ·

ـ وأتكلم مع أفراد الشعب الألمانى وتفاجئنى أسئلة تدل على سيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام ·· ومنها :

ـ ما هى أهمية سيناء ؟ لماذا لا تتركونها لاسرائيل وتحلون المشكلة ؟

ـ وأشرح لهم تاريخ سيناء وأهميتها الاقتصادية والروحية لنا وأننى شخصيا أمضيت شهر العسل فى مدينة العريش · وأشرح لهم أيضا أننا لا نحب الحرب ·· وأننا قاسينا من ويلاتها ولكننا اضطررنا للقتال دفاعا عن أنفسنا ·

ـ واننا لا نعادى اليهودية كعقيدة ·· ولكننا نعادي اسرائيل كدولة معتدية ·· بلا حدود تخطط للتوسع ·

ـ ويسألني خبيث « أنت قائد لك خبرة قتال ·· فلو خيروك في الحرب القادمة هل تقود وحدة اسرائيلية أم مصرية ؟ »

واجيب طبعا بكل ثقة وفورا بأن الجندى الاسرائيلى مدرب تدريبا عقائديا ، ومجهز من الترسانة الأمريكية والغربية .. ولكن الجندى المصرى أفضل ، فهو عقائدى ومدرب .. ومعداته جيدة. وقادر على استخدام المعدات الفنيــة التكنولوجية ·· وتحمله واستعداده للشهادة بلا حدود .

ـ ثم أكلمه عن سعيد خطاب وعن السيد الشــحات اللذين ألقيا بأنفسهما بالألغام تحت الدبابات الاسرائيليــة واستشهدا معا وأسأله .. كم من الجنود الاسرائيليين فعلوا هذا ؟

روميل المصرى :

ويقابلنى الشعب الألمانى بالترحاب في كل مكان في البلدة التى عشت فيها .. ويسألوننى عن المعركة .. وعن مصر .. وأبتسم وأجيب قدر ما وسعنى علمى باللغة .. وأسمع اثنين من العمال الألمان يشيران الى في أثناء سيرى قائلين : « روميل المصرى .. أهه » .

وافهم أن الشعب الألمانى مثل باقى الشعوب المتحضرة .. يكره الحــرب والدماء ولكن اذا كنت صاحب حق فيجب أن تكون قويا وتأخذه بيدك ·· والا ضاع حقك ·

واقابل المبعــوثين العرب فى كلّ مكــان وأشــعر باحترامهم وحبهم ، ونلتقى فى ندوات نتكلم فيها عن المعركة والأمــل بعد النصر .

ـ وتقول جريدة المجاهد الجزائرية . « ان الأمـة العربية تحس اليوم بفخر عظيم وشكر عميق لجيوش مصر وسوريا التى حققت أول انتصار للعرب ـ ومهما كانت النتيجة النهائية فسوف تبقى حقيقة أن هـذه الحرب أنهت مهانة ١٩٦٧ وجددت كرامـة الأمة العربية .

وأمشي من جديد :

ـ وأعود من رحلتى فى ألمانيا الغربية .

ـ اعود بعد رحلة علاج استمرت شهرين .

ـ أعود بساقين .. احداهما . اليمنى .. صناعية مؤقتة مصنوعة من البلاستيك والجلد صنعت فى مصنع أوتوبوك وهو أكبر مصنع لخامات الأطراف وللأطراف الصناعية فى أوربا ـ واكبر مستورد منه هو الولايات المتحدة بنفسها .

ـ وأعود مرة أخرى الى مستشفى المعادى للفحص من جديد .. فحتى الاصابة . احتاجت الى طرف مبتكر تدخلت فيه .. ولكن ضمن حيز محدود .. وأتحول أنا نفسى الى حالة دراسية .. للأطباء وصانعى الأطراف ..

ـ وزارتنى بعثة تليفزيون من الولايات المتحدة .. وفى بيتى .. وتكلمنا سويا ثم قال لى أحدهم «أصارحك.. نحن قادمون من اسرائيل .. زرنا هناك المستشفيات وزرنا جرحاهم ولم نجد .. جريحا فى مثل معنوياتك فهل يمكن أن تقدم النصح لجريح اسرائيلى فقد ساقه مثلك لكي ترتفع معنوياته .. وقلت له .. » يمكنه أن يعتبر نفسه قد ولد بالحالة التى أصبح عليها .. ويبدأ حياته من جديد بأمل .. بشرط الا يفكر مرة أخرى فى العـدوان حتى لا يفقد ساقه الأخرى .



قنبلة اسرائيلية ٠٠ أمريكية يحملها
فلاح مصرى



ـ ويسألنى مراسل آخر لقد أصبت بدانة دبابة أمريكية باتون فهل تكره الشعب الأمريكى .. واجبته ان الذى أصابنى هو سلاح أمريكى .. استخدمته أيد اسرائيلية.. وانا أكره السياسة الأمريكية التى أعطت اسرائيل هذا السلاح وأكره اليد التى استخدمت هذا السلاح .. وارجو أن يتخلص الشعب الأمريكى .. من ضغط الدعاية الصهيونية .. لينضم الى شعوب العالم .. المؤيدة للسلام القائم على العدل .

مصر .. أمنا :

هذه هى مصر التى لا تنسى أبناءها الذين أدوا ضريبة الفداء .. أبدا .. وبالمناسبة فأنا لاأنسى جيهان السادات. الأم المصرية ... اننى أسجل لها مجهوداتها المضنية معنا قبل وفى أثناء حرب أكتوبر وبعدها .

لا انسى اول عملية جراحية لى فى مستشفى المعادى . خرجت من غرفة العمليات . وعندما بدأت أفيق من التخدير . وجدتها امامى .. كانت أول من أراه . كانت السيدة جيهان السادات فوق راسى تشرف على تمريضى .

وسمعت من الأطباء بعد ذلك أنها وقفت بجوارى أكثر من ساعة قبل أن أفيق وتمر الأيام وتتعدد العمليات الجراحية .. **ويتغلب الأمل والعزيمة على المستحيل وتحضر السيدة جيهان** أربع عمليات جراحية لى .. وتقف معها سيدات مصر وأمهاتها طابور من السيدات يرتدين بالطو ابيض بسيطا .. وعليه هلال أحمر صغير .. واذكر منهن بكل الاعتزاز السيدة / عزيزة حلمى .

كانت اما حقيقية ، واتضح أنها تمثل فى السينما دورها معنا فى الحياة .

وتستمر زيارة أم الأبطال لنا .. لجرحى المعركة .. تشرف على راحتنا ليلا ونهارا .. وتحل بابتسامة وصبر الأم الكثير من المشاكل المعقدة المتلاحقة .

وتسألنى أم الابطال « ماذا فعلت فى الحرب ؟ » .

وارد عليها ولا اكلمها عن نفسى . أكلمها عن رجالى .. فالقائد دائما برجاله .. ورجال أبطال لواء النصر عديدون .. وقصص بطولاتهم لا تحصى .. وتسمع منى عن سعيد خطاب ... عبد العاطى ... حسين عبد العزيز ... أحمد سليمان ... عائلة علم ...

ثم تزور سيدة مصر الأولى الجيش الثانى .. ضمن زيارتها للجبهة .. وتسمع الكثير من رجالى عنى . وتعود وهى تعلم الكثير عنى .. وعن اصابتى .. وتسألنى مرة أخرى .. وأحاول أن اهرب .. ولكنها كانت تعلم الحقيقة فاقص عليها قصة اصابتى .. وكانت مفاجأة لى عندما قرات فى جريدة الأهرام قصتى فى اخبار الغد التى يكتبها الأستاذ على أمين « جيهان السادات تروى قصة بطل » .

اعياد النصر :

وضمن أعياد النصر .. يقام فرح لنهى السادات ويدعى اليه أبطال معركة أكتوبر .. وبعض الجرحى .. وقادة القوات المسلحة .. وممثلون للشعب وينقلب الفرح الى مهرجان شعبى ..وأدعى الى الفرح مع زوجتى .. وآقابل الرئيس السادات قائد معركة العبور .. ومعه أم الأبطال .. ويتركان المدعوين .. ويجلسان وسط الأبطال والجرحى ..

مع أكبر قادتنا العسكريين :

وفى أثناء حفل أقامته القوات المسلحة لتكريم الأبطال والجرحى ـ اشاهد البطل صلاح مجاهد قائد كتيبتى الجريح .. وأحاول أن ألحق به .. وانا أكاد أقفز على قدم واحدة.. وفجاة أجد نفسى أكاد أصطدم بالمشير أحمد اسماعيل .. وأفاجأ به ويفاجىء بى فلم يكن قد رآنى بعد عودتى .. ويحتضننى ويقبلنى .. وكان مجهدا قبل سفره للعلاج بلندن وبرغم هذا يصر على أن يسندنى بنفسه ...

ثم يسألنى فجأة « هل قابلت قادة الأسلحة يا عادل ؟ » .

وأجيب بالنفى .

وأستند عليه.. حتى نصل الى مائدة. وأفاجأ بنفسى وجها لوجه أمام أكبر قادتنا العسكريين فى معركة أكتوبر المجيدة .

الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة .

الفريق	فؤاد ذكرى	قائد القوات البحرية
الفريق	حسنى مبارك	قائد القوات الجوية
الفريق	محمد على فهمى	قائد الدفاع الجوى

وشعرت باعتزاز والمشير يقدمنى لهم قائلا :

هذا هو العميد أركان حرب

عادل يسرى

بطل نجمة سيناء الذى سمعتم عنه

ودارت رأسى وخجلت لفرط مارحبوا بى

واكتشفت فى هذه اللحظة أن أكبر قادتنا يعلمون كل شىء عنى ..

وبعدها .. أسرح بفكرى . بوجدانى . بروحى . بدمى .

بعدها أقول : ليتنى أستطيع أن أقدم شيئا أكثر لمصر .. لك يامصر .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● **البـاب الرابع : فى قلب الجحيم**	١٣١
ــ الفصل الأول :	
هل هذا معقول .. المصريون يعبرون القنـــاة ؟	١٣٣
ــ الفصل الثانى :	
ديان : القـــرار الرهيب	١٤١
ــ الفصل الثالث :	
.. وأمضينا الليل فى « برميل أوتيل » . .	١٥٣
● **الباب الخامس : الجنرال يصرخ : لا تقتربوا من القنـــاة**	١٦١
ــ الفصل الأول :	
.. وتطول يدنا فى سيناء	١٦٣
ــ الفصل الثانى :	
اتفضل .. مصر على الخط	١٧١
ــ الفصل الثالث :	
هجمات الاجهاض	١٧٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٨/٤٨٧٤

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٦٢٧ ٣